آلان ديلـون

نجم من سينما الزمن الجميل

(سيرة حياته وأفلامه)

ترجمة : محمد علام خضر

منشورات وزارة الثقافة ـ الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠٠٩

مقدمة

على الرغم من إعلانه مراراً التوقف عن التمثيل، إلا أنه سرعان ما يظهر وتأخذه غواية هذه المهنة، وعلى شيء يشبه الإدمان من دون أن ينجح أي علاج في إيقافه، على الرغم من الإيحاء بأن ذلك تحقق مراراً، خاصة أن من نتحدث عنه هنا هو الممثل الفرنسي الشهير آلان ديلون وقد بلغ الرابعة والسبعين، مظهراً بما يدفع للغيرة والإعجاب قدراً هائلاً من الشباب المتجدّد جسداً وروحاً، مع إصرار موجود لديه دائماً على قهر مرور الزمن العاتي على جسده الذي قد يوحي بأنه مازال في الخمسين . . أقل لا أكثر .

(١)

الطفولة المريرة... والفتى المتمرد

ينتمي آلان ديلون، أوسم ممثلي الشاشة الفضية وألمع نجوم السينما الفرنسية الموهوبين في عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، إلى أصل متواضع جداً وأسرة مفككة تركته يعيش طفولة مريرة ويمضي أيام صباه الصعبة بعيداً كل البعد عن صورته السينمائية المستقبلية المتألقة. ولعل هذا ما جعله مرشحاً مثالياً لأداء دور العاشق المنحوس ودور الوغد أو القاتل المأجور أو محقق الشرطة الصارم في العديد من أفلامه البوليسية.

وُلد (آلان فابيان موريس مارسيل ديلون) يوم الجمعة في ٨ تشرين الثاني ١٩٣٥ في إحدى ضواحي العاصمة الفرنسية باريس المعروفة بضاحية "سو" التابعة لإقليم "السين" (إقليم "أوت دو سين" حالياً) الذي يُعدّ جزءاً من منطقة "إيل دو فرانس" التي تشكل بمجموعها جزءاً من الضواحي الغربية للعاصمة باريس.

عاش آلان سنواته الأربع الأولى مع والديه في منزل يقع ضمن مجمع سكني صغير ببلدية "بورغ لارين"، وهي من التقسيمات الإدارية لضواحي باريس الجنوبية، لكن لم يتسن لآلان الطفل البقاء تحت رعاية والديه لفترة طويلة نتيجة انفصالهما الذي لم تتكشف الأسباب المباشرة المؤدية إليه بصورة واضحة تماماً. لكن من المؤكد أن الخلافات بين الزوجين عجّلت في عملية إنهاء حياتهما الزوجية.

فوالدة آلان، (إيديت آرنولد) – الملقبة بـ (مونيت)، المولودة عام ١٩١١ كانت قد توفيت أمها قبل أن تكمل (إيديت) عامها الثالث ولم يتردد والدها بالزواج مباشرة من امرأة أخرى أساءت معاملة الطفلة اليتيمة (إيديت) لأنها تحمل شبهاً كبيراً بأمها الراحلة. وبعد عدة سنوات عندما أصبحت شابة، دفعها سوء معاملة زوجة أبيها إلى الهروب من منزل ذويها مع أنها أدركت عدم وجود من يرحّب بها من الأقارب، لكنها استطاعت أن تجد لنفسها عملاً كخادمة مقيمة في بيت أحد الفنانين الذي اعتاد استقبال الكثيرين من زملائه الفنانين وغيرهم من المرتبطين بأهل الفن، وهذا ما أتاح الفرصة لـ (إيديت) للالتقاء بالعديد من هؤلاء الزوار، ومنهم (فابيان ديلون) الذي كان فناناً مهووساً بكل ما يتعلق بأمور السينما.

(إيديت) التي بلغت ربيعها الخامس والعشرين آنذاك، أغرمت بـ (فابيان ديلون) – الملقب بـ (فافا) – الذي يعود جزء من نسبه إلى أصول كورسيكية، وتوطدت علاقتهما بالتدريج إلى أن تكللت بالزواج في نهاية الأمر. تركت (إيديت) عملها في منزل ذلك الفنان وانتقلت للعيش مع زوجها في ضاحية "بورغ لارين" حيث افتتح (فابيان) صالة سينما جديدة في ١٨ أيلول ١٩٣١ وطلب من زوجته اختيار اسم لتلك السينما، فأطلقت عليها (إيديت) اسم سينما "ريجينا" وأصبحت تذهب بانتظام إلى صالة السينما الجديدة لتشترك مع زوجها (فابيان) في إدارة شؤون تلك الصالة. (تم إغلاق هذه السينما في بداية الستينيات ثم أعيد افتتاحها بعد ثلاثين سنة كمركز ثقافي حمل اسم "ريجينا – آلان ديلون"). لكن يبدو أن الخلافات ثارت بين الزوجين على نحو غير متوقع خصوصاً بعد أن رزقا بمولودهما الجديد (آلان)، والغريب في الأمر أن ارتباطهما كان بالأساس قائماً على علاقة حب قوية.

ومن غير المحتمل طبعاً أن يكون آلان الطفل قد استلهم مهنته السينمائية المستقبلية من مهنة أبيه نظراً لصغر سنه في تلك الفترة ولأنه كان في الرابعة من عمره عندما انتهت العلاقة بين والديه بالطلاق عام ١٩٣٩. إن الانفصال بين (فابيان ديلون) و(إيديت) استدعى وضع آلان تحت رعاية أسرة بديلة لاسيما حين أحجم كل منهما عن الاحتفاظ بالطفل.

لكن يبدو أن المحيط العام الذي انتقل إليه آلان لم يكن مشجعاً بالقدر الذي يكفل له عيش طفولته في أجواء طبيعية وبسيطة كغيره من الأطفال. فأسرة (نيرو) البديلة التي تولت رعايته كانت تقطن في بلدة "فرسنيه" بضاحية "فال دو مارن" بالقرب من مدينة باريس، وكان منزل تلك الأسرة يبعد عشرين متراً فقط من سجن "فرسنيه" الرهيب الذي يُعدّ ثاني أكبر سجون فرنسا ويطلّ مباشرة على مبنى السجن الذي يضم نحو ١٢٠٠ زنزانة بالإضافة إلى سجن صغير للنساء وإصلاحية ومستشفى للسجناء.

ازدادت الظروف تعقيداً بالنسبة لآلان الطفل حين بلغ عامه الخامس مع اجتياح القوات الألمانية للعاصمة باريس في ١٤ حزيران ١٩٤٠ واحتلالها بالكامل. وبعد استسلام الجيش الفرنسي الثاني في ٢٢ حزيران من العام ذاته، استسلمت فرنسا أمام دول المحور بعد ثلاثة أيام فقط من ذلك التاريخ. وفي ظل هذه الظروف الصعبة تخلت عنه أسرة (نيرو) بسبب سلوكه العنيد حيث أثبت أنه ولد شقيّ بكل ما في الكلمة من معنى، فانتقل إلى بيت رعاية اجتماعية آخر قبل أن يتم إرساله إلى مدرسة داخلية كاثوليكية، إلا أن بقاءه فيها لم يستمر لفترة طويلة أيضاً حيث جرى طرده منها وكانت بذلك أول مدرسة ضمن سلسلة من ست مدارس أخرى التحق بها آلان ديلون وطُرد منها جميعها بسبب عدم انضباطه وسلوكه الجامح الذي عزز من صورته كفتى عنيد وصعب المراس. ولعل بداية طفولته المضطربة هي التي ساهمت في زرع روح التمرد في أعماقه وخصوصاً بعد أن أقدم والداه، (فابيان) و(إيديت) على الزواج من شريكين مختلفين.

فوالده (فابيان ديلون) تزوج امرأة تنتمي إلى الوسط الفني، أما والدته (إيديت) فتزوجت قصّاباً يدعى (بول بولونيه). كانت حصيلة هذه التطورات العائلية غير المتوقعة التي زادت من التفكك العاطفي بالنسبة لآلان إنجاب أختين غير شقيقتين لآلان من زواج أمه بـ (بول بولونيه) وأخ غير شقيق من زواج أبيه بسيدة أخرى حمل اسم (جان فرنسوا ديلون) – الذي يعمل حالياً مصوراً بينما يعمل ابنه (فيليبسيان ديلون) في مجال التمثيل.

عندما بلغ آلان عامه الحادي عشر في ١٩٤٦، توفي (نيرو) وزوجته – الأسرة البديلة التي تولت رعايته بعد طلاق والديه. وقبل أن ينضم آلان الذي بلغ عامه الرابع عشر للعيش مجدداً مع والدته، ولكن هذه المرة مع زوجها الجديد، عزز من صورته كفتى متمرد عندما هرب ذات يوم مع زميله (دانييل سالفاته) من المدرسة الداخلية الكاثوليكية التابعة لدير القديس نقولا وتوجها سوية إلى مدينة "بوردو" غرب البلاد، حيث لجأ الفتيان إلى إيقاف إحدى السيارات وركوبها مجاناً للوصول إلى وجهتهما المنشودة. لكن سرعان ما قامت الشرطة بالبحث عنهما فور إبلاغ راهبات دير القديس نقولا بأمر فرار اثنين من تلاميذ مدرسة الدير وكانت النتيجة وقوعهما في قبضة الشرطة خلال فترة وجيزة وإعادتهما إلى مدرستهما الداخلية. مع أن آلان كان مثال الطالب المشاغب والمتمرد إلا أنه أظهر تفوقاً ملحوظاً في دروس وحصص الديانة، الأمر الذي شجع راهبات الدير على محاولة إقناع آلان لدراسة علوم اللاهوت.

وشهدت تلك الفترة أيضاً أول قصة حب للفتى آلان مع أنه لم يتجاوز سن الرابعة عشرة حين أغرم بفتاة تدعى (رين). حاول آلان لفت انتباه فتاته باستعراض عضلات سن المراهقة فركب دراجة نارية (وفي روايات أخرى دراجة

هوائية عادية) وقام ببعض الحركات البهلوانية إلا أنه سقط أرضاً، ما أدى إلى إصابة فكه السفلي وجرح ذقنه جرحاً عميقاً ترك ندبة صغيرة دائمة مازالت آثارها ظاهرة إلى الآن. عندما بلغ ديلون الخامسة عشرة، أي بعد مرور عام تقريباً على عودته للسكن مع أمه، ترك مدرسة الدير بشكل نهائي وعمل لفترة لدى دكان زوج أمه (بول بولونيه) في بيع اللحوم حيث علمه كيفية إعداد فطائر اللحم وصنع المقانق والسجق إلى أن بلغ آلان عامه السادس عشر. ثم اتبع بعدها دورة تدريبية في معهد مهني خاص لتعليم مهنة القصابة. انتقل آلان بعد حصوله على شهادة تخصصية من ذلك المعهد للعمل لدى ملحمة قصاب آخر في بلدة "لاي لي روز" ومن ثم في محل آخر لبيع ومعالجة اللحوم في شارع سانت شارل بباريس.

عندما أصبح آلان ديلون شاباً فتياً في السابعة عشرة في شهر تشرين الثاني ١٩٥٢، تقدّم بطلب للالتحاق بالقوى الجوية، لكن نظراً لعدم توفر شواغر توجّه للانضمام إلى قوات مشاة سلاح البحرية الفرنسي وتم قبوله رسمياً بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٣، أي لدى بلوغه السن النظامي لأداء الخدمة العسكرية الممتدة على ثلاث سنوات. خضع آلان لدورة تدريبية في معسكر "بونت رين" في ضواحي مدينة "رين" غرب فرنسا حيث تبين أن ديلون يعاني من مشكلة غير متوقعة (دوار البحر) أعاقت للوهلة الأولى تقدمه في تلك الدورة التدريبية، ثم حصل في النهاية على رتبة عريف في سلاح البحرية. لكن تدني مستوى ديلون الدراسي خلال الدورة جعله يشعر بالإحباط حيث تعين على صف الضابط المتدرب الذي تظهر نتائج اختباره الدراسي مستوى دون الوسط الاختيار بين أعمال التنظيف طوال النهار أو التفرغ الكامل للدراسة العسكرية، فوقع اختيار ديلون على الجانب الدراسي بدلاً من التوجه إلى أعمال السخرة والتنظيف.

عندما وصل آلان إلى معسكر "بونت رين" التدريبي، تلقى الأمر بإعادة كافة أمتعته الشخصية واستلام بزة عسكرية وغيرها من الأدوات والملحقات الخاصة بمظليي سلاح البحرية، بما في ذلك قبعة وقميص داخلي مخطط وربطة عنق سوداء وسترة قصيرة بالإضافة إلى بدلة عمل وغيرها من قطع الزيّ العسكري الموحد. كما استلم آلان رقمه العسكري التسلسلي (1203T53) وجرت العادة آنذاك تثبيت القطعة المعدنية التي تحمل الرقم العسكري بوساطة سلسلة يتم وضعها على رسغ اليد اليسرى كالسوار، وكان آلان من المغرمين بوضع ذلك السوار معظم الأوقات وخصوصاً عند الاستعراضات العسكرية.

ومن باب المصادفة أن شريك غرفة آلان خلال فترة إقامته في ثكنات معسكر تدريب "بونت رين" كان يعاني من ظروف مماثلة لظروف آلان من حيث العلاقة غير الطيبة مع زوج الأم. كان ذلك الشاب أكبر من آلان بسنتين ويدعى (ريمون بلاسكو) وسرعان ما توطدت العلاقة بين الشابين. ووصف (بلاسكو) لاحقاً آلان بقوله: "كان متواضعاً وهادئاً وذكياً وطيب القلب." كما ذكر عن علاقته بآلان "لقد ذهبنا ذات يوم في إجازة إلى أحد المراقص في البلدة لقضاء بعض الأوقات الطيبة والاستمتاع بالرقص مع فتيات البلدة. وعند الغروب في الساعة السادسة تقريباً، تعيّن علينا العودة إلى المعسكر بوساطة حافلة المبيت وهذا ما سيجعلنا نتأخر عن الوصول في الوقت المناسب وسيفوّت علينا موعد العشاء في مطعم المعسكر. لذلك لم يكن أمامنا سوى تناول الطعام في البلدة قبل العودة إلى ثكنات التدريب. لكن المشكلة أنه لم يكن بحوزتنا ما يكفي من المال لدفع الفاتورة في أحد مطاعم البلدة. ثم علمنا بأن ملجأ الصليب الأحمر يقدم وجبة من البطاطس المقلية لقاء عشرة سنتيمات فقط. فاقترح آلان أن نتوجه لتناول تلك الوجبة قبل مغادرة البلدة. لكن المشكلة أن جيوبي كانت خاوية من أي فلس، فقلت له ... حسناً سأنتظر وصول

الحافلة ريثما تتناول وجبتك... لكنه رفض بشدة وأصرّ على اصطحابي وقال أن بحوزته عشرين سنتيماً، أي ما يكفي لشراء وجبتين ... كنت أتضور جوعاً في ذلك الوقت ولن أنسى مهما حييت ذلك العرض السخي من جانب آلان".

أما عن مغامرات ديلون الأولى مع الجنس اللطيف فقد قال (ريمون بلاسكو) إن آلان أغرم بفتاة بريطانية في غاية الجمال وبادلته تلك الحسناء الشعور ذاته وإن تلك العلاقة كانت مختلفة تماماً عن العلاقات الصبيانية التي أقامها ديلون سابقاً مع الفتيات في "بورغ لارين" لأنه تذوق لأول مرة طعم القبلة الحقيقية مع تلك الحسناء. وذكر (ريمون بلاسكو) عن ذلك بقوله "لقد اضطررت إلى أن أتحمل سماع وصف آلان لأحاسيسه الجديدة حتى صباح اليوم التالي من فرط انفعاله... هذه هي الأوقات الحلوة التي جعلتنا ننسى قسوة التدريب في القوات المسلحة".

بعد إنجاز دورة التدريب في معسكر "بونت رين" افترق الصديقان حين جرى نقل (ريمون بلاسكو) إلى "شيربورغ" بينما نقل آلان ديلون إلى "طولون" في جنوب شرق فرنسا ولم يجتمع بعدها الصديقان أبداً باستثناء متابعة (ريمون) لأخبار ديلون بعد دخوله عالم الفن والسينما، ولم يكف عن قراءة كل ما تكتبه الصحف والمجلات عن النجم آلان ديلون، فضلاً عن مشاهدة جميع أعماله السينمائية. وعلق (ريمون بلاسكو) بقوله في فترة لاحقة: "أستطيع القول إن النجم الكبير آلان ديلون قد اختلف اختلافاً جذرياً عمّا كان عليه أيام الخدمة العسكرية... لقد أصبح إنساناً مختلفاً عن ذلك الشاب البسيط الذي قضيت معه أطيب الأوقات.!!!". وأضاف (بلاسكو) عن ذكرياته مع ديلون في تلك الفترة مشيراً إلى أن الأمر الذي لم يعرفه آلان هو أن أمه (إيديت) لم تنسَ ابنها أبداً خلال أدائه الخدمة العسكرية، حيث جاءت إلى معسكر التدريب وتقدمت بمذكرة للضابط المسؤول احتجت فيها على قرار تمديد خدمة ابنها ديلون في سلاح البحرية من ثلاث إلى خمس سنوات.

بعد نقل آلان إلى "طولون"، قام ذات يوم بزيارة أحد أحياء المدينة المعروف باسم "شيكاغو"، وهو حي سيئ السمعة، وما لبث أن أصبح واحداً من رواد حانة "مارسوان" الدائمين في تلك المنطقة وتوطدت علاقته مع صاحب تلك الحانة وزوجته الكورسيكيين (تشارلز ماركنتوني) و(ريتا)، بالإضافة إلى ابنهما البكر (فرنسوا ماركنتوني) الذي أصبح صديقاً مقرّباً لآلان ديلون – لكن هذه الصداقة سيكون لها صدى مختلف يؤثر تأثيراً كبيراً على حياة ديلون بعد ست عشرة سنة من عام ١٩٥٣. وفي الحقيقة لم يتردد هذان الزوجان بالتعامل مع ديلون الجندي بمنتهى الكرم والسخاء قبل توجهه إلى خط الجبهة في الهند – الصينية وبعد عودته منها أيضاً. ويذكر (تشارلز ماركنتوني) عن تلك العلاقة مع ديلون بقوله "لقد تعرفت على آلان كغيره من رجال سلاح البحرية. ومن الشائع طبعاً أن تنمو الصداقة بين صاحب الحانة وروادها. لكن على العكس من باقي أصدقائه الذين ارتادوا حانات مختلفة بالإضافة إلى حانتي، فإن آلان اعتاد المجيء إلى هذه الحانة بالذات على نحو متكرر بالرغم من دعوات أصدقائه للانضمام إليهم لزيارة باقي الحانات في المنطقة، وأصبح بذلك واحداً من أفضل زبائني الدائمين. وأذكر أنه كان شاباً هادئاً وودوداً ومفعماً بالحيوية لكنني لم أتأكد فيما إذا كان سعيداً بالتحاقه بسلاح البحرية كغيره من الشباب طمعاً بالمزايا والعلاوات المادية التي يحصل عليها أفراد المشاة التابعون لسلاح البحرية الفرنسي، أو هرباً من القيود العائلية الصارمة التي تحدّ من حرية هؤلاء الشبان في ذلك الزمن. ولكن من المؤكد أنني لا أقلل من شأن اهتمامهم بالحرب الدائرة آنذاك".

إن روح التمرد المزروعة في طفولة آلان ديلون والتي تجلت بوضوح أيام المدرسة رافقته أيضاً خلال فترة خدمة العلم. ففي "طولون" أخبره أحد أصدقائه المقربين ذات يوم عن رغبته بصنع مذياع، فما كان من آلان إلا أن سارع إلى سرقة بعض الأدوات والقطع اللازمة من الثكنة العسكرية وساعد صديقه في تجميع ذلك المذياع.

قبل أن يغادر ديلون فرنسا متجهاً إلى الهند – الصينية عام ١٩٥٣ كان قد أقام علاقة غرامية عابرة مع شقيقة الممثلة الفرنسية (مادلين ليبو) التي سلبت لبّ ديلون أيضاً وبات يحمل صورتها في محفظته أينما ذهب. كانت (مادلين ليبو) تعيش في الحي ذاته الذي تقطنه (إيديت) والدة آلان ومن زبائن زوجها القصّاب (بول بولونيه)، والتقت بـ (إيديت) عدة مرات في دكان زوجها وأصبحت السيدتان صديقتين حميمتين حيث اعتادت (مادلين) زيارة (إيديت) في منزلها، ما وفر الفرصة لآلان للتعرف إلى (مادلين) وشقيقتها الصغرى. كانت (مادلين لوبو)، المولودة عام ١٩٢٣ في ضاحية "أنتوني" بمدينة "أوت دو سين"، أكبر من آلان باثنتي عشرة سنة ومتزوجة بالممثل (مارسيل داليو) بعد أن تعرفت إليه خلال عملهما معاً في إحدى المسرحيات. إن افتتان آلان ديلون بجمال الممثلة (مادلين لوبو) – التي سجلت أول ظهور لها على الشاشة الفضية في فيلم *فتيات بائسات*" – دفعه إلى إلصاق صورتها في غرفته بمهجع الثكنة في الهند الصينية.

قررت فرنسا إرسال بعض التعزيزات من المظليين التابعين لقوات مشاة سلاح البحرية إلى خط الجبهة في الهند الصينية خلال الحصار في "ديان بيان فو". إن الحرب الهندوصينية الفرنسية أو الحرب الهند الصينية الأولى (وتسمى أيضاً الحرب الفيتنامية الفرنسية) كانت نتيجة النزاع القائم في الهند الصينية في الفترة بين ١٩٤٦ و ١٩٥٤ بين قوات الاحتلال الفرنسية والمجموعات العسكرية الموالية لها من جهة، ومع "فيت مين" برئاسة (هوتشي منه) (اتحاد استقلال فيتنام) من جهة أخرى. ومعظم الأحداث الرئيسية جرت في الثلث الشمالي لفيتنام (المنطقة التي سماها الفرنسيون باسم "تونكين") بالرغم من أن النزاع شمل كامل البلاد وامتدّ أيضا إلى البلدان الهندوصينية المجاورة مثل لاووس وكمبوديا.

أدّت المفاوضات بين الفرنسيين و(هوتشي منه) إلى اتفاقية في آذار ١٩٤٦، والتي وعدت بحلّ سلمي. وبموجب هذه الاتفاقية كان على فرنسا الاعتراف بحكومة "فيت مين" وإعطاء فيتنام منزلة الدولة الحرة ضمن الإتحاد الفرنسي. كما نصت الاتفاقية على بقاء القوّات الفرنسية في فيتنام شريطة الانسحاب التدريجي على مدى خمس سنوات. وفي بداية ١٩٤٦ تعاون الفرنسيون مع (هوتشي منه) عندما دعم هيمنة "فيت مين" على الفصائل القومية الأخرى، وبشكل خاص السياسيين الذين حصلوا على الدعم من الحزب القومي الصيني.

على الرغم من التعاون التكتيكي بين الفرنسيين و"فيت مين"، إلا أن سياساتهم كانت متناقضة: فالفرنسيون يهدفون إلى إعادة تأسيس قاعدة استعمارية، بينما أرادت هانوي استقلالاً كاملاً. كشفت النوايا الفرنسية في قرار جورج (تييري داجينلي)، المندوب الأعلى للهند الصينية، بإعلان كوتشينصين جمهورية مستقلة ذاتياً في حزيران ١٩٤٦، لكن لم تحلّ المفاوضات الأخرى الخلافات الأساسية بين الفرنسيين و"فيت مين". في أواخر تشرين الثاني ١٩٤٦، قصفت السفينة الفرنسية "هيفونج" وأصيب خلالها عدّة آلاف من المدنيين، وردّت "فيت مين" بمحاولة إغراق القوّات الفرنسية في هانوي في كانون الأول لتبدأ الحرب الهندوصينية الأولى.

أهمل الفرنسيون السبب السياسي الحقيقي للحرب لمدة طويلة بعدما كانوا واثقين من النصر، وهو رغبة الشعب الفيتنامي – ومن بينهم زعماؤهم المعادون للشيوعية – بتحقيق الوحدة والاستقلال لبلادهم. كانت الجهود الفرنسية الرامية إلى معالجة هذه المشكلة مخادعة وغير مؤثرة. أعاد الفرنسيون توحيد كوتشينصين مع بقيّة فيتنام في ١٩٤٩، مع إعلان "دولة فيتنام المشاركة"، وعيّنوا الإمبراطور السابق (باو دي) رئيساً للدولة، ولكن أغلب القوميين شجبوا هذه

المناورات. في تلك الأثناء، قامت "فيت مين" بحرب عصابات ناجحة وحصلت على المساعدة والدعم من الحكومة الشيوعية الجديدة للصين بعد عام ١٩٤٩.

كان ديلون أحد أفراد مجموعة المظليين التي أبحرت من مدينة "طولون" الساحلية إلى سايغون في ربيع ١٩٥٤ مروراً بثلاثة موانئ للتزود بالوقود والمؤن في كل من مصر وجيبوتي وسنغافورة. لكن ديلون، كالعديد من رفاقه الجنود، لم يدرك السبب الحقيقي وراء الحرب الهندوصينية، بل إنه لم يدرك سبب وجوده ككل في الشرق الأقصى. فالهند الصينية بالنسبة لآلان ديلون والكثيرين من رفاقه في السلاح لم تتجاوز صورة حقول الأرز والنساء بعيونهن الضيقة والمائلة.

لم يتذمر آلان خلال وجوده في تلك البلاد من الحر الفظيع والرطوبة الشديدة والضباب الناتج عن اجتماع الحر بالرطوبة والذي يحجب زرقة السماء، بل إنه لم يشعر بالاغتراب الكامل عن أرض الوطن لأن والدته (إيديت) لم تتوقف أبداً عن إرسال فطائر الحلوى واللحم المقدد والكعك الفرنسي كل أسبوع بالإضافة إلى رسائلها التفصيلية الطويلة كل يوم.

خلال فترة وجود ديلون في الهند – الصينية بلغ عامه العشرين في تشرين الثاني ١٩٥٥ وعاد مجدداً إلى إظهار روح التمرد الكامنة في نفسه حين قام بسرقة سيارة جيب عسكرية من الثكنة وتوجه بها إلى البلدة بغرض اللهو لكنه تسبب في حادث مروري، ما أدى إلى إدخاله السجن العسكري. و بالتالي إعاته إلى أرض الوطن في ١ أيار ١٩٥٦. لكنه لم يلبث أن دخل السجن مرة ثانية في "طولون" لمدة ٤٥ يوماً بسبب حيازته لمسدس حربي غير مرخص كان قد حصل عليه أثناء وجوده في سايغون. ثم صدر قرار بتسريحه من الخدمة العسكرية على نحو غير مشرف بسبب عدم انضباطه العسكري. لقد أمضى ديلون ما مجموعه أحد عشر شهراً تقريباً في السجون العسكرية بسبب عدم الانضباط خلال فترة خدمته الممتدة لخمس سنوات. كما تزامن تسريح ديلون من الجيش مع سقوط فرنسا في "ديان بيان فو" في أيار عام ١٩٥٤، حين وافقت على مفاوضة لنهاية الحرب في مؤتمر دولي في جنيف.

بعد هذا التاريخ الحافل بالمشكلات غادر ديلون مدينة "طولون" واتجه شرقاً إلى "ليون" قبل العودة مجدداً إلى باريس بجيوب خاوية بما أنه كان عاطلاً عن العمل وبعد أن أمضى خمس سنوات تقريباً في الجيش. لدى عودته إلى باريس، لم يتوفر لديه مكان للإقامة سوى في فندق رخيص يدعى "ريجينا"، وهو الاسم ذاته الذي عُرفت به صالة السينما التي افتتحها والده عام ١٩٣١. يقع ذلك الفندق الرخيص في وسط العاصمة باريس بمنطقة "بيغال" بالقرب من شارع "روشيشوار"، وشاطر ديلون الإقامة في غرفة ذلك الفندق مع نزيل آخر يدعى (لوسيان ليجون). وفي تلك الفترة بالذات، تعرّف آلان ديلون إلى فنانة ناشئة وطموحة تسكن في البناء الملاصق للفندق تدعى (داليدا) أو (يولاندا كريستينا جيجليوتي)، وهي فتاة مصرية وُلدت في منطقة شبرا بمصر لأبوين إيطاليين تعود أصولهما إلى جزيرة "كالابريا" في جنوب إيطاليا. تقاسمت (داليدا)، التي أصبحت فيما بعد فنانة ومغنية مشهورة، شقتها السكنية مع صديقتها (جينا جوردل). لكن التعارف بين ديلون و (داليدا) في ذلك الوقت لم يتجاوز علاقة حسن الجوار وتبادل التحية مع أن وسامة ديلون الفريدة كانت تلفت انتباه (داليدا) ومن حولها.

لم يخطر ببال (داليدا) أن ديلون يحلم بالشهرة مثلها وأنه سيصبح نجماً عالمياً في يوم من الأيام، ثم تطورت بينهما صداقة طيبة وأخذ آلان يشجعها على تحقيق طموحاتها الفنية. وفي النهاية نجحت (داليدا) باجتياز اختبار فني حصلت بموجبه على عمل كمغنية في أحد ملاهي باريس الليلية.

أصبحت الحياة قاسية بالنسبة لآلان ديلون مع مرور الأيام لدرجة أن (داليدا) باتت تقدّم له الطعام عندما تضيق به الأحوال. لكن إقامته في منطقة "بيغال" لم تدم لفترة طويلة حيث عثرت والدته (إيديت) على عنوانه واصطحبته للسكن معها من جديد. اضطر ديلون العاطل عن العمل إلى البحث عن أي مصدر يساعده على إعالة نفسه ولم يجد أمامه سوى القيام ببعض الأعمال الحرّة، فعمل أول الأمر كنادل في مقهى "كوليزيه" في حي "شانزليزيه" ولم تمض أيام قليلة حتى ترك ديلون وظيفة النادل ووجد لنفسه عملاً آخر كمندوب مبيعات في أحد المحلات التجارية، لكنه لم يستمر إلا لفترة وجيزة في أداء هذه الوظيفة، انتقل بعدها للعمل بدوام ليلي كحمّال للخضار في سوق "ليز هول" الذي كان يُعدّ السوق المركزي التقليدي في باريس (ثم جرى هدمه عام ١٩٧١ وشيِّد مكانه مجمع تجاري حديث ضخم تحت الأرض).

إن هذه السلسلة من الأعمال الحرّة المؤقتة لم تقدم لديلون سوى المزيد من عدم الاستقرار. وبعد انتقاله للسكن في الدائرة الخامسة من العاصمة باريس بفترة قصيرة، تعرّف عن طريق المصادفة إلى الممثلة (بريجيت أوبير)، وهي ممثلة فرنسية وُلدت عام ١٩٢٨ وذاع صيتها في أوروبا بينما لم يسمع باسمها إلا قلة قليلة في الولايات المتحدة إلى أن أدت أول أدوارها الناطقة بالإنكليزية أمام نجم هوليوود (كاري غرانت) في فيلم المخرج (ألفريد هيتشكوك) "*القبض على لص*" الصادر عام ١٩٥٥. ومن الجدير بالذكر أن الممثلة (بريجيت أوبير) لعبت دوراً صغيراً في النسخة المعادة من فيلم "*رجل بالقناع الحديدي*" عام ١٩٩٨، إخراج (راندال واليس) وبطولة (ليوناردو ديكابريو).

من المؤكد أن (بريجيت أوبير) هي التي مهدت الطريق أمام ديلون للتعرف إلى أجواء الفن والفنانين. فقد التقى براقصة زنجية تدعى (مونيك) ومعروفة بلقب (زيزي أيساتا) أقام معها علاقة غرامية عابرة قبل التعرف على المزيد من الفنانين والممثلين الصاعدين وإقامة علاقات صداقة طيبة مع عدد منهم. وفي أيار ١٩٥٧ – عندما بلغ ديلون عامه الثاني والعشرين – قامت (بريجيت أوبير) باصطحابه لحضور مهرجان كان السينمائي (١٩٥٧) حيث جمعته بعدد آخر من الممثلين الطموحين ومنهم (جان كلود بريالي) وسرعان ما توطدت علاقة صداقة قوية وطويلة بين الرجلين.

* * *

يبدو أن وسامة آلان ديلون المتميزة وطول قامته (١٨٠ سم) وقوامه الرياضي شكلت المؤهلات التي ساعدته على تلقي بعض العروض الفورية للعمل في المجال السينمائي. فقد تعرّف خلال وجوده في مهرجان كان إلى مستكشف المواهب الأمريكي الشهير (هنري ويلسون) (١٩١١–١٩٧٨) الذي كان يعمل لصالح هوليوود. لعب (ويلسون) دوراً كبيراً في اكتشاف عدد من المواهب الشابة التي تميّز أصحابها بالوسامة الملفتة للأنظار، أمثال (روك هدسون) و(تاب هنتر) و(روبرت فاغنر) و(نيك آدمز) و(غاي ماديسون) و(تروي دوناهو) و(روي كالهون) و(كلينت ووكر) و(دوغ ماكلور) و(تاي هاردن) و(تشاد إيفريت). كما اكتشف (ويلسون) الممثلة (روندا فليمنغ) التي كانت في طريقها إلى مدرستها الثانوية في بيفرلي هيلز فأحضرها إلى المنتج الهوليوودي المعروف (ديفيد أو. سيلزنك) حيث تم تدريبها وإعدادها لترتقي سلم النجومية في هوليوود. ومن المعروف أيضاً عن (هنري ويلسون) مساهمته الكبيرة في إنجاح مهنة نجمة هوليوود المتألقة (لانا تيرنر).

من المؤكد أن وسامة آلان ديلون هي التي دفعت بمستكشف المواهب (ويلسون) إلى إخضاعه لاختبار تمثيلي لصالح المنتج (سيلزنك). اجتاز ديلون ذلك الاختبار ونال إعجاب (سيلزنك) الذي عرض عليه توقيع عقد للعمل لمدة سبع سنوات في هوليوود شريطة أن يتقن ديلون الإنكليزية، وبالفعل باشر ديلون لدى عودته إلى باريس بدراسة اللغة الإنكليزية. وفي تلك الأثناء قام (جان كلود بريالي) بتقديم ديلون إلى المخرج الفرنسي (إيف أليغريه) الذي لم يتردد في منحه فرصته الأولى للدخول إلى عالم التمثيل والسينما بالرغم من افتقاره لأية خبرة في التمثيل (شأنه في ذلك شأن معظم الممثلين الناشئين).

مع أن عرض (ديفيد أو. سيلزنك) كان مغرياً وتميز باستمرارية العمل والمزايا الأفضل، إلا أن ديلون فضل عدم الذهاب إلى هوليوود واختار البقاء في فرنسا ليبدأ مهنته التمثيلية في الدور الصغير الذي أسنده إليه المخرج (إيف أليغريه) في فيلمه "*عندما تتدخل المرأة*" (١٩٥٧) الذي حمل عناوين مختلفة لدى إصداره، حيث أطلق عليه في إيطاليا عنوان "*غودو*" وفي إنكلترا *أرسل المرأة حين يفشل الشيطان*" وفي الولايات المتحدة "*عندما ترتبك المرأة*". لعب ديلون في هذا الفيلم البوليسي المصور بالألوان وبلغت مدته ٩٠ دقيقة دوراً بشخصية قاتل مأجور يدعى جو يستدعيه صاحب ملهى ليلي اسمه هنري غودو (جان سيرفيه) كي يتخلص من بوبي (إيف دينيو) الذي يتآمر مع ماين (إيدويغ فويلير)، عشيقة غودو. مع أن هذا الفيلم ضم لفيفاً من نجوم السينما الفرنسية بالإضافة إلى بعض الوجوه الواعدة، أمثال ديلون و(برونو كريمر) والحسناء (صوفي دومبير) التي لعبت الدور الرومانسي الرئيس في الفيلم بشخصية (كوليت)، إلا أن الفيلم لم يكن مميزاً عن غيره من أفلام تلك الفترة باستثناء محاولة المخرج (إيف أليغريه) الدمج بين النمط الكوميدي ونمط الفيلم الأسود (فيلم نوار) ومع ذلك كانت النتيجة مجرد عمل سينمائي تقليدي. وفي يومنا هذا لا يجذب "*عندما تتدخل المرأة*" عشاق السينما سوى ظهور آلان ديلون في باكورة أدواره على الشاشة الفضية، علماً بأن اسم ديلون جاء في الترتيب الثالث عشر في آخر قائمة ممثلي الفيلم.

لقد سجل هذا الفيلم لآلان ديلون بداية مهنته السينمائية الطويلة التي ضمت نحو ٨٥ فيلماً سينمائياً تحت إرشاد وتوجيه أشهر المخرجين السينمائيين الفرنسيين والأوروبيين، أمثال (مايكل أنجلو أنتيوني) و(لوتشينو فيسكونتي) و(رينيه كليمان) و(هنري فيرنويل) و(لوي مال) و(جاك ديراي) و(خوسيه جيوفاني) و(جان بيير ميلفيل) وغيرهم.

لم تمضِ سوى بضعة شهور فقط على ظهور آلان ديلون في فيلم "*عندما تتدخل المرأة*" (تشرين الثاني ١٩٥٧) حتى أسند إليه المخرج (مارك أليغريه) – الشقيق الأكبر للمخرج (إيف أليغريه) – دوراً آخر في فيلم "*شقراء للمخاطر*" (١٩٥٨) والذي حمل عنواناً مختلفاً أيضاً لدى عرضه في إنكلترا "*مجرد وجه جميل آخر*". سجل هذا الفيلم الكوميدي المصور بالأبيض والأسود أول تعاون مشترك للنجمين الصاعدين ديلون و(جان بول بلمندو) – الذي نافس ديلون في شعبيته في عقد الستينيات. يؤدي ديلون و(بلمندو) دور شابين جانحين – لولو (ديلون) وبييرو (بلمندو) – يكسبان رزقهما بطرق ملتوية وغير مشروعة من خلال تهريب كاميرات التصوير عبر الحدود إلى ألمانيا.

يتناول الفيلم قصة حسناء يتيمة بارعة الجمال لكنها متمردة وصعبة المراس تدعى فرجيني (وهي الشخصية التي جسدتها الممثلة الفاتنة الشقراء "ميلين ديمونجو") تهرب من الإصلاحية مع فتاة أخرى تدعى أولغا وذلك بمساعدة عشيق أولغا الشاب الوسيم لولو (آلان ديلون) الذي يحضر بسيارة ربّ عمله دون دراية منه بوجود رشاش مخبأ في صندوق السيارة ويبدو أنه مخصص للاستعمال في عمليات السطو وسرقة المجوهرات. تبدأ الشرطة

بمطاردتهم وتتطوع فرجيني بتسليم نفسها كي تفسح المجال أمام أولغا وعشيقها لولو للتواري عن الأنظار في أسرع وقت ممكن. تتطور الأحداث وتتورط فرجيني مع عصابة متخصصة في سرقة وتهريب المجوهرات، لكن غرامها غير المتوقع بمحقق الشرطة الوسيم جان موريل (هنري فيدال) وزواجها منه يشكل عقبة تعيق من مزاولة نشاطها مع العصابة. ثم تزداد الأمور تعقيداً مع ظهور زعيم العصابة شامبرلين (روجر هانين) الذي لا يعرف الرحمة.

مع أن *"شقراء للمخاطر"* أصبح الآن في عداد الأفلام المنسية، إلا أن عشاق السينما مازالوا يربطون بينه وبين الأدوار التي لعبها ديلون و(بلمندو) في فترات لاحقة، لكن يمكن القول بأنه فيلم لطيف وممتع ويظهر مدى الانسجام الواضح بين (ديلون) و(بلمندو) كثنائي رائع حتى في هذه المرحلة المبكرة من مشوارهما الفني الطويل في عالم التمثيل مع أن أياً منهما لم يظهر الكاريزما والزخم الكبير الذي ارتبط بشخصيتيهما في السنوات اللاحقة حين تصدّر كل منهما نجومية السينما الفرنسية.

* * *

في كانون الأول ١٩٥٨ لعب ديلون أول دور بطولة رئيسي أمام الممثلة الجميلة (رومي شنايدر) في الفيلم الرومانسي *"كريستين"*، إخراج وسيناريو (بيير غاسبار ويت). تدور أحداث هذا الفيلم المقتبس عن مسرحية "ليبيلي" للمؤلف (آرثر شنيتزلر) في فيينا عام ١٩٠٦ ليرصد قصة حب مأساوية تبدأ حين تقع الحسناء كريستين (رومي شنايدر)، التي تنتمي لأصل متواضع، بغرام الضابط النمساوي الشاب فرانز لوبهاينر (آلان ديلون) الذي يكون منغمساً بعلاقة غرامية سرية مع البارونة المتزوجة لينا إيغرسدورف (ميشلين بريسلي) التي تكبره سناً. عندما يكتشف البارون (جان غالان) خيانة زوجته يحاول استدراج لوبهاينر إلى مبارزة مصيرية ليرد فيها اعتباره مع أن اهتمام لوبهاينر بالبارونة يتبخر ولم يعد يشكل أي تهديد لشرف البارون بعد هيامه بكريستين وتطور العلاقة بينهما إلى قصة حب عاصفة.

لكن لوبهاينر يلاقي حتفه في المبارزة ولا تحتمل كريستين وقع الصدمة، لاسيما أنها تجهل علاقة عشيقها الراحل بالبارونة إيغرسدروف فتقرر الانتحار للالتقاء به في الحياة الأخرى. في الحقيقة إن الديكورات الرائعة والمناظر الخلابة والتناغم الساحر بين بطلي الفيلم، ديلون و(شنايدر)، هي المقومات التي تشد إليها مشاهدي هذه الدراما الرومانسية العادية بحبكتها البسيطة التي تبدو نسخة معدلة ومصورة بالألوان عن مسرحية شكسبير "روميو وجولييت".

بعد أدائها دور البطولة مع ديلون في فيلم *"كريستين"*، أصبحت شعبية (رومي شنايدر) واسعة جداً في فرنسا. كانت (شنايدر) المولودة في ٢٣ أيلول ١٩٣٨ ممثلة محترفة نسبياً بالمقارنة مع ديلون الذي يكبرها بثلاث سنوات تقريباً. فقد سجلت أول ظهور لها على الشاشة الفضية وهي في ربيعها الرابع عشر فقط في فيلم *"عندما يزهر البنفسج ثانية"*. كما تنتمي (رومي شنايدر)، وهي ألمانية – نمساوية الأصل، إلى عائلة من الفنانين. فوالدها هو الممثل النمساوي (وولف ألباخ ريتي) ووالدتها الممثلة السينمائية الألمانية (ماجدة شنايدر)، وكذلك جدتها – والدة أبيها – (روزا ألباخ ريتي) كانت ممثلة مسرحية أيضاً.

يبدو أن جزءاً من قصة فيلم *"كريستين"* قد تُرجم على أرض الواقع خلال تصوير الفيلم حين أغرمت (رومي شنايدر) بديلون في الحياة الواقعية وتطورت بينهما قصة حب جارفة تكللت بإعلان الخطوبة رسمياً في آذار ١٩٥٩. غادرت (شنايدر) مكان إقامتها الدائم في النمسا بعد إعلان الخطوبة واتجهت إلى فرنسا كي تكون قريبة من ديلون.

من المعروف أن (شنايدر) ذاع صيتها على المستويين المحلي والعالمي عام ١٩٥٥ في أدائها المتألق في بطولة الثلاثية التاريخية لفيلم السيرة الذاتية "*سيسي*" للمخرج (إرنست ماريشكا) الذي يصوّر فيه قصة حياة الإمبراطورة (سيسي) أو (إليزابيث)، إمبراطورة النمسا. أصبحت (شنايدر) بعد هذا الدور الناجح ألمع وأجمل وجه على الشاشة النمساوية وتمتعت بسحر خاص أسرت بوساطته قلوب المعجبين الذين رأوا فيها صورة مشابهة للإمبراطورة إليزابيث، إمبراطورة بافاريا المعروفة بلقب (سيسي)، وهي زوجة آخر إمبراطور نمساوي (فرانز جوزيف). ولعل الحياة القصيرة التي عاشتها الإمبراطورة عكست صورة مشابهة أيضاً لحياة (رومي شنايدر) الغامضة والمضطربة.

وقد عرضت استوديوهات "بارامونت" الأمريكية على (رومي شنايدر) توقيع عقد لمدة ثلاث سنوات لكن رفض والدتها لهذه الفكرة حرمها من مستقبل واعد في هوليوود. لكن (رومي شنايدر) لم تتردد هذه المرة في التخلي عن الرفاهية التي تمتعت بها في السينما النمساوية وعن الشعب النمساوي المفتون بها عندما تطورت علاقتها بآلان ديلون ولحقت به إلى باريس وسط استياء المعجبين بها الذين رضخوا آخر الأمر لرغبة نجمتهم المحبوبة في الخروج عن دائرة السينما النمساوية والانتقال النوعي من دورها الناجح جداً في الثلاثية التاريخية "*سيسي*" إلى الأفلام الترفيهية البسيطة مع ديلون في فرنسا مع أنها لم تتمكن من الانسلاخ بسهولة عن صورة الحسناء الأرستقراطية التي لازمتها لفترة طويلة في أذهان المشاهدين والمنتجين السينمائيين على حد سواء، لكنها نجحت أخيراً في التغلب على تلك الصورة النمطية الملازمة لشخصيتها عندما عرض عليها (فريز كورتنر) أداء دور في الفيلم التلفزيوني "*مهمة السيسترانا*" المقتبس عن مسرحية لأعظم شعراء الكوميديا في الأدب الإغريقي القديم (أريستوفان).

بعد النجاح الذي أحرزه ديلون في فيلم "*كريستين*"، لعب دور البطولة في فيلم مصور بالألوان، إخراج وسيناريو (ميشيل بواسرون) حمل عنوان "*نساء ضعيفات*" وجرى إصداره في ١١ شباط ١٩٥٩، علماً بأنه حمل عنواناً مختلفاً لدى عرضه في الولايات المتحدة "*القاتلات الثلاث*". تستعرض أحداث هذا الفيلم الكوميدي الذي اشتركت في بطولته ثلاث من أجمل النجمات الفرنسيات افتتان كل واحدة منهن وسعيها المحموم والجريء للفوز بقلب شاب يتمتع بوسامة سحرية لا تقاوم يدعى جوليان فينال (آلان ديلون). فالشقراء الفاتنة (ميلين ديمونجو) ظهرت بدور الحسناء (سابين) التي تنجح في رمي شباكها حول ديلون، أما (باسكال بيتيت) فتلعب دور الحسناء (أغاث)، المتزوجة منذ عهد قريب لكنها مازالت تستحوذ على اهتمام فتاها السابق (ديلون)، في حين تظهر (جاكلين ساسارد) بدور (هيلين ماروني)، الفتاة التي نشأت في دير إلا أنها تنساق وراء سحر المستهتر جوليان فينال الذي يتخلى عنها ويلتفت إلى غيرها من الحسناوات. وقد أظهر ديلون في هذا الدور موهبة كوميدية غير مسبوقة في أعماله القليلة الصادرة لغاية ١٩٥٩.

على رغم اعتقاد بعض نقاد السينما الفرنسية بأن المخرج (ميشيل بواسرون) قد كثف جهوده كلها لترويج صورة واسم النجم الصاعد آلان ديلون في هذا الفيلم الذي تفتقر حبكته وقصته وحواره للمقومات الفنية الراقية، إلا أن "*نساء ضعيفات*" نال شعبية ملحوظة لدى عرضه في الولايات المتحدة. من جهة ثانية، رأى البعض الآخر أن الفيلم كان مقبولاً بكل المقاييس من جميع جوانبه آخذين بعين الاعتبار أسلوب (بواسرون) المتميز في تناول مواضيعه الكوميدية. فمن المعروف عن المخرج والكاتب الفرنسي (ميشيل بواسرون) (٩ تشرين الأول ١٩٢١ – ١٠ تشرين الثاني ٢٠٠٢) جهوده الرامية إلى صنع الأفلام الكوميدية والرومانسية المتميزة والمنافِسة لغيرها من أفلام هذين النمطين السينمائيين خلال مهنته في صناعة الأفلام الممتدة على خمسة عقود من الخمسينيات إلى التسعينيات، علماً بأنه تتلمذ على يد عدد من كبار المخرجين السينمائيين، أمثال (جان دالانوي) و(رينيه كلير) و(كوكتو)، وقام بإخراج أول أفلامه عام ١٩٥٥ بعنوان "*فتاة شقيّة*"، بطولة (بريجيت باردو).

لقد استغل ديلون الأجر الجيد الذي تلقاه عن أدائه في فيلم "*نساء ضعيفات*" بشراء مزرعة واسعة وفاخرة في إحدى ضواحي باريس المعروفة باسم "دوشي". فقد كانت هذه بداية تزايد دخل ديلون المادي وارتفاع أجوره واكتسابه الثروة بسرعة كبيرة أكثر من باقي زملائه الأقدم في الوسط الفني.

كما أسند المخرج (ميشيل بواسرون) دوراً جديداً لآلان ديلون في فيلم "*طريق الشباب*" الصادر في ٢٣ أيلول من العام ذاته (١٩٥٩). يستعرض هذا الفيلم الذي شارك ديلون في بطولته تداعيات الاحتلال الألماني لفرنسا بتسليط الضوء على الجوانب المظلمة في تلك الحقبة، كالسوق السوداء وحفلات الترف والبذخ التي يقيمها الاستغلاليون المنتفعون من الحرب في الوقت الذي يتضور فيه الباريسيون جوعاً. ثم تنتهي الأحداث بخاتمة تقليدية تنطوي على نشر المبادئ والقيم الأخلاقية. اعتقد النقاد أن الأمر الوحيد الذي أنقذ هذا الفيلم من الفشل الذريع بسبب ضعف جوانبه الفنية هو ظهور كوكبة من الوجوه اللامعة التي لعبت الأدوار الرئيسية، بمن فيهم (فرنسواز أرنول) بدور (إيفيت) وآلان ديلون بدور (أنطوان ميشو) و(بورفيل) بدور (شارل ميشو) و(جان كلود بريالي) بدور (بول).

(٢)

أول خطوة على درب الشهرة العالميـة ...

إن ارتقاء ديلون لسلم النجومية كان سريعاً على عكس العديد من نجوم هوليوود، بمعنى أنه لم يضطر لأداء الأدوار الثانوية لفترة طويلة كي تسنح له فرصة الظهور في أدوار رئيسية. ففي أقل من سنة واحدة فقط بدأ ديلون بأداء الأدوار الرئيسية التي عجّلت من صعوده سلم الشهرة خصوصاً حين أسند إليه عدد من كبار المخرجين المعروفين على المستوى العالمي أدواراً بارزة في أفلامهم.

فبعد ظهور ديلون في خمسة أفلام جرى إصدارها في أقل من ثلاث سنوات – بدأها بـ "*عندما تتدخل المرأة*" (١٩٥٧) و"*شقراء للمخاطر*" (١٩٥٨) و"*كريستين*" (١٩٥٨) و"*نساء ضعيفات*" (١٩٥٩) و"*طريق الشباب*" (١٩٥٩) – استطاع ترسيخ اسمه على الشاشة الفرنسية وتسجيل ظهوره على صعيد السينما العالمية بشكل فعلي لأول مرة عام ١٩٦٠ حين جذب انتباه نقاد السينما بأدائه المتميز في فيلم "*شمس ساطعة*" للمخرج (رينيه كليمان)، ثم ردفه بحضور أقوى في العام ذاته (١٩٦٠) في التحفة السينمائية الأوبرالية الواقعية "*روكو وأخوته*" للمخرج الإيطالي الكبير (لوتشينو فيسكونتي).

لقد جاء آلان ديلون من دون أية خبرة احترافية سابقة ليجسّد بكل براعة شخصية الشاب المفعم بالحيوية الذي يغلب عليه معظم الأحيان طابع اللص أو الوغد المحبب إلى قلوب الجمهور. ثم تحول إلى نجم سينمائي في ١٩٦٠ عندما أسند إليه المخرج (رينيه كليمان) دور البطولة الرئيسي في فيلم الإثارة والتشويق "*شمس ساطعة*" الذي حقق فيه ديلون نجاحاً باهراً وتألق بأدائه الذي رسخ صورة ديلون ضمن إطار شخصية "الملاك الشرير" صاحب الأعصاب الباردة، وهي الصورة النمطية التي لازمته خلال السنوات التالية وواجه صعوبة كبيرة في الانسلاخ عنها. "*شمس ساطعة*" فيلم مقتبس عن الرواية البوليسية "السيد رايبلي الموهوب" للكاتبة (باتريشيا هايسميث).

شكل هذا الفيلم الذي حقق نجاحاً دولياً ملموساً دراسة سيكولوجية عن الشرّ وتسليط الضوء عليه بتصويره تحت نور "الشمس الساطعة" حيث تألق نجم ديلون في أداء دور الوغد (توم رايبلي)، وهو رجل أمريكي مضطرب

نفسياً يرتكب جريمة قتل ويسافر خارج الولايات المتحدة ثم ينتحل شخصية ضحيته. اشترك مع ديلون في بطولة الفيلم بعض الوجوه اللامعة في السينما الفرنسية أمثال (موريس رونيه) و(ماري لافوريه). يستعرض *"شمس ساطعة"* قصة توم رابيلي (ديلون) الذي يتلقى عرضاً من السيد غرينليف (موريس رونيه) الثري لاستعادة ابنه المستهتر فيليب من أوروبا وذلك مقابل مكافأة مالية بقيمة ٥٠ ألف دولار. يعثر توم على فيليب الذي يحاول خداعه ويماطله متظاهراً بأنه سيعود معه إلى الولايات المتحدة بناء على رغبة والده، إلا أنه في الواقع لا ينوي التخلي عن الحسناء مارج دوفال (ماري لافوريه) التي يرغب في الاقتران بها.

بعد انقضاء فترة لا بأس بها من مماطلات فيليب، يعتبر السيد غرينليف أن المهمة قد فشلت وبالتالي يلغي فكرة المكافأة المتفق عليها. لكن توم يلجأ إلى قتل فيليب بدافع اليأس والغيرة على متن يخته وينتحل شخصيته ويتمكن بذلك من أن يعيش حياة الترف والبذخ والاستهتار التي كان يعيشها المغدور فيليب، وهذا ما يتطلب منه توظيف كل مهاراته الإجرامية في الاحتيال والمراوغة للاستئثار باهتمام مارج والفوز بقلبها من جهة، وكي يبقى في منأى عن متناول أصدقاء الراحل فيليب والحيلولة دون الوقوع في قبضة الشرطة من جهة أخرى، لكن النهاية تشكل مفاجأة غير متوقعة لتوم وللمشاهدين على حد سواء.

خلال تصوير الفيلم الذي استغرق نحو أربعة شهور، إذ بدأ التصوير في آب ١٩٥٩ وانتهى في كانون الأول من العام ذاته، قامت (رومي شنايدر) بزيارة خطيبها ديلون لبضعة أيام، فطلب منها المخرج (كليمان) الظهور في الفيلم كضيفة شرف ولو للحظات قليلة. وهذا ما حصل بالفعل، فقد ظهرت (شنايدر) في بداية الفيلم بمشهد قصير مع (موريس رونيه) و(بيلي كيرنز).

أما الدور الذي أكسب ديلون الشهرة على المستوى العالمي فكان في رائعة صانع الأفلام الإيطالي (لوتشينو فيسكونتي) *"روكو وأخوته"* (١٩٦٠) الذي فاز بجائزة التحكيم الخاصة في مهرجان البندقية السينمائي. لعب ديلون في هذا الفيلم الناطق بالإيطالية دوراً مختلفاً تماماً عن أدواره السابقة بشخصية المهاجر الصقلي الوفي (روكو باروندي) الذي يقدّم كل التضحيات من أجل الحفاظ على روابط عائلته والحيلولة دون تفككها. تدور أحداث هذا الفيلم المصوَّر بالأبيض والأسود في مدينة ميلانو بإيطاليا حين تغامر الأرملة الفقيرة روزاريا (كاتينا باكسينو) بعد وفاة زوجها بالانتقال من أرياف الجنوب الإيطالي إلى مدينة ميلانو مع أبنائها الأربعة: سايمون (ريناتو سالفاتوريه) وروكو (آلان ديلون) وتشيرو (ماكس كارتيير) ولوكا (روكو فيدولاتسي) بحثاً عن حياة أفضل. أما ابنها البكر فينسنزو (سبيروس فوكاس) فيكون بانتظارهم في ميلانو، لكنه مشغول بزفافه الوشيك من الحسناء جينيتا (كلوديا كاردينالي) – وهو من أدوارها الأولى قبل أن تصبح نجمة ذائعة الصيت على المستوى العالمي.

يسرد هذا الفيلم - الذي يتألف من أربعة فصول غير مترابطة في أحداثها بحيث يركز كل فصل على أحد هؤلاء الأشقاء الأربعة - تاريخ صراع عائلة باروندي في هذه الحياة الجديدة، حيث ينخرط الأخوة باروندي في أعمال مختلفة بينما تحاول العائلة ككل احتمال العيش في حي ضيق ومزدحم. يركز النصف الثاني من الفيلم على سايمون وروكو (ديلون). يتمكن سايمون ذو الطبيعة القاسية آخر المطاف من تحقيق النجاح في ميدان الملاكمة فتنتقل العائلة للسكن في حي أفضل. وفي هذه الأثناء يتم استدعاء روكو إلى الخدمة العسكرية، ثم يصبح ملاكماً ناجحاً أيضاً لدى عودته. تتعقد الأمور عندما تدخل بائعة الهوى ناديا (آن جيراردو) حياتهم، حيث يكون سايمون أول من يقع في غرامها ثم يحظى شقيقه الأصغر روكو باهتمامها، ما يثير المنافسة بين الشقيقين إلى أن يقْدِم سايمون على

اغتصاب ناديا على مرأى من روكو الذي يضحي بحبه لها من أجل سايمون وحرصه الشديد على عدم حصول أي أمر يؤدي إلى تفكك العائلة. بالطبع لا ينتهي الفيلم بحلّ ملموس لمشكلات روكو وأخوته وذلك تمشياً مع أسلوب المخرج (فيسكونتي) الذي كان يساهم مع أقرانه من المخرجين الإيطاليين في تأسيس حركة الواقعية الجديدة في السينما الإيطالية. ومن الجدير بالذكر أنه أثناء تصوير الفيلم، طلبت سلطات الرقابة من المخرج (فيسكونتي) حذف مشهد اغتصاب ناديا ومقتلها.

لاقى ديلون عن أدائه في هذا الفيلم استحسان وثناء النقاد على المستوى العالمي. فقد أشاد الناقد السينمائي الشهير (بوسلي كراوثر) من صحيفة "نيويورك تايمز" بأداء ديلون في فيلم "*روكو وأخوته*" بقوله "كان أداؤه رائعاً ومؤثراً ومعبّراً لأبعد الحدود"، في حين قال الناقد المعروف (جون بوفورت) من صحيفة "كريستشان ساينس مونيتور" عن ديلون "إن صمود روكو المؤثر الذي يفطر القلوب لما يقدمه من تضحيات إنما يضفي على الفيلم قمة لحظاته التراجيدية التهكمية ... وتكمن مصداقية موضوع الفيلم وفكرته الرئيسية في الأداء القوي الذي قدمه السيد آلان ديلون".

* * *

توجّهت (رومي شنايدر) إلى ميلانو لزيارة خطيبها ديلون خلال تصوير فيلم "*روكو وأخوته*" حيث التقت لأول مرة بالمخرج (لوتشينو فيسكونتي). وقد كان لهذا اللقاء أثر كبير ودائم على (شنايدر) من الناحية المهنية، بالإضافة إلى قيام علاقة عمل وثيقة بين (فيسكونتي) و(شنايدر) من جهة، وتطور صداقة متينة بين (فيسكونتي) وديلون من جهة ثانية.

ففي ١٩٦١ تمكن (فيسكونتي) من إقناع (رومي شنايدر) – التي لم يسبق لها أن وافقت على قبول أي تدريب أو دروس في التمثيل – تمكن من إقناعها لصعود خشبة المسرح وتلقيها بعض الدروس من (فيسكونتي) نفسه. وأثمرت جهود (فيسكونتي) بأن جعلها تقف على خشبة المسرح بثقة كما تفعل أمام عدسة الكاميرا. لكن التمرين المرهق والمتكرر انعكس سلباً على صحتها حين بدأت تعاني من الوهن والأرق ومضاعفات صحية أخرى جعلتها تخضع آخر الأمر لعملية جراحية من أجل استئصال الزائدة الدودية. ثم ضم (فيسكونتي) إليها آلان ديلون – وهي المرة الأولى التي يصعد فيها ديلون خشبة المسرح أيضاً– وكانت النتيجة ظهور ديلون و(شنايدر) عام ١٩٦١ في مسرحية "*للأسف إنها عاهرة*" للكاتب (جون فورد) وإخراج (لوتشينو فيسكونتي) ونالت عنها (شنايدر) استحسان النقاد الفرنسيين الذين أثنوا على تحولها إلى ممثلة مسرحية جادة. واستمر عرض هذه المسرحية الناجحة في باريس ثمانية شهور متواصلة.

بعد التعاون الأول بين المخرج (رينيه كليمان) وآلان ديلون في فيلم الإثارة والتشويق الرائع "*شمس ساطعة*" (١٩٦٠)، اجتمع كلاهما ثانية في تعاون آخر عام ١٩٦١ بتصوير فيلم كوميدي بالأبيض والأسود ناطق بالإيطالية حمل عنوان "*متعة الحياة*" لكنه في الواقع كان خالياً من المواقف الهزلية بالرغم من تصنيف الفيلم ضمن النمط الكوميدي. فحبكة الفيلم تتناول محاولات الفاشيين اكتشاف دور النشر المسؤولة عن طبع وتوزيع المنشورات المناهضة للفاشية. تدور الأحداث في روما عام ١٩٢١ حيث يقرر أوليسيه (ديلون) وتوريدو (جيامبييرو ليتيرا) البقاء في المدينة الكبيرة والاستمتاع بمغريات الحياة فيها بدلاً من العودة إلى قريتهما، خصوصاً عندما يعلم أوليسيه بأمر مكافأة مجزية

رصدها الفاشيون لمن يستطيع كشف دور النشر المسؤولة عن طبع منشورات معادية للنظام الفاشي، فيتورط أوليسيه طمعاً بالمال ويعرض خدماته لتنفيذ المهمة.

يتمكن أوليسيه من التسلل إلى مطابع "أولينتو و فيغلي" التي تقف وراء توزيع تلك المنشورات المعادية للفاشية إلا أنه يدرك أن العائلة التي تدير المطبعة عائلة طيبة بالرغم من ارتباطها بمجموعة من المتمردين على النظام الفاشي المستبد، وهذا ما يثنيه عن التبليغ عن تورطهم أمام السلطات المعنية لاسيما أنه بالأصل لا يعير السياسة أي اهتمام حقيقي. ثم ينخرط أوليسيه في صفوف المتمردين بهدف التجربة لكن المحاولة تسفر عن اعتقال الجميع بمن فيهم أوليسيه الذي يتمكن من الفرار ثم ينتهي به المطاف إلى دخول السجن لدى ظهور إرهابيين حقيقيين وتفجير بعض القنابل التي لحسن حظ أوليسيه لا تتسبب في حدوث أية أضرار بما أنه بالأساس يمقت كافة أشكال العنف. تجدر الإشارة إلى أن (بربارة لاس) التي شاركت ديلون بطولة الفيلم بشخصية فرانكا فوساتي كانت في تلك الفترة متزوجة بـ (رومان بولانسكي) الذي أصبح لاحقاً مخرجاً سينمائياً معروفاً على المستوى العالمي. نال الفيلم ترشيحاً لجائزة السعفة الذهبية من مهرجان كان السينمائي ١٩٦١ لأفضل مخرج (رينيه كليمان).

* * *

عاد ديلون إلى فرنسا والسينما الفرنسية بعد إنجاز فيلمه "*متعة الحياة*" حين أسند إليه المخرج (ميشيل بواسرون) دوراً جديداً في فيلم رومانسي تاريخي حمل عنوان "*قصص حب مشهورة*" (١٩٦١)، مسجلاً بذلك تعاونه للمرة الثالثة مع ديلون بعد فيلمي "*نساء ضعيفات*" و"*طريق الشباب*" الصادرين في ١٩٥٩. اشترك في بطولة "*قصص حب مشهورة*" عدد من الأسماء التي تصدرت السينما الفرنسية في فترة لاحقة، ومنها (فيليب نواريه) و(بريجيت باردو) و(جان بول بلمندو)، بالإضافة طبعاً إلى آلان ديلون. يرصد الفيلم أربع قصص حب قصيرة يُعتقد أنها تستند في حبكاتها إلى وقائع تاريخية. تجري أحداث القصة الأولى في قصر فرساي حيث يختار الملك الفرنسي لويس الرابع عشر (فيليب نواريه) لنفسه خليلة جديدة لكن لوزون (بلمندو)، أحد فرسانه المستهترين، يتمكن من خداع الملك وينتزع منه تلك الحسناء لتصبح عشيقته. وفي نهاية القصة يكون الفشل والخسارة من نصيب كل من الملك والفارس.

ثم يسرد القسم الثاني من الفيلم قصة ميلودرامية تدور أحداثها في القرن التاسع عشر وتتناول الصراع الدائر بين سيدة أرستقراطية في خريف العمر تدعى جيني لاكور (سيمون سينوريه) وعشيقها الأصغر منها سناً رينيه دو لاروش (بيير فانيك) الذي يريد التخلي عنها، فتقوم جيني برش الأسيد على وجهه انتقاماً لخيانته.

أما القصة الثالثة من الفيلم والأكثر إثارة بين القصص الأربع فتدور أحداثها في القرون الوسطى في منطقة "بايرن" حيث نشاهد ابنة حلاق بسيط بارعة الجمال (بريجيت باردو) وكيف تصبح هدفاً لاهتمام ومشاعر الأمير ألبرت (آلان ديلون)، في حين يستهدفها بعض الأهالي وعلى رأسهم والد الأمير الذين تدفعهم الغيرة لاتهامها بالسحر والشعوذة، فتنتهي القصة نهاية حزينة.

وفي القصة الرابعة والأخيرة من فيلم "*قصص حب مشهورة*" تتنافس ممثلتان (إدويج فويلير و آن جيراردو) في القرن التاسع عشر في عهد نابليون على أداء دور رئيسي في مسرح "تالما"، ثم تتحول المنافسة إلى صراع فظيع يتأجج بتنافس الممثلتين على الفوز بقلب بارون ثري.

على الرغم من النقد السلبي والإيجابي الذي لاقاه ديلون حول أدائه في باكورة أعماله السينمائية إلا أنه تمكن من جذب اهتمام أبرز صانعي الأفلام في تلك المرحلة – أمثال (مايكل أنجلو أنتيوني) و(لوتشينو فيسكونتي) وغيرهما – الذين أدركوا بفعل نظرتهم الفنية الثاقبة تلك المواهب الكامنة في شخصية ديلون وأرادوا بلورتها وإعطاءها الزخم اللازم من خلال إشراك ديلون في أعمال ذات طابع سينمائي مختلف عن الأفلام البوليسية التي ظهر فيها لغاية ذلك التاريخ، وبالتالي ساهموا في منح ديلون شهرته العالمية. فقد أسند إليه (أنتيوني) دوراً رئيسياً في فيلمه "*الكسوف*" (١٩٦٢) أمام النجمة الإيطالية (مونيكا فيتي)، ما جعل اسم ديلون يرتبط بثلاثية (أنتيوني) الخالدة التي بدأها بفيلميه السابقين "*المغامرة*" (١٩٦٠) و"*الليل*" (١٩٦١). ففيلم "*الكسوف*" الذي شارك ديلون ببطولته أصبح من روائع السينما العالمية نظراً لأهميته البالغة في عرض دراسة معمقة عن انعزالية الفرد واغترابه الروحي في العصر الحديث.

لقد استطاع (أنتيوني) بموضوعاته العصرية الضرورية المنحازة إلى الطبيعة والمتسمة بالاحتجاج، استطاع إيقاظ الجمهور النائم وتحريك الغضب في مشاعر المشاهدين بإشاراته النادرة التي طورت السينما، وبتنبؤاته بانحطاط الحضارة الغربية بالجشع والغطرسة سواء في السياسة أو الحروب الغبية، والاعتداء على البيئة وتردي العلاقات الإنسانية. وفي فيلمه "*الكسوف*"، صوّر (أنتيوني) التأثيرات المادية وما تسببه من عزلة إنسانية بلغة سينمائية غير مسبوقة، خصوصاً الزوايا التي كان العشاق يلجؤون إليها وضجيج الحافلات والنوافير المطفأة وإفراغ الظلام في الشوارع وتلك النهاية التي يزرع فيها البياض الأثير في نهاية الشريط، حيث الاضمحلال الكلي للشخوص الذين بلعهم النقاء، فيما كانت مشاعرهم تتضاءل في هذا البياض كإشارة إلى "كسوف" الحس الإنساني.

ففي هذا الفيلم النفساني المعقد المصوَّر بالأبيض والأسود الذي قام (مايكل أنجلو أنتيوني) بإخراجه وشارك فيه أيضاً بكتابة السيناريو مع (إليو بارتوليني) و(تونينو غويرا)، بينما تولى إنتاجه (ريمون حكيم)، يؤكد (أنتيوني) بأن مراحل السكون الطويلة ليست سوى رسالة تفيد بأن الناس باتوا غير قادرين على التواصل فيما بينهم. يرصد فيلم "*الكسوف*" المعاناة التي تمرّ بها سيدة تدعى فيتوريا (مونيكا فيتي) نتيجة انهيار علاقتها غير المكتملة مع أحد المفكرين المعروف باسم ريكاردو (فرنشيسكو رابال). في تلك الأثناء يحاول بييرو (آلان ديلون)، وهو سمسار في سوق البورصة، رمي شباكه لإغواء فيتوريا التي تستسلم له بالتدريج وتبدأ بينهما علاقة غرامية. تتمتع شخصية بييرو بالكثير من الخصال الحميدة والبساطة بعيداً عن أية تعقيدات مع أنه مجرد سمسار في سوق الأوراق المالية ولا ينتمي لطبقة أولئك المفكرين البارزين، ويبدو أن فيتوريا تتمتع بالصفات ذاتها أيضاً، لكن المخاوف الكامنة في أعماقهما تحُوْل دون التعبير الصادق عن مشاعر حبهما وتعمل على إجهاض ديمومة العلاقة القائمة بينهما. شارك في بطولة الفيلم أيضاً (ليلى برينيون) بدور والدة فيتوريا و(روزانا روي) بدور أنيتا.

لقد كسر (مايكل أنجلو أنتيوني)، سيد الإخراج في الستينيات، كل القواعد وطالما أثار أسئلة لم يجب عنها أبداً وكان الوحيد في السينما الذي دفع بممثلين في أشرطته من دون شخصية واعتمد على التطور النفساني للحالة التي عكسها في الشاشة، ودمر حركة الكاميرا المعتادة وشذوذ زواياه كان متعمداً وشخصياته المركبة ساعدت على تشييد درع عاطفي بين الجمهور وشخوصه المحيرين، بمعنى أنه لم يقدم أشخاصاً سيئين أو جيدين، ولكنه جعلهم مطلقين ولعل ذلك ما يشكل لحظته الحاسمة في هدم المألوف في السينما.

إن ظهور ديلون في فيلم *الكسوف*" في هذه المرحلة المبكرة من مهنته في التمثيل السينمائي جعل اسمه مطروقاً بين صانعي الأفلام والمنتجين والنقاد وجمهور المشاهدين وأضفى صفة العالمية على نجوميته ووفر له مدخلاً واسعاً إلى فضاء عالم السينما الشاسع، حيث أظهر ديلون مدى إتقانه للغة الإيطالية من جهة، ومدى براعته في التكيّف مع الدور الجديد المسند إليه في هذا الفيلم الصعب لاسيما حين فاز *الكسوف*" بجائزة التحكيم الخاصة لدى عرضه في مهرجان كان السينمائي (١٩٦٢) بالإضافة إلى ترشيحه لجائزة السعفة الذهبية من المهرجان ذاته.

* * *

لقد ساهمت شهرة ديلون المتزايدة بوتيرة سريعة في تعزيز صورته كأوسم ممثل فرنسي ظهر على الشاشة الكبيرة لغاية ذلك التاريخ وسرعان ما أصبح "معشوق النساء" رقم واحد في كل مكان تعرض فيه أفلامه، ولعل هذا ما جعل ديلون يواجه صعوبة في الالتزام في حياته العاطفية أمام تلك المغريات. فخلال فترة خطوبته على (رومي شنايدر) وإقامتها في باريس شاعت الأقاويل عن قيام علاقة غرامية قصيرة الأجل بين ديلون والمطربة وعارضة الأزياء الألمانية الفاتنة (نيكو) (كريستا بافغن ١٩٣٨-١٩٨٨) و(نيكو) هو اسمها الفني. كانت (نيكو) من أعضاء الفرقة الموسيقية الشهيرة "ذا فيلفت أندرغراوند" (العالم السفلي المخملي). وفي عام ١٩٦٢ أنجبت (نيكو) طفلاً أطلقت عليه اسم (آري – كريستيان آرون) وأكدت بأنه كان ثمرة علاقتها الغرامية مع آلان ديلون الذي أنكر أبوته لهذا الطفل وثابر على موقفه حتى في المراحل اللاحقة من حياته، ما جعل والدة ديلون تتولى تربية الطفل. (من المعروف أن ديلون قطع صلته بوالدته بسبب رعايتها لابنه المزعوم "آري"، إلا أن المياه عادت إلى مجاريها عند وفاة زوج أمه في ١٩٨٨، وهو العام نفسه الذي توفيت فيه "نيكو" أيضاً).

* * *

كان عام ١٩٦٢ مميزاً بالنسبة لآلان ديلون. فقد كان مع (موريس رونيه) من المرشحين لأداء دور (شريف علي) في فيلم المخرج (ديفيد لين) *لورنس العرب*" وذلك حين اقترح منتج الفيلم (سام سبييغل) إسناد الدور لديلون بعد أن اجتاز الاختبار التمثيلي، بينما فشل المرشح الأول (موريس رونيه) بسبب لكنته الفرنسية الواضحة. وبالفعل بدأ ديلون بالتردد على حديقة الحيوانات في باريس يومياً ليتعلم ركوب الجمل، لكنه واجه مشكلة في استخدام عدسات لاصقة بنية اللون بما أن عيني ديلون الزرقاوين لاتتطابقان مع الملامح العربية لشخصية (شريف علي). ثم وقع الاختيار أخيراً على الممثل المصري (عمر الشريف) ليلعب هذا الدور نظراً لشعبيته المرسخة في البلدان العربية كنجم مصري مشهور، مع أن المخرج (ديفيد لين) كان قد أسند إليه بالأصل دور مرشِد لورنس، ولكن بعد أن تبين له عدم ملاءمة المرشحين ديلون و(رونيه) بالإضافة إلى (ديليب كومار) استقر الرأي بالمخرج (لين) والمنتج (سبييغل) على (عمر الشريف).

ضمّ جدول أعمال ديلون الحافل بالنشاطات في هذا العام، ظهوره في أول مسلسل تلفزيوني حمل عنوان *الكلب*"، وهو مسلسل حربي بالأبيض والأسود بثه التلفزيون الفرنسي في شهر آذار ١٩٦٢، قام بإخراجه (فرنسوا شاليه) وشارك في بطولته بعض نجوم الشاشة الصغيرة، أمثال (إيلك سومر) و(لويزون روبلان) و(ألبرت دينان).

كما شارك ديلون عام ١٩٦٢ في بطولة فيلم ضمّ سبع قصص مختلفة حمل عنوان *الشيطان والوصايا العشر*" للمخرج (جوليان دوفيفييه) الذي سجل في هذا الفيلم عودة ثانية لأسلوبه السابق في تصوير الأفلام الجامعة التي تحتوي على عدة قصص بحبكات مختلفة. و(دوفيفييه) معروف بهذا الأسلوب الناجح حيث قام سابقاً بإخراج "*حكايا مانهاتن*" و"*جسد وخيال*". أما في فيلمه *الشيطان والوصايا العشر*" فكل واحدة من قصص

الفيلم السبع تجسد بعضاً من تلك الوصايا العشر، مثل "ليس لديك آلهة قبلي" و"لا تسرق" و"برّ بوالديك" وغيرها من الوصايا. ومن المثير للاهتمام أن أبطال الفيلم هم من ألمع وجوه السينما الفرنسية وأبرز فنانيها، حيث نشاهد (ميشيل سيمون) في القصة الأولى؛ و(داني سافال) في القصة الثانية و(شارل أزنافور) و(لينو فنتورا) في القصة الثالثة؛ و(ميشلين بريسل) و(ميل فيرير) و(كلود دوفان) في القصة الرابعة؛ و(فرناندیل) في القصة الخامسة؛ وآلان ديلون و(دانييل داريو) في القصة السادسة؛ و(جان كلود بريالي) في القصة السابعة. كتب سيناريو هذا الفيلم المصور بالأبيض والأسود (ميشيل أوديارد) نقلاً عن رواية بقلم (ديفيد الكسندر).

تراوحت أعمال ديلون الصادرة في بداية الستينيات بين الأفلام المهمة التي اكتسبت شهرة عالمية، كفيلمي "*روكو وأخوته*" و"*الكسوف*"، والأفلام التقليدية التي نالت شعبية نسبية على المستوى المحلي، ومنها الفيلم الرومانسي اللطيف "*حب في البحر*" الصادر في (١٩٦٣)، إخراج وسيناريو (غاي جيل) وبطولة آلان ديلون و(دانييل موسمان) و(جنفييف تنييه) و(غاي جيل). يتناول الفيلم علاقة حب تنشأ بين بحّار وسكرتيرة حسناء لكن يبدو أن البحّار عاجز عن فهم مشاعره وعواطفه نحوها، ما يدفعه في النهاية إلى وضع حدّ لتلك العلاقة على العكس من الفتاة التي تشعر بالاطمئنان والأمان بعلاقتها معه في حين تبدو ثقة البحّار معدومة بالموضوع كله. لعل الشيء المميز في الفيلم هو استعماله للأساليب والتقنيات المتبعة في تيار "الموجة الجديدة"، ومنها على سبيل المثال تجميد الصورة على الشاشة ومزج المشاهد الملونة بمقاطع مصورة بالأبيض والأسود. وتجدر الإشارة إلى أن (رومي شنايدر) قد ظهرت في هذا الفيلم بشكل موجز كضيفة شرف.

بعد اشتراك ديلون في بطولة سلسلة من الأفلام الإيطالية الناجحة، عاد إلى نمط الأفلام البوليسية التي حظيت بشعبية واسعة في تلك الفترة وكان أهمها على الإطلاق فيلم "*الضربة الرابحة*" (١٩٦٣) الذي جمعه بالنجم الفرنسي المعروف (جان غابان) في قصة لص مسن متقاعد وتحالفه مع "وغد" (ديلون) في مقتبل العمر من أجل تنفيذ خبطة العمر. في الحقيقة إن هذا الفيلم حدد الاتجاه الذي ستسلكه مهنة ديلون التمثيلية حيث ارتبطت صورته بشخصية "الوغد" أو "اللص" في نمط الأفلام البوليسية التي لاقت رواجاً واسعاً بين عشاق السينما خلال عقد الستينيات. وبالفعل كان الفيلم البوليسي الناجح "*الضربة الرابحة*" بمثابة "الضربة الرابحة" لديلون على الصعيدين التجاري والفني.

يرصد هذا الفيلم المصوَّر بالأبيض والأسود الذي أخرجه (هنري فيرنويل) رجل عصابات طاعناً في السن بلغ عقده السادس يدعى شارل (جان غابان) خرج من السجن لتوه ويرفض اقتراح زوجته للعيش حياة هادئة بعيداً عن الماضي الأسود لأنه يعزم على تنفيذ آخر عملية سطو قبل اعتزال نشاطه في عالم الإجرام فيطلب من فرنسيس فيرلو (ديلون)، الشاب الذي كان شريكه في زنزانة السجن، أن يصبح شريكه أيضاً في عملية السرقة التي يخطط فيها للسطو على خزينة أحد النوادي الليلية الكبيرة في مدينة كان. لكن الحظ العاثر وافتقار فرنسيس للخبرة يؤديان إلى إفشال عملية السطو وتذهب الأموال المسروقة إلى مكان آخر بطريقة غير متوقعة بدلاً من أن تصبح في حوزة شارل وفقاً للخطة المرسومة بالأصل.

قد تبدو قصة فيلم "*الضربة الرابحة*" تقليدية بشكل عام إلا أن أداء الممثلين، وخصوصاً آلان ديلون علاوة على الحوار الذي كتبه (ميشيل أوديارد) بمنتهى البراعة، والميزانية الكبيرة المرصودة للإنتاج أضفى على الفيلم نكهة خاصة

من الإثارة والتشويق، ما جعله يفوز بالجائزة الأمريكية "إدغار آلان بو" (١٩٦٥) كأحسن فيلم أجنبي بالإضافة إلى ترشيح لجائزة "الكرة الذهبية" من الولايات المتحدة (١٩٦٥) كأفضل فيلم أجنبي أيضاً.

* * *

بعد التعاون الأول بين ديلون والمخرج الإيطالي الكبير (لوتشينو فيسكونتي) عام ١٩٦٠ في فيلم "*روكو وأخوته*"، عاد (فيسكونتي) عام ١٩٦٣ ليضع ديلون هذه المرة في تحفته التاريخية الرائعة *الفهد*" وأكثرها خصوصية بين ملاحمه التاريخية المعروفة والفائز بجائزة السعفة الذهبية من مهرجان كان السينمائي. الفيلم مقتبس عن رواية مشهورة للكاتب (غيوسيبه توماسي دي لامبدوسا) نشرت بعد وفاته عام ١٩٥٨ وتمت ترجمتها إلى كافة اللغات الأوروبية. شارك في بطولة هذا الفيلم كل من (بيرت لانكستر) و(كلوديا كاردينالي) و(باولو ستوبا).

تدور أحداث الفيلم في ستينيات القرن العشرين في صقلية حيث سادت الاضطرابات السياسية والاجتماعية في الوقت الذي اتجهت فيه إيطاليا المجزأة إلى إمارات نحو تأسيس الوحدة الوطنية. عندما تتمركز قوات الزعيم الثوري (غاريبالدي) في صقلية، يشعر الأمير دون فابرتسيو، أمير سالينا، (بيرت لانكستر) بأن عهده على وشك الاندثار وبأن ماضيه الأرستقراطي العريق لن يحظى بأي قيمة في ظلّ النظام الجديد الذي بات يشكل خطراً واضحاً على مكانته الاجتماعية الحالية من خلال رفض التقاليد الموروثة ونظام العائلات الحاكمة والتأكيد على انتقال السلطة إلى الطبقة البرجوازية الناشئة.

لكن الأمير فابرتسيو الذكي لا يلجأ إلى إثارة الخصومات والصراع حول انتقال السلطة وإنما يحاول بدهاء مواكبة التطورات الجارية لأنه على يقين من أن مسايرة النظام الجديد هي الطريقة الوحيدة التي تتيح له البقاء في هذا العالم الجديد الذي يضطر فيه "الفهد" النبيل إلى التنازل وفسح الطريق أمام "ابن آوى" الذي يمثل عامة الشعب. ومن هذا المنطلق، لا يعارض الأمير قرار ابن أخيه المحبب إلى قلبه تانكريدي فالكوفيري (آلان ديلون) للانضمام إلى جيش الزعيم (غاريبالدي) والقتال مع رجاله لفرض النظام الجديد الرامي إلى توحيد إيطاليا. عندما يعود تانكريدي إلى صقلية كبطل من أبطال الحرب، يحاول الأمير إقصاءه عن (غاريبالدي) ورجاله بأن يخطط لزواج تانكريدي، وتحت رعايته، من الحسناء أنجيليكا (كلوديا كاردينالي) ابنة محافظ صقلية الجديد دون كالوغيرو سيدارا (باولو ستوبا)، مع أن الأمير فابرتسيو يحتقر دون كالوغيرو لأنه حديث النعمة وقد جمع ثروته من بيع الأراضي خلال فترة الاضطرابات الاجتماعية التي حصلت مؤخراً إلا أنه يوافق على مضض على زواج ابن أخيه من تلك الفتاة آخذاً بعين الاعتبار قيمة هذا التحالف بالنسبة لتانكريدي المفلس. ولكن خلال حفلة راقصة تضم عليّة القوم من أبناء صقلية الأرستقراطيين، يتأمل دون فابرتسيو بواقعه الحالي ويدرك أن الأرستقراطية آيلة للزوال في أعقاب ظهور طبقة البرجوازية الجديدة ويرفض عرضاً ينقله إليه مبعوث حكومي كي يصبح سيناتوراً في البرلمان الجديد في "تورين"، لأنه يرضخ للأمر الواقع وبأن زمنه قد ولى إلى دون رجعة.

إن المخرج السينمائي والمسرحي والكاتب الإيطالي (لوتشينو فيسكونتي) (١٩٠٦-١٩٧٦) الذي ذاع صيته بين أتباع الواقعية الإيطالية الجديدة انحرف عن تيار تلك الحركة في بعض أفلامه عندما ربط بين المذهبين الرومانسي والواقعي الجديد في منتصف الخمسينيات، إلا أنه عاد إلى أسلوب الواقعية الجديد بشكل صرف في فيلمه "*روكو وأخوته*" (١٩٦٠). لكن أفلام (فيسكونتي) خلال عقد الستينيات أصبحت أكثر خصوصية كما هو الحال في فيلم *الفهد*".

توالت أعمال ديلون في ذلك العام (١٩٦٣) بصورة مكثفة، إذ لم ينته من تصوير دوره في فيلم "*الفهد*" حتى باشر بتصوير فيلم بوليسي كوميدي جديد بعنوان "*ضربة موفقة*" لعب فيه ديلون دور البطولة الرئيسي. كما اشترك مع ديلون في بطولة الفيلم (جان كلود بريالي) و(لويس دو فونيه). يستعرض الفيلم غطرسة مدير وكالة سفريات مستبد لايكف عن إرهاب موظفيه إلا أنه يستسلم في النهاية ويعلن استعداده للتخلي عن منصبه بينما يحاول أحد الموظفين الطامعين بالحصول على ترقية سريعة أن يحلّ محل المدير. لكن صدور قرار جديد يتعلق بسن التقاعد يجعل المدير الذي يستعد للاستقالة القيام بمهام غير متوقعة على الإطلاق على صعيد مهنة السياحة والسفر. تولى صانع الأفلام (مارسيل بلوال) إخراج هذا الفيلم الناطق بالإيطالية والمصور بالأبيض والأسود وكتب سيناريو الفيلم المنقول عن رواية للكاتب (فريد كاساك) السيناريست (بيير تشيرنيا).

(٣)
زوجة ديلون الأولى ...

تعرّف آلان ديلون على سيدة مطلقة في مقتبل العمر تدعى (ناتالي بارتليمي) في نادي "سانت هيلير" بباريس في بداية صيف ١٩٦٣. و(ناتالي) مواطنة فرنسية وُلدت في المغرب في الأول من آب ١٩٤١ باسم (فرانسين كانوفا) وذلك خلال فترة إقامة والديها في الدار البيضاء بالمغرب العربي. فوالدها (لويس كانوفا) من أصل جزائري كان يدير شركة نقل في المغرب، أما والدتها (أنطوانيت رودريغه) فهي من أصل إسباني. عندما بلغت (ناتالي) عامها الثامن عشر، التقت بجندي فرنسي أكبر منها بأربع سنوات يدعى (غاي بارتليمي) جرى استدعاؤه للانضمام الاحتياطي للقوات الفرنسية العاملة في الشمال الإفريقي. تطور التعارف بين (ناتالي) و(غاي) إلى علاقة غرامية انتهت بالزواج حيث عقد قرانهما في القنصلية الفرنسية في الدار البيضاء. بعد شهور قليلة أنجبت (ناتالي) طفلة ولكن سرعان ما تدهورت العلاقة بين الزوجين الشابين وانتهت بالطلاق في ١٩٦٣. احتفظ (غاي) بالطفلة بعد أن منحته المحكمة حق حضانتها، ما جعل (ناتالي) تقرر العودة إلى باريس قبل انتهاء إجراءات الطلاق – مع أنها قامت بعدة زيارات إلى المغرب بعد ذلك التاريخ لرؤية ابنتها.

يبدو أن هذا اللقاء الذي جرى بين ديلون و(ناتالي) لم يمرّ مرور الكرام ولم يكن مجرد لقاء عابر وإنما تطورت العلاقة بينهما بوتيرة سريعة. ففي صيف العام ذاته (١٩٦٣) وجّه إليها الدعوة لتلحق به إلى إسبانيا خلال تصوير فيلمه "*التوليب الأسود*" مع أنه كان مرتبطاً في تلك الفترة بخطيبته (رومي شنايدر). وذكر (شيفر)، وهو ممثل متخصص في أدوار المجازفة تعاون مع ديلون في بعض أفلامه السينمائية وأصبح أحد أصدقائه أيضاً في حياته الشخصية، ذكر عن قدوم (ناتالي بارتليمي) إلى موقع تصوير فيلم "*التوليب الأسود*" في إسبانيا قائلاً: "لقد ذهلت لظهورها المفاجئ في موقع التصوير ... ففي الليلة السابقة لمغادرتنا باريس، كنت أتناول العشاء مع ديلون وخطيبته (رومي شنايدر) و(جورج بوم) !!".

قام ديلون الذي أعجب بأجواء إسبانيا أيّما إعجاب خلال تصوير الفيلم باستئجار فيلا فاخرة في ضواحي العاصمة مدريد. لكن يبدو أنه لم يفلت من أعين رجال الصحافة الفضوليين الذين تكهنوا بانهيار العلاقة بين ديلون و(رومي شنايدر) بسبب انضمام (ناتالي) إليه في إسبانيا وإقامتها معه سراً في تلك الفيلا. على الرغم من كل

إجراءات الحيطة والحذر التي اتخذها ديلون لإبقاء علاقته الحميمية الجديدة بـ (ناتالي) بعيدة عن أعين الناس، تمكن أحد المصورين الصحفيين من التسلل إلى الفيلا والتقط بعض الصور لـ (ناتالي). علم ديلون بالأمر وسارع ببحث الموضوع مع مدير أعماله (جورج بوم) و(شيفر) وقرر ثلاثتهم التوجه إلى منزل المصور. وذكر (شيفر) عن ذلك الموقف بقوله: "في البداية اعتقدنا أن (جورج) قادر على حل مسألة هذه الصور الملتقطة خلسة بما أنه كان أكثرنا دبلوماسية في التعامل مع الآخرين، لكنه فشل في الحصول على فيلم التصوير من المصور الذي تردد في الاستجابة لمحاولات (جورج) ... فثار غضب ديلون وانتزع الكاميرا من يد المصور وأخرج منها فيلم التصوير." لكن القصة لم تنته عند هذا الحدّ. ففي ساعة متأخرة من ليلة اليوم ذاته حضر رجال الشرطة إلى فيلا ديلون في الواحدة بعد منتصف الليل واقتادوه إلى المخفر مكبل اليدين بتهمة اقتحام منزل المصور وإتلاف آلة تصويره، لكنهم أفرجوا عنه في ساعات الفجر الأولى بعد تدخل مدير أعماله (جورج بوم) في القضية.

تجاوز تصوير فيلم "*التوليب الأسود*" الفترة المحددة له في برنامج الإنتاج بسبب تركيز المخرج (جاك كريستيان) على دقائق وتفاصيل كثيرة في السيناريو، لكن هذا التأخير أتاح لديلون فرصة لقضاء وقت أطول مع (ناتالي). في تلك الأثناء لم ترغب (رومي شنايدر) بتصديق الأقاويل التي تناولتها الصحف والمجلات عن نبأ انهيار علاقتها بديلون. لكن هذه الأقاويل عززتها بعض الصور الملتقطة خلسة لديلون مع (ناتالي) أثناء تصوير فيلم "*التوليب الأسود*" في إسبانيا. فقد ظهر ديلون في إحدى تلك الصور وقد جلست (ناتالي) على ركبته في وضعية حميمية. ووفقاً لرواية الصحفية (فرانس روش)، التي كانت من صديقات (رومي) المقربات، أن (رومي) عبّرت عن أملها في البداية بأن تكون تلك الحادثة مجرد نزوة عابرة في حياة ديلون، لاسيما أنها كانت تتفهم وضعه كفنان مشهور ولديه آلاف المعجبات. لكن يبدو أن علاقته بتلك الحسناء (ناتالي) قد تجاوزت كل الحدود.

اجتمع ديلون بـ (رومي شنايدر) في روما قبل فسخ الخطوبة بينهما. وذكرت (رومي) عن ذلك اللقاء: "كان كل شيء يبدو طبيعياً بيننا ... ورافقته إلى المطار لأودعه قبل سفره إلى هوليوود. وتبادلنا الأحاديث عبر الهاتف كالمعتاد خلال الأيام القليلة الأولى بعد وصوله إلى الولايات المتحدة. كانت الأمور كلها تبدو على حالها ... لكن الشيء الوحيد الذي شعرت بأنه غير عادي على الإطلاق هو ظهور إشاعة تكرر صداها مرات عديدة في الصحف والمجلات عن نبأ خطوبة ديلون على تلك المرأة التي تدعى (ناتالي) ".

كان الفراق صعباً بالنسبة لديلون الذي لم يحتمل مواجهة (شنايدر) بقراره وإنما أنهى العلاقة معها برسالة "وداع". ووفقاً لرواية صديقة (شنايدر)، الصحفية (فرانس روش)، جاء (جورج بوم) إلى (شنايدر) بعد فترة قصيرة حاملاً لها رسالة مطولة من ديلون وقال لها: "حاولي يا (رومي) أن تستجمعي قواك الآن ..". فقد كانت تلك الرسالة رسالة "وداع" من ديلون. وقد أعلنت الصحفية (روش) نبأ فسخ الخطوبة بشكل رسمي بين ديلون و(شنايدر) في مجلة "فرانس سوار". وذكر الأصدقاء المقربون من (رومي شنايدر) أن وقع فسخ الخطوبة عليها شكل مأساة في حياتها. وقالت (روش) إن (رومي) بذلت ما في وسعها لتحقيق زواجها من ديلون الذي أكد لها في رسالته – وفقاً لرواية (روش) – بأن الأمر في غاية السهولة إذا استجابت لطلبه "... أرجو أن تصغي لي جيداً ... فالأمر في غاية البساطة ... سنتزوج بشرط أن نتوقف عن الشجار لثلاثة شهور متواصلة..!!".

لقد استمرت الخطوبة بين ديلون و(شنايدر) خمس سنوات، من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤، حين قرر ديلون فسخ الخطوبة. وينسب البعض فسخ هذه الخطوبة إلى اكتشاف (شنايدر) للعلاقة الغرامية بين ديلون والفنانة (نيكو) والعلاقة الجديدة مع (ناتالي بارتليمي)، في حين ينسب بعضهم الآخر فسخ الخطوبة إلى انشغال (شنايدر)

بعملها السينمائي، خصوصاً بعد أن أثارت اهتمام المخرج (أورسون ويلز)، أحد عمالقة الإخراج في هوليوود، المعروف بشغفه بتصوير أكبر عدد ممكن من الأدوار، ما دفع بـ (شنايدر) إلى التنقل بين فرنسا وهوليوود على نحو متكرر. وهناك فئة أخرى من معجبي آلان ديلون الذين رأوا بأن تخليه عن (رومي شنايدر) إنما كان بدافع الشهامة ودرء الفضيحة في المقام الأول عندما اكتشف أن (ناتالي) أصبحت حاملاً منه (كما سنتبين في الفقرات التالية) فلم يجد أمامه أي خيار سوى الارتباط بها رسمياً تفادياً لتشويه سمعتها أو سمعته. وهناك شيء من الصحة حول هذا الرأي لأن (ناتالي ديلون) وضعت مولودها فعلاً بعد شهر واحد تقريباً من إعلان الزفاف. لم يكن وقع فسخ الخطوبة سهلاً على (رومي شنايدر) التي تملكها الحزن والأسى. فقد بدأت بتناول بعض العقاقير المهدئة لدرجة باتت يداها تعاني من الارتعاش ولم تتخلص بسهولة من حبها لآلان ديلون.

وفي أثناء تلك التطورات في حياة ديلون العاطفية، شهد عام ١٩٦٤ إصدار فيلم "*التوليب الأسود*" للمخرج (جاك كريستيان). لعب ديلون دور البطولة في هذا الفيلم الكوميدي الحافل بالمغامرات الذي تدور أحداثه أيام الثورة عام ١٧٨٩ حين ظهر رجل عصابات معروف بلقب "التوليب الأسود" ليفرض سيطرته على منطقة "روسيلون" ومحيطها ويجعل الأهالي المساكين يظهرون له كل الاحترام خصوصاً عندما يعلن أنه رجل ثوري يتحدى النظام الملكي الحاكم. لكننا نكتشف بأن الكونت جوليان، حاكم "سانت برو" (آلان ديلون) هو ذلك الشخص الذي يلعب دور فاعل الخير "روبن هود". شارك في بطولة هذا الفيلم (فيرنا ليسي) بدور كارولين و(أدولفو مارسيلاش) بدور بارون "لاموش". وتجدر الإشارة إلى أن ديلون أدى مشاهد المجازفة في الفيلم من دون الاستعانة ببديل.

* * *

في ربيع ١٩٦٤ عقد ديلون خطوبته على (ناتالي) ضمن حفل حضره حشد كبير من الفنانين والفنانات والشخصيات البارزة في المجتمع الباريسي. إن العلاقة التي بدأت بين ديلون و(ناتالي) في ١٩٦٣ تكللت بالزواج بعد عام واحد تقريباً حين عقد ديلون قرانه عليها في ١٣ آب ١٩٦٤ في كنيسة "فيل إي كليرك" وأصبحت (ناتالي) معروفة باسم (ناتالي ديلون). ومن الطريف أن شاهِد عقد القران وإشبين ديلون كان صديقه رجل المافيا (فرنسوا ماركنتوني)، الذي كان له وقع مختلف على حياة ديلون في فترة لاحقة.

وفي اليوم التالي لحفل الزفاف، انطلق العروسان لقضاء شهر العسل في الولايات المتحدة وغادرا البلاد برحلة بحرية استغرقت أسبوعاً كاملاً تقريباً على متن سفينة "فرنسا" من ميناء "هافر" حيث وصلا إلى نيويورك في ٢٠ آب. لقد تبدلت حياة ديلون تبدلاً جذرياً من شاب مغمور لا يملك قوت يومه عندما عاد من الهند الصينية في ١٩٥٦ إلى نجم سينمائي مشهور وواسع الثراء. فقد اصطحب معه في رحلته إلى الولايات المتحدة لقضاء شهر العسل خادمته وطباخه الخاص وكلبه.

يبدو أن ديلون و(ناتالي) لم ينتظرا إعلان الزواج كي يضيفا فرداً جديداً لأسرتهما المؤسسة حديثاً لأن (ناتالي) كانت حاملاً لتوها قبل حفلة الخطوبة ووضعت مولودها الجديد في الولايات المتحدة بعد شهر واحد تقريباً من حفل الزفاف. فأثناء وجود العروسين في الولايات المتحدة، ذهبت (ناتالي) مع زوجها إلى مستشفى "سيدرز أوف ليبانون" (أرز لبنان) لتضع أول طفل لديلون في ٣٠ أيلول ١٩٦٤. بات الوالدان في حيرة من أمرهما حول تسمية الطفل (غريغوري) أو (أنتوني)، ولكن يبدو أن الأمر استقر بهما على اسم (أنتوني) والذي جرى تعميده في الكنيسة في الأول من أيار ١٩٦٦.

* * *

اجتمع المخرج (رينيه كليمان) ثانية مع ديلون بعد فيلمهما "*شمس ساطعة*" الصادر عام ١٩٦٠ في تصوير فيلم بوليسي جديد حافل بالإثارة والتشويق حمل عنوان "*قفص الحب*" (١٩٦٤). يؤدي ديلون في هذا الفيلم المصوَّر بالأبيض والأسود دور مجرم بسيط يدعى مارك يطارده رجل عصابات خطير بسبب اكتشاف خيانة زوجته مع مارك. بعد سلسلة من المطاردات يختبئ مارك في قصر أرملة ثرية جداً تدعى برباره (لولا أولبرايت) حيث يقع في شرك مثلث غرامي مع برباره وابنة شقيقتها المثيرة ميلندا (جين فوندا) التي لاتتوقف عن محاولات إغوائه بكل الوسائل، في حين يحاول أحدهم أن يدسّ له السم. في تلك الأثناء يبدو أن زوج عشيقته ورجاله يكتشفون مخبأ مارك، ما يعرّض حياته لخطر حقيقي.

بدأ آلان ديلون في ١٩٦٤ بتوسيع نشاط عمله في المجال السينمائي حين قام مع وكيل أعماله (جورج بوم) بتأسيس شركة "ديلبو" للإنتاج السينمائي. واسم الشركة مشتق من الحروف الأولى للقبي الرجلين (ديلون) و (بوم). لكن هذه الشركة لم تشرف إلا على إنتاج فيلمين فقط، فيلم روائي طويل بعنوان "*الرجل الذي لا يُقهر*" (١٩٦٤) وفيلم تسجيلي بلغت مدة عرضه ١٨ دقيقة بعنوان "*يوميات معركة*" (١٩٦٥) إخراج (غاي جيل) .

ففيلم "*الرجل الذي لا يُقهر*" الصادر في ١٩٦٤ والذي اشترك ديلون في إنتاجه مع (جاك بار) لم يشكل تجربة طيبة بالنسبة لديلون الذي عانى من بعض الإصابات والجروح خلال عملية التصوير من جهة، واستياء الجمهور الفرنسي من جهة ثانية لأنه أعاد إلى الأذهان هزيمة فرنسا في الحرب الجزائرية. كما أصرّت أجهزة الرقابة على حذف بعض المشاهد من الفيلم، ما عرّضه إلى فقدان مصداقيته الفنية وهذا ما زاد من استياء ديلون بما أنه تولى إنتاج الفيلم بينما قام صانع الأفلام (آلان كافالييه) بإخراجه. لذلك وبالرغم من أداء ديلون المتميز في هذا الفيلم الذي تبدو فيه حركات ديلون رشيقة كرشاقة الفهد، علاوة على التصوير الرائع بالأبيض والأسود الذي نفذه المصور السينمائي المخضرم (كلود رينوار) – الذي قام لاحقاً بتصوير الجزء الثاني من فيلم "*الاتصال الفرنسي*" – إلا أن "*الرجل الذي لا يُقهر*" سجّل أول عمل سينمائي غير ناجح تجارياً بالنسبة لديلون منذ دخوله عالم التمثيل في ١٩٥٧.

تشكل الحرب الفرنسية في الجزائر خلفية الفيلم الأسود (فيلم نوار) "*الرجل الذي لا يُقهر*" الذي لعب فيه ديلون دور البطولة بشخصية الجندي توماس فلاسرنوت الذي يفرّ من فيلق القوات الفرنسية الموجودة في الجزائر عام ١٩٦١ أيام الثورة الجزائرية. يتلقى توماس عرضاً من ملازم سابق في الجيش الفرنسي يعمل لصالح منظمة الجيش السرّي – وهي مجموعة فرنسية إرهابية لم يُكتب لها البقاء طويلاً – من أجل اختطاف المحامية دومينيك سيرفيه (لي ماساري) الموجودة في العاصمة الجزائرية للدفاع عن بعض الوطنيين الجزائريين. يوافق توماس على تنفيذ المهمة لكنه يقع في غرام المحامية دومينيك الجميلة فيقرر مساعدتها على الهرب والعودة سالمة إلى فرنسا لكنه بذلك يدخل صراعاً لا مفرّ منه مع زملائه في منظمة الجيش السري الذين لايترددون في مطاردة توماس ودومينيك وإلقاء القبض عليهما.

من الواضح أن الفيلم حافل بالإثارة والتشويق والمطاردات – وقد تعرّض ديلون للإصابة خلال تصوير مشهد تفجير على الجبل أدى إلى فقدان توازنه وسقوطه من منحدر صخري وتم إسعافه وأصيب ببعض الكدمات والرضوض الخفيفة – لكن الطابع الميلودرامي يسود الفيلم عندما يقع توماس بغرام دومينيك ويحاول التضحية بمستقبله من أجلها، ناهيك عن بعض المشاهد المؤثرة ومنها على سبيل المثال رغبة البطل في العودة إلى أرض الوطن وبالتحديد إلى مكان عاش فيه أوقاتاً سعيدة لكنه بات عاجزاً عن تحقيق هذه الرغبة بسبب التداعيات الناجمة عن هروبه مع دومينيك. شارك في بطولة الفيلم (جورج جيريه) و(موريس غاريل) و(روبرت كاسل).

بعد أن اختبر ديلون مواهبه في الإنتاج بفيلم *الرجل الذي لا يُقهَر*"، وجّه جزءاً كبيراً من نشاطه الفني إلى الإنتاج السينمائي وقام بإنتاج أكثر من ٢٦ فيلماً من ١٩٦٨ إلى ١٩٩٠ ولكن تحت مظلة شركتي إنتاج غير "ديلبو" أسسهما في فترة لاحقة.

آلان ديلون الذي أظهر براعات متنوعة بالإضافة إلى موهبته الفريدة في التمثيل، أتقن الإنكليزية والإيطالية بالإضافة طبعاً إلى لغته الأم، الفرنسية، وهذا ما جعله مؤهلاً لأداء أول دور له في فيلم ناطق باللغة الإنكليزية عام ١٩٦٤. فقد شارك ديلون في بطولة الفيلم الكوميدي الرومانسي البريطاني *الرولز رويس الصفراء*" الذي يتألف من ثلاث حبكات مختلفة تتمحور جميعها حول سيارة نوع "رولز رويس" صفراء اللون تشكل الرابط في أحداث قصص الفيلم الثلاث، لاسيما أن المخرج البريطاني (أنتوني أسكويث) تعامل مع هذه السيارة كما لو أنها واحدة من شخصيات الفيلم الرئيسية.

في القصة الأولى يبادر اللورد تشارلز (ريكس هاريسون)، ماركيز مقاطعة "فرينتون"، إلى شراء سيارة رولز رويس جديدة كهدية لزوجته ليدي إيلواز فرينتون (جين مورو). يذهب الزوجان الأرستقراطيان لحضور سباق خيل "آسكوت" الذي يشكل مناسبة اجتماعية لا تفوّتها العائلة الملكية لاسيما أن الماركيز نفسه يمتلك جواداً خاصاً به للمنافسة في السباق. يفوز جواد الماركيز ويحصل على كأس البطولة لكن نشوة الفوز تتلاشى حين يكتشف الماركيز أن زوجته تخونه مع أحد مساعديه داخل سيارة الرولز رويس. ومع ذلك يتوصل الزوجان إلى تسوية مؤقتة من أجل المظاهر العامة ويتظاهران في الأوساط الاجتماعية وكأن شيئاً لم يحدث، لكن الماركيز في الواقع لا يطيق النظر إلى تلك السيارة بما أنها كانت المكان الذي وقعت فيه الخيانة الزوجية، فيبادر إلى بيع السيارة حيث يتم شحنها إلى الريفيرا في إيطاليا بعد أن يخسرها أيضاً أحد الأثرياء في لعبة قمار في أحد كازينوهات مونت كارلو.

وفي الريفيرا الإيطالية يقوم رجل المافيا الأمريكي باولو مالتيز (جورج سي. سكوت) الموجود في إيطاليا بغرض السياحة بشراء سيارة الرولز رويس الصفراء بدافع التباهي أمام خطيبته المدللة والمستهترة ماي جنكنز (شيرلي ماكلين) التي لا تتردد بمحاولة إغواء مصور ودليل سياحي وسيم يدعى ستيفانو (آلان ديلون) الذي يبادلها الشعور ذاته. يضطر باولو للعودة إلى ميامي لبضعة أيام لقضاء بعض الأعمال المهمة فيترك خطيبته مع جوي مالتيز كي تتابع جولتها السياحية. تشعر ماي بالملل فتذهب مع جوي في جولة بسيارة الرولز رويس إلى شاطئ "أمالفي" حيث تلتقي مجدداً بالمصور ستيفانو الذي يحاول هذه المرة اغتنام الفرصة وإغواء ماي بشكل فعلي، فيسبحان معاً ويصلان إلى مغارة تشبه في أجوائها أجواء القصص الخيالية فيضمها إلى صدره ويطبع قبلة طويلة على شفتيها متجاهلاً خطورة خصمه رجل المافيا باولو مالتيز. لكن ماي تدرك خطورة الموقف وتخشى اقتراب موعد عودة خطيبها باولو فتقرر التخلي عن ستيفانو الذي سلب لبها بوسامته وسحره الذي لا يقاوم تفادياً لوقوع حمام الدم المحتمل في حال اكتشف باولو خيانتها له.

أما في القصة الثالثة من الفيلم فتصل سيارة الرولز رويس الصفراء إلى "تريست" عام ١٩٤١ حيث نشاهد دافيش (عمر الشريف) أحد رجال المقاومة اليوغسلافيين أثناء الحرب العالمية الثانية يطلب المساعدة من سيدة المجتمع الأمريكية المعروفة جيردا ميليت (إنغريد بيرغمان) التي تكون في طريقها لمقابلة الملك اليوغسلافي بيتر. يطلب دافيش الاختباء في صندوق سيارتها (الرولز رويس الصفراء) كي يعبر الحدود بأمان، فتوافق جيردا لاسيما حين تندلع نار الحب من دون مقدمات بين السيدة الأرستقراطية ورجل المقاومة البسيط.

كان صدى الفيلم قوياً على المستويين الأوروبي والأمريكي حين نال ترشيحين من جوائز "الأكاديمية البريطانية للفنون السينمائية والتلفزيونية" (بافتا) عام ١٩٦٥ لأفضل تصوير (جاك هلديارد) وأفضل تصميم ملابس (أنتوني مندلسون). ثم فاز الفيلم بجائزة "الكرة الذهبية" (١٩٦٦) التي تمنحها "رابطة هوليوود للصحافة الخارجية" لأفضل أغنية (ألحان ريتس أورتولاني وكلمات نورمان نيويل)، بالإضافة إلى ترشيح لجائزة "الكرة الذهبية" (١٩٦٦) لأفضل موسيقى (ريتس أورتولاني).

لقد صعد ديلون سلم النجومية بخطوات واسعة وسريعة، إذ كان في الثالثة والعشرين فقط عندما استحوذ على اهتمام الوسط الفني والجمهور الذي بدأ بمقارنته مع مشاهير السينما الفرنسية والأمريكية، أمثال (جيرار فيليب) و(جان ماريه) و(جيمس دين). واستجابة لشعبيته الواسعة والمتزايدة في فرنسا، قامت "المكتبة السينمائية الفرنسية" بعرض خاص لأفلام آلان ديلون عام ١٩٦٤.

(٤)

تجربة خجولة في هوليوود ...

شهد منتصف عقد الستينيات نشاطاً مكثفاً في أعمال آلان ديلون التي زادت من رقعة نجوميته داخل فرنسا وخارجها. ففي ١٩٦٥ لعب ديلون دور البطولة في الفيلم المثير والمشوق *لص سابق*" للمخرج الأمريكي (رالف نيلسون) والسيناريست (زكيال ماركو)، وكان بذلك أول عمل في سلسلة قصيرة من الأفلام التي صورها ديلون في هوليوود، بما فيها *الفرقة المفقودة*" و*تكساس عبر النهر*".

كان ديلون يعاني من عقدة شكل أذنيه الكبيرتين، تماماً كنجم هوليوود الشهير (كلارك غيبل) الذي كانت أذناه الكبيرتان والبارزتان كمقبضي الفنجان عائقاً في بداية مشواره الفني الطويل. لذلك حاول ديلون دائماً تغطية أذنيه بالشعر، ثم فكر قبل تصوير فيلم *لص سابق*" (١٩٦٥) بإجراء عمل جراحي تجميلي إلا أنه عدل عن رأيه خوفاً من تهكم وسائل الإعلام.

جسّد ديلون في فيلم *لص سابق*" شخصية المجرم السابق إيدي بيداك الذي يحاول أن يبدأ حياة طبيعية بعد خروجه من السجن بأن يجد لنفسه عملاً شريفاً كي يعيل زوجته كريستين (آن مارغريت) وابنته الصغيرة. لكن حظه العاثر يقف عقبة في طريق عيش حياة هادئة ومسالمة حين يبدأ مفتش الشرطة مايك فيدو (فان هيفلن) بملاحقته اعتقاداً منه بأن إيدي كان المسؤول عن إصابته بعيار ناري منذ سنوات طويلة ويريد الانتقام منه وإلقاء القبض عليه بأية وسيلة، في حين يحاول شركاء شقيقه المجرم والتر بيداك (جاك بالانس) النيل منه لاعتقادهم بأن إيدي قد خانهم في آخر عملية سطو قبل دخوله السجن. يضطر إيدي بدافع اليأس أن يقبل التعامل مع تلك العصابة التي لاتتورع في قتل شقيقه والتر واختطاف ابنة إيدي، فلا يجد ملاذاً سوى مفتش الشرطة مايك فيدو طلباً للمساعدة لاستعادة ابنته.

نال فيلم *لص سابق*" جائزة مهرجان "سان سباستيان السينمائي الدولي" وجائزة (OCIC) (المكتب الكاثوليكي الدولي للسينما) التي كانت من نصيب المخرج الأمريكي (رالف نيلسون).

في الوقت الذي تابع فيه ديلون حياته المهنية والشخصية بصورة طبيعية وناجحة بعد انفصاله عن (رومي شنايدر) وزواجه من (ناتالي)، كانت (شنايدر) قد مرّت بأوقات عصيبة نتيجة انفصالها عن ديلون، لكنها لم تستسلم للوحدة ووجدت لنفسها العزاء بزواجها من الممثل والمخرج التلفزيوني والمسرحي الألماني (هاري ماين) عام ١٩٦٦. شارك (ماين) في بطولة عدة مسلسلات تلفزيونية وأفلام ألمانية أهمها فيلم *ابنة الرقيب*" (١٩٥٢) و"*ماندريك*" (١٩٥٢) و"*رقص على قوس قزح*" (١٩٥٢) و"*جنرال الشيطان*" (١٩٥٥) و"*الهروب من صحارى*" (١٩٥٨) و"*عاصفة في كأس*" (١٩٦٠) و"*نافورة الحياة*" (١٩٦١) و"*لعبة القتل*" (١٩٦١) وغيرها. كما اجتمع مع ديلون في فيلم "*هل تحترق باريس؟*" (١٩٦٦).

لم تثن الظروف الصعبة التي مرّت بها (شنايدر) عن مواصلة مسيرتها الفنية واستمرت صورتها بالتألق على الشاشة الفضية ولاسيما في فرنسا. فقد اشتركت (شنايدر) في بطولة أفلام عديدة بعد نجاحها في فيلم "*كريستين*"، بما فيها فيلم *المحاكمة*" لـ (أورسون ويلز) و"*بوكاشيو ٧٠*" لـ (لوتشينو فيسكونتي) و"*حبيبي للأبد*" و"*نار وجليد*" – جميعها صادرة في ١٩٦٢؛ و فيلم "*الكاردينال*" (١٩٦٣) و"*الجحيم*" و"*الجار الطيب سام*" (١٩٦٤) و"*الصليب المعقوف*" (١٩٦٦) وفيلم المخرج الفرنسي (جان شابو) "*المدخنة رقم ٤*" مع (ميشيل بيكولي) (١٩٦٦).

* * *

أقام ديلون مع زوجته (ناتالي) خلال فترة وجوده في الولايات المتحدة في شقة سكنية فاخرة تقع في منطقة "بيفرلي هيلز" التي يقطنها كبار الفنانين والمشاهير والأثرياء. وذات يوم حصلت حادثة مأساوية بالنسبة لديلون عندما قامت سيارة مسرعة بدهس كلبه المدلل (بليند) في أحد شوارع "بيفرلي هيلز"، فانفطر قلب ديلون – المعروف بولعه بالحيوانات وخصوصاً الكلاب – حزناً على كلبه. وفي مساء ذلك اليوم كان ديلون وزوجته (ناتالي) يستعدان لاستقبال بعض المدعوين إلى حفل أعدّ الزوجان لإقامته في شقتهما، لكن الحادثة التي نفق فيها كلب ديلون جعلتهما يؤجلان ذلك الحفل حزناً على فراقه. وفي اليوم التالي سارع وكيل أعمال الممثلة (جين فوندا) بإهداء ديلون كلب رعاة ألماني اسمه (شيرلي) من باب المواساة كي يتمكن ديلون من نسيان كلبه (بليند). وقد أخذ ديلون معه الكلب الجديد في رحلة العودة إلى فرنسا وأضافه إلى مجموعة كلابه في مزرعته بـ "دوشي" والتي وصل عددها في بعض الأحيان إلى أكثر من ١٨ كلباً.

تابع ديلون العمل مع هوليوود حين شارك في بطولة فيلم حربي مقتبس عن رواية بقلم (جين لارتغي) قام بإخراجه (مارك روبسون) وكتب السيناريو (نيلسون غيدينغ). حمل هذا الفيلم الصادر في ١٩٦٦ عنوان *الفرقة المفقودة*" ولعب فيه (أنتوني كوين) الدور الرئيسي بشخصية فلاح فرنسي يدعى راسبغي تطوع في الجيش وترفع إلى أن أصبح ضابطاً برتبة مقدَّم خلال اشتراك فرنسا في الحرب الهندوصينية وحصار القوات الفرنسية في "ديان بيان فو". ثم يجري إرسال راسبغي إلى الجزائر بمهمة تشكيل مجموعة من المجندين الأغرار وتدريبهم وإعدادهم ليصبحوا وحدة قتالية خاصة يُحسب لها ألف حساب. يقوم راسبغي بزيارة مساعده النقيب إسكلافيير (آلان ديلون) الذي ترك

الجيش بدافع الإحباط من الحرب الدائرة التي لا مسوّغ لها. أما مساعد راسبغي الآخر فهو ضابط دمث الأخلاق يدعى بويسفيريوس (موريس رونيه) لكن سلوكه الظاهر يخفي وراءه قلب سفاح متعطش لإراقة الدماء على أرض المعركة. يتعرف راسبغي على أرملة جنرال كان له شأن كبير ويقع في غرامها فتقطع له وعداً بأنها ستقبل به زوجاً إذا عاد منتصراً من المعركة. تميز الفيلم بمشاهد قوية في ميدان المعركة بالإضافة إلى أداء ديلون الرائع وظهور (كلوديا كاردينالي) في الفيلم أيضاً بشخصية (عائشة).

مع أن ديلون كان في تلك الفترة مقترناً بـ (ناتالي)، إلا أنه لم يتوقف عن مغامراته مع الجنس اللطيف والتي يبدو أن لابداية أو نهاية لها، بل وكأنه بذلك يردد صدى أدوار شخصياته السينمائية في حياته الواقعية. فديلون الذي يتمتع بسحر لايُقاوم، لايستطيع أيضاً أن يقاوم سحر النساء. ووفقاً لاعترافه الشخصي، فإنه يعشق "المرأة" بكل ألوانها وأشكالها، وهي التي تشكل مصدر الإلهام في فنه. فخلال تصوير ديلون لبعض أفلامه في هوليوود، أقام علاقة غرامية عابرة مع الممثلة الأمريكية الجميلة (آنجي ديكنسون)، التي اعترفت في مذكراتها بتلك العلاقة مع ديلون وغيره من ألمع نجوم هوليوود في تلك الفترة، أمثال (إلفيس بريسلي) و(فرانك سناترا) و(كاري غرانت) و(روك هدسون) وغيرهم.

* * *

شهد عام ١٩٦٦ تعاوناً آخر بين آلان ديلون وصانع الأفلام الفرنسي المبدع (رينيه كليمان) الذي لم يحالفه الحظ كنظرائه من المخرجين الفرنسيين في تلك الفترة من حيث تسجيل أرقام كبيرة على شباك التذاكر في أفلامه. مع أن دراسة (رينيه كليمان) (١٩١٦ – ١٩٩٦) كانت في مجال فن العمارة، إلا أن اهتمامه توجّه نحو صناعة الأفلام وأمضى النصف الثاني من عقد الثلاثينيات في تصوير الأفلام التسجيلية في بعض بلدان الشرق الأوسط وإفريقيا. ففي ١٩٣٧ أمضى (كليمان) فترة طويلة نسبياً في اليمن مع عالم الآثار الفرنسي (جول بارتو) خلال تصوير فيلم وثائقي عن اليمن. ثم حقق أول أفلامه الروائية الطويلة "*معركة السكك الحديدية*" (١٩٤٦) نجاحاً باهراً من الناحية التجارية، وتوالت بعدها نجاحاته وحصد العديد من الجوائز وأصبح من أبرز وأنجح المخرجين الفرنسيين خصوصاً بعد إصدار فيلمه "*ألعاب ممنوعة*" (١٩٥٢).

لكن فيلمه الملحمي "*هل تحترق باريس؟*" الذي ضم قائمة طويلة من نجوم السينما ونال ترشيحاً لجائزة الأوسكار (١٩٦٧) لأفضل إدارة فنية وديكور وأفضل تصوير، بالإضافة إلى ترشيح "الكرة الذهبية" (١٩٦٧) لأفضل موسيقى (موريس جار)، أخفق إخفاقاً كبيراً غير متوقع على شباك التذاكر. وتجدر الإشارة إلى أن موسيقى الفيلم التي ألفها الملحن (موريس جار) تحولت فيما بعد إلى أغنية وطنية مشهورة حين أضاف (موريس فيدالان) الكلمات إلى اللحن وقامت بغنائها المطربة الفرنسية الشهيرة (ميراي ماتيو).

كتب سيناريو فيلم "*هل تحترق باريس؟*" الصادر عام ١٩٦٦ والذي شارك ديلون في بطولته كل من (فرنسيس فورد كوبولا) و(غور فيدال) نقلاً عن كتاب من تأليف (لاري كولينز) و(دومينيك لابيير). أما إنتاج الفيلم فكان جهداً فرنسياً – أمريكياً مشتركاً. تبدأ أحداث الفيلم في أواخر الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤ في الوقت الذي كانت فيه باريس على وشك التحرير من جانب الحلفاء، وبالتحديد عندما يقوم هتلر بتكليف الجنرال ديتريتش فون شولتيتز (جيرت فروب) بقيادة القوات الألمانية في باريس، ويوجه إليه أوامر صريحة وواضحة حول حتمية إحراق المدينة وإبادتها بالكامل إذا اقتربت قوات الحلفاء من تخومها، أو في حال لم يتمكن الجنرال شولتيتز من السيطرة على باريس

في ضوء النضال الشرس الذي أبدته فصائل المقاومة الفرنسية لاستعادة السيطرة على المدينة. لكن الجنرال شولتيتز وبعد تفكير طويل وصراع نفسي أخلاقي مرير مع ذاته يرفض الإذعان لأوامر قائده هتلر لأنه يدرك أن الألمان قد خسروا الحرب لا محالة من جهة، ولأنه لايرغب بأن يسجل التاريخ اسمه على أنه ذلك البربري الذي أحرق مدينة باريس العريقة مع أنه يتلقى إيعازاً مباشراً من ألفريد يودل يذكره بمصير أولئك الذين يرفضون الانصياع لأوامر هتلر. ومن هذا المنطلق يركز المخرج (رينيه كليمان) على هذا الجانب الإنساني المؤثر وسط أكثر الصراعات اللاإنسانية في التاريخ الحديث.

لقد حاول (كليمان) اتباع التسلسل التاريخي في أحداث الفيلم حين يرفض (أيزنهاور)، رئيس قوات الحلفاء، دفع قواته لتحرير باريس نظراً للضغوط التي تعرّض لها من جانب القائد العسكري الفرنسي (لكريك) من جهة، وانتفاضة المقاومة التي اندلعت في باريس من جهة ثانية. لكن الجنرال الألماني (فون شولتيتز) تجنب موافاة قيادته العليا في ألمانيا بأية تفاصيل عن المقاومة كي ينقذ باريس من عمل انتقامي محتمل يؤدي إلى تدميرها تدميراً شاملاً في حال لجأت قيادة هتلر إلى توجيه ضربة عسكرية ماحقة كفيلة بإبادة المدينة. وهنا يأتي دور القنصل السويدي الذي يتدخل في القضية ويؤازر الجنرال (فون شولتيتز) في صراعه الداخلي بين (فون شولتيتز) "الإنسان" و(فون شولتيتز) "الجنرال النازي". كما أن الفيلم لا يركز فقط على الجهة التي ستحرر باريس، سواء من جانب القوات الأمريكية أو الفرنسية، وإنما يسلط الضوء أيضاً على المنافسة المحتدمة داخل صفوف المقاومة ذاتها التي انقسمت إلى فريقين. فالفريق المؤيد للجنرال (ديغول) كان ضد انتفاضة المقاومة، في حين اعتقد الفريق المرتبط بالشيوعيين أنه لابدّ من ترجمة شعارات المقاومة إلى أفعال على أرض الواقع. وقد حاول (ديغول) التغلب على هذا الأثر الشيوعي خلال تحرير باريس وبعده، اعتقاداً منه بأن الشيوعيين كانوا يخططون للسيطرة على باريس في المرحلة الأولى ومن ثم على فرنسا بأكملها.

إن جميع الممثلين الذين ظهروا في هذا الفيلم الحربي التاريخي الملحمي كانوا من نجوم السينما الفرنسية والأمريكية والألمانية. فمن ألمانيا شارك الممثل (جيرت فروب) بدور البطولة الرئيسي بشخصية الجنرال الألماني شولتيتز و(هانس ميسمر) بدور ألفريد يودل وغيرهما أيضاً. وتجدر الإشارة إلى أن الجنرال فون شولتيتز قد وافته المنية بعد عرض الفيلم بفترة قصيرة، في حين تم إعدام (ألفريد يودل) بعد محاكمته في نورمبرغ. كما شارك من ألمانيا أيضاً (هاري ماين) – زوج (رومي شنايدر) الجديد – بدور الملازم فون أرنيم.

أما قائمة الممثلين الفرنسيين فتضم بين نجومها آلان ديلون بشخصية جاك شابان ديلما و(جان بول بلمندو) بشخصية بييرو و(جان بيير كاسل) بشخصية الملازم هنري كارشر و(إيف مونتان) بشخصية الرقيب مارسيل بيزيين – جميعهم لعبوا دور رجال المقاومة الفرنسية، بالإضافة إلى (سيمون سينوريه) بدور صاحبة المقهى و(جان لوي ترنتتيان) بدور الكابتن سيرج، في حين ظهرت (ليسلي كارون) بدور امرأة تحاول عبثاً إطلاق سراح زوجها خشية أن يقوم النازيون بنقله إلى ألمانيا قبل الانسحاب الألماني من باريس.

أما الممثلون الأمريكيون في الفيلم فكان بينهم (كيرك دوغلاس) بدور الجنرال باتون و(غلين فورد) بدور الجنرال برادلي و(روبرت ستاك) بدور الجنرال سيبير و(أنتوني بيركنز) بدور الرقيب الأمريكي وارن و(أورسون ويلز) بدور القنصل السويدي في باريس الذي يتولى المفاوضات بين النازيين والمقاومة الفرنسية قبل وصول فلول قوات فرقة فرنسا الحرّة بقيادة الجنرال (فيليب لكريك). كان ذلك أحد الأدوار التي لعبها صانع الأفلام الكبير (أورسون ويلز) بهدف جمع الأموال اللازمة لتنفيذ مشاريعه السينمائية.

كما لجأ المخرج (رينيه كليمان) إلى استعمال مقاطع إخبارية وثائقية مصورة وزجها في الفيلم بمنتهى البراعة ليزيد من مصداقيته لدرجة تجعل المتفرجين يشعرون بأنهم يشاهدون تسجيلاً حقيقياً عن وقائع تلك المرحلة لاسيما أن تصوير الفيلم جرى بالأبيض والأسود باستثناء خاتمته الملونة. كما نجح (كليمان) في إبراز صورة أهالي باريس كنجوم حقيقيين لفيلمه "*هل تحترق باريس؟*".

وفي هوليوود عام ١٩٦٦ أيضاً، اشترك آلان ديلون في بطولة فيلم المخرج (مايكل غوردن) "*تكساس عبر النهر*"، مسجلاً بذلك أول دور يؤديه في أحد أفلام رعاة البقر الأمريكية (الكاوبوي) حيث ظهر بشخصية أرستقراطي إسباني وسيم يدعى دون أندريا بالدزار. يبدأ الفيلم بإقامة حفل زفاف في لويزيانا للعروسين دون أندريا بالدزار وفيبي آن نايلور (روزماري فورسيث)، لكن مراسم الزفاف تتوقف فجأة لدى وصول يانسي كوتل (ستيوارت أندرسن) وأقربائه الذين يشكلون وحدة من سلاح الفرسان الأمريكي بقيادة الكابتن رودني ستيمبسون (بيتر غريفز) ابن عم يانسي كوتل. ثم تتطور الأحداث عندما يُتهم دون أندريا (ديلون) بقتل كوتل وتتم إدانته من قبل القاضي ومحامي الدفاع بما أن المغدور كان شقيقهما.

يلوذ دون أندريا بالفرار على أن يلتقي بخطيبته فيبي آن على جانب النهر في تكساس بما أن عائلتها أرسلتها للاختباء في تكساس ريثما ينسى الناس تلك الفضيحة. وفي طريق رحلة فيبي آن إلى تكساس، يقوم راعي البقر سام هوليز (دين مارتن) ومساعده الهندي الأحمر كرونك (جوي بيشوب) – الذي يتمتع بروح دعابة مميزة – بمساعدتها في عربة القطار الذي يقلها إلى وجهتها في تكساس. ثم يفترق عنها سام هوليز وينطلق مع مساعده كرونك لنقل شحنة من البنادق إلى بلدة "موكاسين فلاتس" فيلتقي عن طريق المصادفة بدون أندريا وتنشأ بينهما علاقة عدائية لاسيما عندما يصبح سام هوليز مفتوناً بخطيبة دون أندريا، فيبي آن. وتزداد الأمور تعقيداً حين يقوم دون أندريا بإنقاذ فتاة من الهنود الحمر تدعى لونيتا (تينا أومونت) الهاربة من قبيلتها التي تحاول شن غارات على البيض لكن سام هوليز ودون أندريا ينجحان بصدّ تلك الهجمات.

من أكثر المشاهد المثيرة للاهتمام في "*تكساس عبر النهر*"، الذي لم يميزه عن سواه من أفلام رعاة البقر إلا تصوير الفيلم الرائع الذي نفذه (راسل ميتي) بإشراف المخرج (مايكل غوردن)، ذلك المشهد الذي تصل فيه الأحداث إلى ذروتها حين يعزم دون أندريا (ديلون) وسام هوليز (دين مارتن) على الدخول في مبارزة لكن الرجلين لايتوصلان إلى قرار فيما إذا كان ينبغي عليهما إجراء المبارزة بالطريقة الرسمية التقليدية (حيث يقف المتبارزان وظهر كل منهما يواجه ظهر الآخر ثم يتقدمان عشر خطوات باتجاهين معاكسين ومن ثم الالتفات بسرعة وإطلاق النار من مسدسيهما)؛ أو تنفيذ المبارزة على أسلوب رعاة البقر (حيث يقف المتبارزان وجهاً لوجه في نهايتي طريق محدد ويتقدمان بهدوء باتجاه بعضهما البعض ومن ثم يسحبان مسدسيهما بسرعة ويطلقان النار).

(٥)

العودة إلى فرنسا...

يبدو أن جهود ديلون الرامية إلى ترسيخ اسمه في هوليوود لم تفلح كما خطط لها قبل مغادرته إلى الولايات المتحدة، ما دفعه للعودة إلى جمهوره الفرنسي حيث اتسعت شعبيته أكثر من ذي قبل بظهوره في عدة أعمال بدأها في ١٩٦٧ بفيلم المغامرات اللطيف "*المغامرون*" (أو "*المغامرة الأخيرة*" لدى إصدار الفيلم في الولايات المتحدة). توجه ديلون إلى إفريقيا من أجل تصوير هذا الفيلم في شهر تشرين الأول ١٩٦٦ واصطحب معه زوجته (ناتالي) في هذه الرحلة كي يبقى قريباً من أسرته، وخصوصاً ابنه (أنتوني) المحبب إلى قلبه.

يسرد فيلم "*المغامرون*" كيف يتعرض الصديقان المغامران مانو (آلان ديلون) ورولاند (لينو فنتورا) إلى مقلب ساخن يكلف مانو خسارة رخصته لقيادة الطائرة في هذا الفيلم الذي أدى فيه (آلان ديلون) دور البطولة الرئيسي وتولى إخراجه وكتابة نصه السينمائي المخرج الفرنسي المعروف (روبرت إنريكو) (١٩٣١ – ٢٠٠١) الذي يعود أصله إلى عائلة إيطالية مهاجرة – وهو مخرج فيلم "*البندقية القديمة*" (١٩٧٦)، بطولة (فيليب نواريه) و(رومي شنايدر)، الحائز على جائزة سيزار الفرنسية للسينما.

يبدأ الفيلم عندما يأتي بعض معارف الصديقين مانو ورولاند لينقلوا إليهما خبر وجود حطام طائرة غارق في البحر قبالة سواحل الكونغو وبأن تلك الطائرة كانت بالأساس تحمل كنزاً ثميناً. ينطلق المغامران للعثور على تلك الغنيمة وترافقهما في هذه الرحلة فنانة فاشلة تدعى لاتيتيا (جوانا شيمكو) التي تعاملهما معاملة أخوية. ثم يلحق بهم بعض المحتالين الذين يتناهى إلى علمهم نبأ وجود الكنز بين حطام الطائرة الغارقة في قعر المحيط. يبدأ مانو ورولاند باستخراج قطع الحطام في حين تلجأ لاتيتيا إلى صنع منحوتات فنية من حطام الطائرة وتحلم بشراء قلعة ضخمة قديمة على شاطئ "بروفانس". ثم يكتشف المغامران أن قصة الكنز ليست سوى خدعة لكن رحلتهما بصحبة الفنانة لاتيتيا تعكس طموح الإنسان وحبه استكشاف كل ما هو جديد.

* * *

إن العلاقة الزوجية بين ديلون و(ناتالي) التي بدأت في ربيع ١٩٦٤ على خلفية علاقة عاطفية قوية جعلت ديلون يتخلى عن محبوبته وخطيبته السابقة (رومي شنايدر) لأجل (ناتالي)، أخذت تفقد بريقها في ظل الخلافات التي زادت حدّتها بين الزوجين خصوصاً في صيف ١٩٦٦ أثناء وجودهما في منتجع "سانت تروبيه". فالخلافات والمشاحنات التي ثارت بين ديلون و(ناتالي) لم تظهر فجأة وإنما كانت قائمة بينهما منذ أن سافر العروسان إلى الولايات المتحدة لقضاء شهر العسل، إلا أن دفء العلاقة بينهما كان يطغى دائماً على الجوانب السلبية في حياتهما الشخصية وخصوصاً في أول سنتين من الزواج. لكن يبدو أن هذه الخلافات المتكررة والتي دارت على الأرجح حول رغبة (ناتالي) بالتمثيل ورفض ديلون لهذه الفكرة أدّت في النهاية إلى فتور تلك العلاقة، منذرة بانهيارها الوشيك.

فقد اختلف الزوجان حول أمور عديدة، ومنها على سبيل المثال ولع ديلون بالأسلحة، كالمسدسات والبنادق، التي غطت جدران إحدى غرف منزله، وهو أمر لم يَرُق كثيراً لـ (ناتالي) التي أخبرت رجال الصحافة ذات مرة أن زوجها يقتني مجموعة كبيرة من الأسلحة في منزله على سبيل الهواية مع أنه كان يحاول دائماً إنكار هذا الأمر علناً. وقالت (ناتالي) حول ذلك: "إنه يلجأ إلى المواربة في كثير من الأحيان إزاء أمور صغيرة لأنه يمقت قول الحقيقة عنها ..."

وعن هوس ديلون بالأسلحة، رَوَت الصحفية والسيناريست الفرنسية (فرانس روش) حادثة صغيرة تتعلق بمسدس كان ديلون قد أحضره معه من اليابان بطريقة غير شرعية. فقد شارك زوجها المنتج السينمائي (جلبرت دو

غولدشميدت) في نيسان ١٩٦٣ بتظاهرة أسبوع السينما الفرنسية في طوكيو، حيث تولت الخطوط الجوية الفرنسية تنظيم ورعاية تلك التظاهرة ووجهت الدعوة إلى بعض النجوم الفرنسيين لحضور ذلك المهرجان السينمائي المنعقد في اليابان وكان بين المدعوين آلان ديلون و(فرنسوا تروفو) و(فرنسواز بريون) و(ماري لافوريه) وغيرهم.

خلال فترة الاستراحة بين عروض المهرجان، وجّه هؤلاء السينمائيون الفرنسيون الدعوة لتاجر ياباني محلي من فندق "أمير تاكاناوا" واشتروا منه بعض الحلي المصنوعة من اللؤلؤ على الرغم من قلقهم إزاء احتمال اكتشاف وجود تلك اللآلئ في حوزتهم من قبل سلطات الجمارك في المطار. لكن هذا القلق تحوّل إلى خوف فظيع عندما أخبرهم ديلون بأنه اشترى مسدساً يابانياً حاز على إعجابه وبأنه سيعلق هذا المسدس على حزام سرواله تحت المعطف وسيحضره معه خلال رحلة العودة إلى باريس. ارتعدت فرائص زملاء ديلون لهذا الأمر ولم تفلح جهود (روش) و(بريون) في إقناع ديلون للعدول عن قراره. أما ديلون فقد بدا هادئاً تماماً لدى وصوله إلى سلطات جمارك المطار، وربما كان السبب في ذلك اعتماده على شهرته وابتسامته الساحرة. وبالفعل صدق حدس ديلون، إذ لم يزعجه موظفو الجمارك بأي سؤال. وأكدت (فرانس روش) مدى ولع ديلون بالأسلحة والمافيا في تلك الفترة وقالت إنه كان يحب "تذوّق طعم" الإثارة والتشويق في حياته الواقعية كما في أدواره على الشاشة.

* * *

في ٢٠ آب ١٩٦٧ وقبل تصوير فيلم *الرجل الساموراي*" سافر ديلون مع (ناتالي) إلى أمستردام لأربعة أيام ثم عاد بعدها الزوجان إلى باريس ولكن بحالة اختلفت تماماً عن رحلة المغادرة، مسجلة بذلك بداية النهاية في حياتهما الزوجية: فقد بدأ ديلون إجراءات طلاقه من (ناتالي) في ٢٤ آب ١٩٦٧ بعيداً عن مسامع وأنظار رجال الصحافة ومن دون إثارة أية ضجة إعلامية حول القضية. وتزامن ذلك مع فترة تمرين ديلون على مسرحية "*سحابة رملية*" في مسرح "مونتبارناس" والتي كان يستعد لتقديمها في شباط ١٩٦٨.

انعكس هذا الخلاف القائم بين ديلون و(ناتالي) في حياتهما الشخصية على حياتهما المهنية، خصوصاً بعد انفصالهما الذي سبق إعلان الطلاق بصورة رسمية حيث بات كل منهما يعيش في منزل مستقل عن الآخر. ففي مرحلة ما قبل إنتاج فيلم *الرجل الساموراي*" اعترض ديلون على مشاركة زوجته (ناتالي ديلون) في مشروع الفيلم الذي تولى إخراجه صانع الأفلام (جان بيير ميلفيل)، وذلك حين أصرّ (ميلفيل) على ظهورها في الفيلم على رغم افتقارها لأية خبرة في التمثيل لأنه رأى فيها جانباً مميزاً يضفي على مشروعه لمسة فنية خاصة، لاسيما أنه تولى أيضاً كتابة سيناريو الفيلم. ثم اقترح (ميلفيل) تغيير لقبها من (ناتالي ديلون) إلى (ناتالي ساند) في قائمة ممثلي الفيلم إرضاءً لديلون المستاء من فكرة مشاركتها في بطولة *الرجل الساموراي*" بسبب خلافاتهما الشخصية التي تكللت بالمباشرة بإجراءات الطلاق قبل إنتاج الفيلم. لكن ديلون رجل "فنان" في المقام الأول ويبدو أنه درس الموضوع من جميع جوانبه وقرر عدم السماح لأموره الشخصية بالتأثير على نجاح مهنته الفنية المتألقة، ووافق على رأي (ميلفيل) بخصوص إسناد دور لـ (ناتالي) في الفيلم.

وذكرت (ناتالي ديلون) عن ذلك الموقف لاحقاً بقولها: "لقد أصبح الشرخ في علاقتي مع آلان عميقاً وكبيراً جداً، ويبدو أن ذلك كان وراء موقفه الرافض لمشاركتي في فيلم *الرجل الساموراي* ... ثم توصلنا إلى قرار نضع فيه حداً نهائياً لعلاقتنا الزوجية واتفقنا على ممارسة نشاطاتنا المهنية من دون تدخل أحدنا بشؤون الآخر." وفي أعقاب هذه التسوية المؤقتة، اتجهت (ناتالي ديلون) إلى جنوب شرق البلاد حيث استأجرت شقة سكنية في

المنتجع السياحي "سانت تروبيه" على سواحل البحر الأبيض المتوسط ومكثت فيها لمدة شهر مع ابنها (أنتوني) وصديقتها (سيلفي فاردان) ومربية أطفال لرعاية (أنتوني) والاهتمام به.

يُعدّ "*الرجل الساموراي*" (١٩٦٧) من كلاسيكيات الأفلام الأوروبية السوداء (فيلم نوار) الذي كان الأول بين ثلاثة أفلام تعاون فيها المخرج (جان بيير ميلفيل) مع آلان ديلون – الفيلمان الآخران هما "*الدائرة الحمراء*" (١٩٧٠) و"*الشرطي*" (١٩٧٢). إن وسامة وجه ديلون تحمل في الوقت ذاته جانباً آخر ينمّ عن الخشونة والعنف ولعل أول من استثمر ذلك النقيض في شخصيته على أفضل صورة هو المخرج (جان بيير ميلفيل) من خلال تسليط الضوء على صورته كرجل عنيف وخشن ووظف هذه الصفات التي يتمتع بها ديلون مع براعته التمثيلية في "*الرجل الساموراي*".

لعب ديلون في هذا الفيلم البوليسي المثير والمشوق دور البطولة الرئيسي بشخصية القاتل المأجور الباريسي المحترف جيف كوستيللو المعروف بإتقانه لتلك المهنة الإجرامية إلى حد الكمال حيث يقوم بالتخطيط لعمليات القتل التي ينفذها بمنتهى العناية والدقة، ما يجعل اكتشافه أو الإيقاع به أمراً مستبعداً. ولعل طبيعة مهنته جعلته قليل الكلام وانعزالياً لا أصدقاء له على الإطلاق، الأمر الذي أبرزه كساموراي معاصر يحاكي في سلوكه أفراد مدارس الساموراي القديمة. بالرغم من انعزالية كوستيللو، إلا أنه يكون محط اهتمام وعواطف فتاة تدعى جين لاغرانج (ناتالي ديلون). يعلم كوستيللو بأمر مشاعر جين لاغرانج نحوه لكنه في الوقت ذاته يعلم أيضاً بوجود عشيق لها، وهذا ما يجعله يتردد في التودد إليها.

ينفذ كوستيللو مهمة جديدة يبدؤها بسرقة سيارة ويحصل على لوحات جديدة للسيارة المسروقة ومسدس من الشخص الذي يكلفه بعملية القتل. يقود كوستيللو السيارة إلى ملهى ليلي ويدخل إليه ويطلق النار على صاحب الملهى فيرديه قتيلاً، لكن وبمحض الصدفة تشاهد فاليري (كاثي روزيير) عازفة البيانو التي تعمل في الملهى هذه الجريمة. لاتمضي فترة طويلة حتى تستدعي الشرطة كوستيللو باعتباره أحد المشبوهين ويقف إلى جانب عدد آخر من أصحاب السوابق ويتمكن بعض الشهود الذين شاهدوا كوستيللو خارجاً من مسرح الجريمة من التعرف إليه، فيخضع للتحقيق بإشراف مفتش الشرطة (فرنسوا بيريير) وسرعان ما يتم إطلاق سراحه عندما يبرهن على تواجده ساعة وقوع الجريمة مع جين لاغرانج، التي اتفق معها كوستيللو مسبقاً لتقديم تلك الحجة أمام الشرطة. كما أن عازفة البيانو فاليري تكذب وتؤكد في إفادتها أنها لم تشاهده في الملهى الليلي. لكن مفتش الشرطة (فرنسوا بيريية) رجل عنيد لا يقتنع بحجة كوستيللو، فيرسل في أثره بعض العناصر متخفين باللباس المدني. يحاول هؤلاء العناصر تعقب تحركات كوستيللو الذي يتجه إلى محطات مترو الأنفاق في باريس والتي تشبه المتاهة في تعقيداتها ويتمكن من الإفلات منهم، ثم يتجه لاستلام أجره لقاء القضاء على صاحب الملهى من الرجل الذي كلفه بالمهمة، لكن هذا الأخير يحاول قتل كوستيللو بدلاً من إعطائه المبلغ المتفق عليه. يحاول كوستيللو يائساً الحصول على ماله والانتقام من شريكه المخادع، وبالتالي تبدأ حجته الملفقة التي قدمها للشرطة تتكشف بالتدريج فيضطر القاتل الفارّ أن يتوخى الحرص الشديد كي يتفادى الوقوع بيد محقق الشرطة الذي لا يكف عن ملاحقته، ويتخذ كوستيللو قراراً يفرز نتائج غير متوقعة تفاجئ جمهور المشاهدين.

وقد أكد المخرج (ميلفيل) أنه يرغب عادة بترك المشاهدين في حيرة من أمرهم بشكل يجعل كل مشاهد يفسر خاتمة الفيلم حسبما تعني له ووفقاً لتأويله للأحداث. مع أن هذا الأسلوب قد يولد الخيبة لدى البعض، إلا أنه برأي الكثيرين الطريقة المثلى التي يستطيع بها المخرج إنهاء فيلمه. أحرز "*الرجل الساموراي*" نجاحاً كبيراً ولاقى استحسان النقاد والجمهور، سواء على صعيد الإخراج أو أداء الممثلين عموماً وديلون بصورة خاصة، والديكورات البسيطة

والمذهلة في آن معاً التي جعلت من الشوارع وغيرها من المواد تبدو كقطع فنية، فضلاً عن الألوان الفاقعة التي ميزت مرحلة الستينيات من القرن العشرين وصفات السينما اليابانية التي اتبعها المخرج بطريقة غير مباشرة. هذه الصفات بمجملها قد جعلت من الفيلم عملاً سينمائياً رائعاً، لاسيما منح الجمهور خيار تفسير فكرة الفيلم ككل وليس الخاتمة فحسب على العكس من معظم الأفلام التي تعرض على المشاهدين أفكارها بشكل صريح وواضح. لذلك رأى بعض النقاد أن "*الرجل الساموراي*" فيلم ملحمي من أفلام الإثارة والتشويق الصادرة خلال عقد الستينيات وترك أثراً ملموساً وواضحاً على العديد من صانعي الأفلام والمشاريع السينمائية ولعل أبرزها كان في فيلم "*القاتل*" للمخرج (جون وو) الصادر عام ١٩٨٩.

تابع ديلون نشاطه السينمائي بهمّة عالية لاتعرف الكلل أو الملل، فما إن ينتهي من تصوير فيلم حتى يبدأ بتصوير آخر. فبعد شهرين تقريباً من إصدار "*الرجل الساموراي*"، جرى إصدار فيلم "*المخلص الشيطاني*" في ٢٢ كانون الأول من عام ١٩٦٧ الذي سجّل آخر تعاون بين آلان ديلون وصانع الأفلام الفرنسي المخضرم (جوليان دوفيفييه)، الذي قضى نحبه في حادث سيارة عن عمر ناهز الواحد والسبعين بعد إنجاز تصوير الفيلم بفترة قصيرة. (كان التعاون الأول بين هذين الفنانين في فيلم "*الشيطان والوصايا العشر*" الصادر عام ١٩٦٢). ولابد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن (دوفيفييه) استطاع بمهارته وخبرته الفنية الطويلة أن يجعل فيلم "*المخلص الشيطاني*" البسيط بفكرته عملاً سينمائياً مميزاً ترك بصمته على الفن السابع في ستينيات القرن العشرين.

لعب ديلون في "*المخلص الشيطاني*" دور رجل يدعى بيير لاغرانج يفقد ذاكرته إثر حادث سيارة بينما لا تصاب المرأة الموجودة بجانبه بأي خدش. يحاول بيير جاهداً أن يستجمع بعض الذكريات إلا أنه لا يتمكن أبداً من أن يتذكر بأنه رجل ثري أو المكان الذي يحتفظ فيه بثروته، ما يثير حيرة الأطباء الذين يتولون معالجته. لكن كريستيان (سنتا بيرغر) لا تصدق قصة فقدان ذاكرة زوجها بيير لاغرانج وهذا ما يعتقده أيضاً أصدقاء العائلة المقربون.

مع أن حبكة الفيلم تحتوي على بعض الثغرات من الناحية الروائية إلا أن أسلوب (دوفيفييه) في الإخراج السينمائي جعل الفيلم المقتبس عن رواية لـ (لويس سي. توماس) ونقلها (رولاند جيرار) إلى سيناريو فريداً بنوعه بين نمط أفلام الإثارة والتشويق. وعزز من هذا النجاح الكبير أداء ديلون الذي رأى فيه البعض أنه من أكثر الأدوار حيوية التي لعبها ديلون بمنتهى البراعة في مهنته التمثيلية في هذا الإنتاج الفرنسي – الإيطالي – الألماني المشترك. وقد أشار بعض النقاد إلى أن التعاون بين ديلون والممثلة الألمانية الجميلة (سنتا بيرغر) ربما حقق نجاحاً أفضل لو أن قصة الفيلم اقتضت تصوير علاقة حميمية بين بيير لاغرانج (ديلون) وزوجته كريستيان (سنتا بيرغر) نظراً للتوافق والانسجام الفيزيولوجي المثالي بين شخصي ديلون و(بيرغر).

(٦)

الفضيحة ...

تعرّضت حياة أشهر نجم فرنسي على الشاشة في الستينيات إلى هزة عنيفة على الصعيدين الشخصي والمهني. ففي ١٩٦٨ واجه آلان ديلون وزوجته (ناتالي) فضيحة كبيرة شغلت عناوين الصحف الأوروبية ردحاً طويلاً من الزمن، وذلك في أعقاب الجدل الثائر حول تورط ديلون في جريمة قتل حارسه الشخصي والملابسات التي ألقت بظلالها على شخصيته في الحياة الواقعية.

فقد تم العثور على جثة حارس ديلون الشخصي في مكبّ للقمامة وتبين بأن سبب الوفاة هو طلق ناري في الرأس. وأدى تحقيق السلطات في مقتل الحارس (ستيفان ماركوفيتش)، وهو من أصل صربي (يوغسلافي)، إلى كشف ملابسات الجريمة وتورط العديد من أبرز شخصيات المجتمع الفرنسي وغيرهم من السياسيين والمسؤولين الحكوميين في نشاطات إجرامية وقضايا مخدرات وفضائح جنسية. وقد تنبأ العديد بنهاية مهنة آلان ديلون الفنية عندما استهدفته الصحافة بدعاية سلبية مفرطة بسبب ارتباطه ببعض رجال المافيا وتورطه المزعوم بمقتل حارسه الشخصي (ستيفان ماركوفيتش).

بعد وقوع تلك الجريمة، نشرت الصحف تقارير إخبارية متنوعة ومتضاربة نوعاً ما في تواريخ تفصيلاتها، مع أنه يصعب التأكيد على موثوقية مصادر تلك الأخبار. فقد أفادت بعض هذه التقارير بأن (ناتالي ديلون) كانت على علاقة غرامية بالحارس (ستيفان ماركوفيتش) وبأنها اعترفت لديلون بالأمر قبل انفصالهما النهائي بساعات قليلة. ومن غير المؤكد أن ديلون واجه (ماركوفيتش) بحقيقة تلك العلاقة. لكن بعض أصدقاء (ماركوفيتش) اليوغسلافيين أكدوا بأنهم شاهدوا مشادّة كلامية عنيفة بين ديلون و(ماركوفيتش) في منتصف شهر آب. وبموازاة ذلك، تناقلت الصحف نبأ اتصال (ماركوفيتش) هاتفياً قبل مقتله بـ (ناتالي ديلون) في أوائل شهر أيلول ١٩٦٨ واجتماعه بها في ١٦ أيلول بمعزل عن ديلون. وفي ١ تشرين الأول تم العثور على جثته في مكبّ القمامة. بعد أسبوع تقريباً من وقوع الجريمة توافد رجال الشرطة والمباحث إلى منزل ديلون لبدء التحقيق معه ومع زوجته (ناتالي) وتم توقيفهما لفترة وجيزة على ذمة التحقيق. لكن هذه التحقيقات سرعان ما أبعدت الشبهات عن الزوجين عندما أثبت ديلون تواجده في مدينة "سانت تروبيه" الساحلية في جنوب شرق فرنسا ساعة وقوع الجريمة التي حصلت في العاصمة باريس، وتبيّن للسلطات بأنه كان يقوم بتصوير أحد أفلامه – "*حوض السباحة*" – في مدينة "سانت تروبيه"، بينما كان مسرح الجريمة في باريس. لكن هذه التحقيقات كشفت أيضاً وجود علاقات لديلون مع بعض عناصر المافيا.

لم يتمكن ديلون الذي أثبت براءته من التورط بتلك الجريمة من تبييض صورته بسهولة في عناوين الصحف، لاسيما أن علاقة ديلون بالصحافة الفرنسية كانت تجمع بين النقيضين: الحب والكراهية، بل وفي كثير من الأحيان اتسمت هذه العلاقة بالعدائية. كما رأى الكثير من عشاق السينما أن الأدوار العديدة التي لعبها ديلون على الشاشة في أفلامه البوليسية كان لها أثرها على حياته الواقعية حيث تردد صداها – على ما يبدو – في بعض تجاربه الحقيقية. إن أداء ديلون لأدوار رجال العصابات والسفاحين وغيرها من الأدوار المنطوية على المغامرات الجنسية اتخذت بُعْداً جديداً في ظل النشاطات المماثلة التي مرّ بها ديلون في حياته الواقعية بعيداً عن عدسة الكاميرا، لاسيما بعد المقابلة التلفزيونية التي اعترف خلالها بارتباطه ببعض المغامرات التي جرت في الظلال من دون الكشف عن تفصيلاتها.

انتهت التحقيقات آخر الأمر بتوجيه التهمة إلى رجل المافيا الكورسيكي (فرنسوا ماركنتوني) الذي ربطته بديلون صداقة قديمة منذ وجود ديلون في مدينة "طولون" خلال خدمته العسكرية عام ١٩٥٣ وتردده في تلك الفترة على حانة الكورسيكيين (تشارلز ماركنتوني) و(ريتا)، والديّ (فرنسوا ماركنتوني). وبالفعل تم إلقاء القبض

على (ماركنتوني) في ١٦ كانون الثاني ١٩٦٩ ثم تم الإفراج عنه في نهاية العام، وبالتحديد في ٣ كانون الأول ١٩٦٩ لعدم توفر الأدلة الدامغة والكافية لإدانته في جريمة قتل حارس ديلون الشخصي (ستيفان ماركوفيتش).

* * *

في الفترة الفاصلة بين فيلم *"المخلص الشيطاني"* الصادر في كانون الأول ١٩٦٧ و *"قصص غير عادية"* الصادر في أيار ١٩٦٨، صعد ديلون خشبة المسرح مرة ثانية في شباط ١٩٦٨ بمسرحية *"سحابة رملية"*، وهي من تأليف صديقه (جان كاو). على الرغم من النجاح الذي حققه ديلون في هذه المسرحية التي نالت شعبية واسعة، لم يتسن عرضها سوى ٢٢ مرة فقط وأسدل الستار على عروضها بعد أن أغلق المسرح أبوابه بسبب الاضطرابات السياسية والشعبية التي عمّت فرنسا في أيار ١٩٦٨. وكان أول عمل مسرحي ناجح اشترك ديلون في بطولته مع (رومي شنايدر) عام ١٩٦١ – بعد اجتماعهما معاً في بطولة الفيلم الروائي *"كريستين"* (١٩٥٨) – في مسرحية الكاتب (جون فورد) *"للأسف إنها عاهرة"* التي قام بإخراجها (لوتشينو فيسكونتي) واستمرت عروضها لفترة تجاوزت ثمانية شهور متواصلة.

ثم شارك ديلون في ١٩٦٨ ببطولة فيلم مؤلف من ثلاثة أقسام، أو بعبارة أخرى من ثلاثة أفلام قصيرة، قام بإخراجها ثلاثة من أشهر المخرجين الأوروبيين: (فيدريكو فلليني) و(روجر فاديم) و(لوي مال)، حيث اقتبس كل واحد منهم قصة قصيرة من قصص الروائي الأمريكي الشهير (إدغار آلان بو). حمل هذا الفيلم عنوان *"قصص غير عادية"*. ففي قصة القسم الأول من الفيلم التي تحمل عنوان *"ميتسنغرشتاين"* للمخرج الألماني (روجر فاديم) تؤدي (جين فوندا)، التي كانت زوجة (فاديم) في الحياة الواقعية آنذاك، دور كونتيسة مستهترة تنغمس في ملذات الحياة في القرون الوسطى وتمضي وقتها في ترهيب أفراد حاشيتها. وذات يوم تذهب بصحبة الحاشية إلى إحدى قلاعها التي تقع على مقربة من أرض ابن عمها بارون فيلهلم الفقير (بيتر فوندا) الذي لم تجتمع به منذ سنوات طويلة. ولكن عندما يقع نظرها عليه، تشعر برغبة جامحة نحوه وتحاول إغواءه لكنه لا يستجيب لرغباتها على عكس جميع الذين تتودد إليهم الكونتيسة، فيقوم أحد أتباعها بإحراق إسطبل الخيول ويحاول فيلهلم إنقاذ حصانه الأسود إلا أنه يلاقي حتفه، وهذا ما يجعل الكونتيسة فريدريك تنتابها الهواجس بأن ابن عمها بات متجسداً في ذلك الحصان الأسود.

أما قصة القسم الثاني *"ويليام ويلسون"* التي تشبه إلى حد بعيد قصة (دوستويفسكي) القصيرة "الشبيه" فقد قام بنقلها إلى الشاشة المخرج الفرنسي (لوي مال). يلعب ديلون في هذا القسم دور البطولة بشخصية تحمل عنوان القصة ذاته (ويليام ويلسون)، وهو جندي سادي في الجيش النمساوي ولا يعرف الرحمة يأتي ذات يوم إلى القس ليبوح له باعتراف عن الأفعال الوحشية التي ارتكبها طوال فترة حياته الآثمة، بالإضافة إلى اشتراك شبيهه المعروف بالاسم ذاته (ويليام ويلسون) في لحظات معينة من حياته المروعة. ولعل شبيهه الغامض هذا إنما يعكس "ضميره" والجانب الأسود الكامن في شخصيته. وقبل أن يقوم ويليام ويلسون الأصلي بالقضاء على شبيهه (أو الأنا الثانية) في نهاية القصة، نشاهد كيف يتم جلد جوسبينا (بريجيت باردو) – التي شاركت ديلون بطولة هذه القصة – بالسوط لمجرد أنها خسرت لعبة ورق. لقد شكل اجتماع ديلون بـ (بريجيت باردو) في هذا الفيلم تعاونهما الثاني والأخير عبر مسيرتهما الفنية الطويلة على الرغم من ارتباطهما بصداقة طيبة وقوية طويلة الأجل. وكان التعاون الأول بين النجمين في فيلم *"قصص حب مشهورة"* (١٩٦١).

قام (فيدريكو فلليني) بإخراج القسم الثالث والأخير من الفيلم بعنوان *"توبي دافيت"* الذي يلعب فيه (تيرنس ستامب) دور نجم سينمائي بريطاني فوضوي وسكير ويتعاطى المخدرات يسافر إلى روما من أجل تصوير فيلم من أفلام الكاوبوي الإيطالية. يحظى توبي دافيت بالإعجاب والتقدير في الصحافة الإيطالية، وهذا ما يدفع المنتجين إلى التملق إليه ويقطعون له وعداً بتقديم سيارة نوع فراري. قد يكون القسم الذي أخرجه (فلليني) هو الأروع بين أقسام الفيلم الثلاثة إلا أنه أكثرها غرابة. لكن من الواضح أن ارتباط قصص الفيلم الثلاث ببعضها البعض من الناحية الإبداعية أفرز فيلماً مميزاً من أفلام الرعب النفسانية من دون زجّ مشاهد سفك الدماء المعتادة في هذا النمط من الأفلام. ومع أن كل قسم من أقسام *"قصص غير عادية"* يتمتع بجميع المقومات الفنية السينمائية للفيلم القصير التي تخوله للعرض بشكل منفرد، إلا أنه من الصعب فصل تلك الأقسام عن بعضها وعرضها بشكل مستقل.

وفي شهر حزيران من العام ذاته (١٩٦٨) صدر فيلم رومانسي جديد لديلون أدى فيه دور البطولة أيضاً في إنتاج سينمائي فرنسي – إنكليزي مشترك، إخراج وسيناريو (جاك كارديف) نقلاً عن رواية بقلم الكاتب (أندريه دو بيير). حمل هذا الفيلم الرومانسي عنوان *"فتاة الدراجة النارية"*، حيث تلعب (ماريان فيثفول) دور تلك الفتاة التي تظهر في الفيلم باسم ربيكا (علماً بأن هذا الدور كان بالأساس من نصيب بريجيت باردو). يبدأ الفيلم عندما تهجر ربيكا زوجها الجديد ريمون (روجر ماتون) وتغادر منزله في سهول الألزاس على متن دراجة نارية – التي تعدّ رمزاً للحرية والهروب – وتتجه لزيارة عشيقها السابق، راكب الدراجة النارية دانييل (آلان ديلون) الموجود في مدينة هايدلبرغ بألمانيا. وخلال رحلتها للقاء دانييل تسترجع عبر سلسلة من لقطات الفلاش باك الأحداث المؤدية إلى اللحظة الحاسمة في الزمن الحاضر، بما في ذلك علاقتها الزوجية المهلهلة ثم تعيش علاقتها المتبدلة بين زوجها وعشيقها ضمن سلسلة من أحلام اليقظة. كان تصنيف *"فتاة الدراجة النارية"* لدى إصداره أول الأمر في البلدان الناطقة باللغة الإنكليزية تصنيف "إكس" (للكبار) وحمل عنواناً مختلفاً *"عارية تحت اللباس الجلدي"* نسبة إلى لباس ربيكا الجلدي لدى مغادرتها بيت الزوجية على متن دراجتها النارية.

لم يتوقف ديلون عن التصوير في تلك الفترة وكان جدول أعماله حافلاً بالمشاريع السينمائية. ففي غضون شهرين تقريباً من عرض فيلمه *"فتاة الدراجة النارية"*، تم إصدار فيلم آخر لديلون في ١٤ آب ١٩٦٨ بعنوان *"وداعاً ياصديقي"*. يرصد هذا الفيلم الذي جمع بين ديلون والممثل الأمريكي الشهير (تشارلز برونسون) قصة اجتماع زميلين سابقين في الجيش بعد سنوات عديدة وفي ظروف استثنائية.

بعد مرور فترة طويلة على إنهاء الخدمة العسكرية في فيلق القوات الفرنسية الخارجية التي شاركت في الحرب الفرنسية على الجزائر، يلتئم شمل الجندي الأمريكي المرتزق فرانز بروب (تشارلز برونسون) والطبيب الفرنسي دينو باران (آلان ديلون) بالصدفة وبشكل غير متوقع وفي ظروف غير عادية على الإطلاق. يقرر دينو بارون مساعدة صديق اختلس بعض السندات المالية فيتوجه تحت جنح الظلام إلى مبنى توجد فيه خزنة تحت الأرض كي يعيد السندات المسروقة إلى مكانها لكنه يفاجئ بظهور زميل السلاح السابق فرانز بروب (برونسون) الذي جاء أيضاً إلى الخزنة ذاتها ولكن بهدف السطو على محتوياتها. بعد مرور لحظات حرجة يوافق الرجلان على مضض على التعاون في فتح الخزنة وينجز كل منهما المهمة التي جاء من أجلها، لكن يحدث ما لم يكن في الحسبان حين يُغلق باب الخزنة ويصبح دينو وبروب حبيسين داخل هذا المكان المغلق.

مع أن دوافع كل منهما وأهدافهما متباينة تماماً، إلا أن فرص النجاة تعتمد على تعاونهما المشترك فتتطور بينهما صداقة ترتكز على "مبدأ الشرف بين اللصوص" تساعدهما على الخروج من هذا المأزق. "*وداعاً يا صديقي*" فيلم مشوق حافل بالمغامرات وعزز من نجاحه الكبير الأداء المتميز لكل من آلان ديلون و(تشارلز برونسون) تحت إشراف المخرج المبدع (جان هيرمان) والسيناريو البليغ الذي كتبه (سباستيان جبريسو).

* * *

في تلك الأثناء وصلت العلاقة الزوجية بين آلان ديلون و(ناتالي ديلون) إلى نهاية محتومة عندما أدركت (ناتالي) أن بريق العلاقة مع ديلون قد تلاشى إلى الأبد. فهذا الزواج لم يستمر سوى أربع سنوات فقط، وأعلن الطلاق بين ديلون و(ناتالي) في ٢٥ آب ١٩٦٨ – مع أن إجراءات الطلاق الرسمي لم تنته إلا في ١٤ شباط ١٩٦٩.

الأمر الوحيد الذي أقلق ديلون هو وقع الطلاق وأثره على نفس طفلهما (أنتوني)، ما دفع (ناتالي) للسفر إلى إيطاليا كي تبتعد عن الصورة لفترة من الزمن. لقد اعتبر ديلون هذا الطلاق هو أسوأ تجربة في حياته لأنه أدخل طفله الذي بلغ ربيعه الرابع في خلافات لا حول له فيها ولا قوة، وكأن التاريخ يعيد نفسه لأن الطفل (أنتوني) كان في السن ذاته الذي بلغه ديلون لحظة طلاق والديه. وقد طلب ديلون من (ناتالي) الاحتفاظ بلقب "ديلون" في اسمها ليبقى (ناتالي ديلون) وذلك من أجل طفلهما (أنتوني). وقد علق ديلون على علاقته بـ (ناتالي) بعد انفصالهما بقوله: "كان من المفترض أن تكون (ناتالي) أول وآخر زوجة لي، لكن يبدو أن الحياة كان لها اختيار مختلف ... في الحقيقة لدي ذكريات طيبة جداً عن علاقتي بـ (ناتالي) ... لطالما شعرت بأن قيمة الأسرة تحتل الأولوية في حياتي ... بل إن قدسية الزواج بصورة عامة تكمن في الأطفال لا في الزوجين ... عندما أفكر بولدي (أنتوني)، أشعر بأن هذا الطلاق هو أفظع فشل مررت به في حياتي كلها. عزائي الوحيد هو أنه مازال صغيراً على فهم ما تتداوله الصحف ووسائل الإعلام حول قضية طلاقي من (ناتالي)". واستمر ديلون لفترة طويلة يحتفظ بصورة (أنتوني) في كل موقع من مواقع تصوير أفلامه.

أما (ناتالي) وبعد استقرارها لفترة وجيزة في "صندانس" بولاية أوتاوه الأمريكية، فقد احترفت التمثيل وظهرت في أفلام عديدة، ومنها "*اليد*" (١٩٦٩) و"*الشقيقات*" (١٩٦٩) و"*فرصة ضئيلة*" (١٩٧١) و"*اللحية الزرقاء*" (١٩٧٢) و"*المرأة الوقّية*" (١٩٧٦) و"*عيون خلف النجوم*" (١٩٧٨) و"*هذه الليلة*" (٢٠٠٨). كما أصدرت شريطاً تسجيلياً تدريبياً عن اليوغا بعنوان "رياضتي الخاصة باليوغا".

* * *

ظهر ديلون في فيلم آخر في ١٩٦٨ حمل عنوان "*هُوْ*" (أو "*وجه إجرامي*") كان الجزء الأخير من ثلاثية المخرج (روبرت إنركيو) التي بدأها بفيلم "*المغامرون*" ثم أتبعه بفيلم "*العمة زيتا*". لكن الدور الذي لعبه ديلون في هذا الفيلم لم يكن رئيسياً وإنما اقتصر على ظهوره في المطار ضمن أحداث الفيلم، في حين أسند دور البطولة إلى (جان بول بلمندو) بشخصية فرنسوا هولين الملقب بـ (هُوْ). يحترف (هُوْ) بالأساس سباق السيارات ويمارس هذه المهنة تحت رعاية أحد زعماء العصابات الملونين. ولكن عندما يقضي أحد أصدقاء (هُوْ) نحبه إثر حادث في السباق، يعتزل (هُوْ) هذه المهنة وينضم للعمل كسائق مع زعيم العصابة الذي كان يتولى رعايته في مهنته العادية السابقة. أما الآن فتنحصر مهمة (هُوْ) في قيادة سيارة العصابة والانطلاق بها بسرعة بعد تنفيذ عمليات السطو على المصارف.

عندما يلاقي رئيس العصابة حتفه في إحدى العمليات، يحاول (هُوْ) أن يفرض نفسه بالقوة كي يحل محل زعيم العصابة الراحل ويسيطر على رجالها، ثم لا يلبث أن يقيم علاقة غرامية مع عارضة الأزياء المشهورة بنيديكت (جوانا شيمكوس)، لكن الشرطة تكون بالمرصاد وتبدأ بمطاردة زعيم العصابة الجديد (هُوْ). لاتمضي فترة طويلة حتى تلاقي العارضة الجميلة بنديكت حتفها خلال اشتباك بين رجال العصابة والشرطة بالإضافة إلى إلقاء القبض على (هُوْ) الذي يعتقد أن أحلامه الإجرامية قد تبخرت مع وصول أفواج المصورين الصحفيين لالتقاط صورته مكبل الأيدي.

إن فسخ الخطوبة بين آلان ديلون و(رومي شنايدر) لم يثنهما عن التعاون معاً بعد أداء دور البطولة سوية في فيلم "*كريستين*" (١٩٥٨). فبعد غياب (شنايدر) عن الشاشة لفترة تجاوزت سنتين بسبب زواجها من (هاري ماين) في ١٩٦٦ والتفاتها إلى رعاية صغيرها (ديفيد)، أدركت مدى رغبتها بمتابعة مهنتها التمثيلية. وذكرت عن ذلك لاحقاً بقولها: "لقد اتصل بي آلان وسألني فيما إذا كانت عملية الزواج وإنجاب الأطفال هي التي تستحوذ على تفكيري، أم أنني مازلت مهتمة بتصوير فيلم جديد ..!!". وكانت النتيجة اشتراك (شنايدر) وديلون في فيلم جديد حمل عنوان "*حوض السباحة*" الذي أحرز نجاحاً منقطع النظير على شباك التذاكر عام ١٩٦٩، ومن ثم فيلم "*اغتيال تروتسكي*" (١٩٧٢) واستمرت الصداقة بينهما مدى الحياة.

توجّه ديلون إلى مدينة "سانت تروبيه" الساحلية قبل بدء برنامج تصوير فيلم "*حوض السباحة*" بأيام قليلة وحلّ ضيفاً على (بريجيت باردو) في شقتها التي تقع في ذلك المنتجع الساحلي. فـ (باردو) كانت من أعز صديقات ديلون وتربطه بها علاقة ودية طيبة وقديمة. خصصت (باردو) غرفة نوم مستقلة لديلون كي يشعر بالراحة، وحاولت أن تشغله عن همومه التي باتت تؤرقه بسبب انفصاله عن (ناتالي) وطلاقهما الوشيك وتداعيات تلك التطورات ونتائجها المحتملة على صغيرهما (أنتوني).

ذكرت (بريجيت باردو) في فترة لاحقة عن استضافتها لديلون خلال تصوير فيلمه "*حوض السباحة*" بقولها: "حاولت أن أشغله عن المشكلات التي تقض مضجعه ... فدعوته لتناول البيتزا مع أصدقائي في أحد مطاعم سانت تروبيه، إلا أنه رفض بلباقة ... أعتقد أنه فضل تناول الطعام مع الحرّاس على مرافقتي إلى المطعم ... لدى عودتي إلى المنزل، وجدت قطعة ورق صغيرة على وسادة سريري مكتوبة بخط آلان قال فيها: لماذا تفسدين حياتك بقضاء أوقات طويلة مع أشخاص كهؤلاء؟ ... في الحقيقة لم أشعر بالاستياء من كلمات آلان لأنني أدركت الحالة النفسية التي يمرّ بها نتيجة انفصاله عن (ناتالي) ... كما أنه كان يشعر بالتوتر بسبب اقتراب موعد وصول حبّه القديم .. (رومي) ... من أجل تصوير فيلم *حوض السباحة* ...".

لم تستمر إقامة ديلون في شقة (بريجيت باردو) إلا أياماً قليلة فقط حين انتقل إلى شقة مستقلة قام فريق الإنتاج باستئجارها له عند بدء برنامج تصوير الفيلم. توجّه ديلون في اليوم التالي إلى المطار لاستقبال (رومي شنايدر) وكان بانتظاره حشد من المصورين الصحفيين الذين استعدوا لالتقاط صور اللقاء بين ديلون و(شنايدر). في تلك الأثناء، حاول صحفي مبتدئ يدعى (جان ماري مولديننغو) إجراء مقابلة مع ديلون وسأله عن شعوره حول اللحظة التي سيستقبل فيها (شنايدر)، فأخبره ديلون قائلاً: "أشعر بالتوتر نوعاً ما ... فقد استقبلت (رومي) في هذا المكان بالذات، ولكن من عشر سنوات مضت ...". لدى وصول (شنايدر) إلى المطار، طرح ذلك الصحفي سؤالاً مماثلاً عليها فأجابت أنها في غاية السعادة للالتقاء بديلون من جديد.

سجّل فيلم "*حوض السباحة*" الصادر في ١٩٦٩ أول تعاون لديلون مع المخرج (جاك ديراي) في سلسلة طويلة من الأعمال اللاحقة بينهما. كما تولى السيناريست المبدع (جان كلود كاريير) كتابة النص السينمائي لهذا الفيلم البوليسي الرائع الذي يتناول قصة خيانة وغيرة تنتهي بارتكاب جريمة قتل. يرصد الفيلم قصة كاتب عاطل عن العمل يدعى جان بول (آلان ديلون) وزوجته الجميلة الصحفية الناجحة ماريان (رومي شنايدر). وذات يوم بينما يلهو الزوجان في حوض السباحة بفيلا تقع في منتجع "سانت تروبيه" الساحلي، يأتي لزيارتهما شخص يدعى هاري (موريس رونيه)، وهو صديق قديم لجان بول وعشيق ماريان سابقاً، لكنه هو الشخص الذي كان بالأصل وسيلة التعارف بين جان بول وماريان قبل الزواج. يصطحب هاري معه في هذه الزيارة ابنته غير الشرعية بنيلوبي (جين بيركن) البالغة من العمر ١٨ سنة. يحاول هاري التودد إلى عشيقته السابقة ماريان، في حين لايتردد جان بول بالقيام بالشيء نفسه مع بنيلوبي، ابنة هاري. بعد أن يتناول الزوجان وضيفاهما بعض كؤوس النبيذ، يتشاجر جان بول وهاري وينتهي هذا الشجار بدفع هاري إلى بركة السباحة ويرفض جان بول إنقاذه بينما يغرق أمام عينيه. يسارع الزوجان إلى تلفيق قصة أمام الشرطة تجنبهما التعرض لتهمة إغراق هاري وهلاكه.

إن غياب (رومي شنايدر) عن الشاشة بعد زواجها من (هاري ماين) جعل مهنتها تتعثر بعض الشيء، إلا أنها استعادت تألقها من خلال ظهورها مع ديلون في "*حوض السباحة*"، ثم تابعت (شنايدر) مسيرتها الفنية بعد هذا الفيلم وشاركت في بطولة فيلم "*أشياء من الحياة*" (١٩٦٩) الذي شكل بداية العمل في سلسلة من الأفلام مع المخرج (كلود سوتيه) التي زادت من شهرتها، ومنها "*قصة بسيطة*" و"*المصرفية*" و"*سيزار وروزالي*"، وغالباً ما صورت هذه الأعمال بالتعاون مع صديقها الممثل (ميشيل بيكولي).

بعد إنجاز تصوير فيلم "*حوض السباحة*" وانفصال ديلون عن (ناتالي)، تعرّف إلى العارضة والممثلة الفرنسية الحسناء (ميراي دارك) بالمصادفة. فقبل أن يصور معها فيلم "جيف" التقى بها على متن رحلة جوية متجهة من مدريد إلى باريس. كان ترتيب مقعد (ميراي دارك) في الطائرة يقع بجانب مقعد ديلون. وقالت في فترة لاحقة عن تلك اللحظات إنها من فرط الإثارة صار قلبها يخفق عندما وجدت نفسها تجلس بجانب أوسم وأشهر نجم على الشاشة ... وبعد التعارف الذي جرى بينهما خلال تلك الرحلة الجوية، قدّم لها ديلون عقداً من العاج لدى هبوط الطائرة في مطار أورلي كتذكار مازالت تحتفظ به إلى الآن.

وُلدت العارضة والممثلة (ميراي دارك) في ١٥ أيار ١٩٣٨ في مدينة طولون بجنوب فرنسا لأسرة فقيرة. ومع أن ظروف أسرتها كانت صعبة جداً من الناحية المادية، إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تعيش حياة سعيدة مع أمها وأبيها وشقيقيها الأكبر منها. اكتشفت (ميراي) ميولها نحو المسرح وهي في الثانوية وبدأت تتعلم أصول هذا الفن وتحفظ عن ظهر قلب المسرحيات الكلاسيكية لـ (كورني) و(راسين) وسواهما. وقد لفتت انتباه أساتذتها إلى مواهبها الفنية بفضل فصاحتها في النطق وحسن أدائها للأدوار المسرحية ورشاقة حركتها أثناء تلك الأدوار. ثم تركت (ميراي) المدرسة العامة بسبب كرهها للدروس والتحقت بمدرسة الفنون في باريس لتدرس التمثيل المسرحي.

وفي مذكرات (ميراي دارك) المنشورة في ٢٠٠٦ ضمن كتاب بعنوان "مادام القلب يخفق" أشارت إلى معاناتها الصعبة بعد إنجاز دراستها أول الأمر قبل أن تحظى بدور مسرحي أو سينمائي تكسب منه بعض المال، فكانت أمها ترسل لها الطعام بين الحين والآخر من مدينة طولون. ثم ابتسم لها الحظ وأسند إليها أحد المخرجين السينمائيين دوراً في أحد أفلامه، ممهداً لها الطريق بذلك للظهور في عدة أفلام متتالية إلى أن أصبحت ميسورة من الناحية المادية،

فبدّلت الغرفة الصغيرة التي كانت تسكنها بشقة فخمة في أحد أحياء باريس الراقية. ثم اشترتها بعد أن ارتفعت أجورها السينمائية. كانت (ميراي دارك) تتمنى أن تفتخر بها عائلتها لأنها نجحت في عملها السينمائي، لكن ذلك كان أمراً صعباً لأنها بالأصل تنتمي لعائلة محافظة تنظر إلى العمل في السينما كأمر مخلّ بالأخلاق ويسيء إلى سمعة الشخص وبخاصة إذا كانت امرأة، ما جعل (ميراي) تعاني كثيراً من ذلك الموقف.

وفي مذكرات (ميراي دارك) "مادام القلب يخفق" قالت إنها لم تجرؤ على طرح السؤال التالي على والدتها "هل شاهدتِ أفلامي يا أمي؟ هل رأيتني على الشاشة يوماً ما؟". والواقع أنها عندما كانت تأخذ إجازة وتعود إلى بيت العائلة في مدينة طولون الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، كان الجميع يتحدث عن كل شيء ما عدا السينما! ولكنها علمت لاحقاً أنهم شاهدوا جميع أفلامها ولم يرق لهم الأدوار التي تؤديها، بما أن بعض أدوار الإغراء تطلبت منها تعرية قسم كبير من جسدها. بالطبع فإن هذه النظرة السلبية إلى السينما والتمثيل اختفت الآن في فرنسا أو سواها بعد أن تطورت العقليات عمّا كانت عليه منذ نصف قرن. ثم تطورت أحوال (ميراي دارك) وأصبحت ممثلة معروفة، خصوصاً في أول دور بطولة حقق لها الشهرة على الشاشة الكبيرة في فيلم "*عطلة نهاية الأسبوع*" (١٩٦٧) للمخرج (جان لوك غودارد).

إن التعارف الذي جرى بين ديلون و(دارك) على متن الطائرة وتعاونهما في فيلم "جيف" سيكون له شأن كبير في حياة ديلون حين تطورت تلك العلاقة إلى علاقة غرامية طويلة استمرت أربع عشرة سنة تقريباً من ١٩٦٨ إلى ١٩٨٢ ولكن من دون زواج، وشاركته البطولة في عدد من أفلامه، ومنها "*الرجل المستعجِل*" و"*موت رجل فاسد*" و"*مادلي*" و"*شرطي سابق*" و"*بورسالينو*" و"*دم بارد*" وغيرها.

* * *

إن شركة "ديلبو" للإنتاج السينمائي التي أسسها ديلون بالتعاون مع وكيل أعماله (جورج بوم) في ١٩٦٤ لم تنفذ سوى إنتاج فيلمين فقط، ثم حوّل تلك الشركة عام ١٩٦٨ لتصبح معروفة باسم شركة "آديل" للإنتاج السينمائي والتي تولت إنتاج أفلامه إلى نهاية الثمانينيات بالإضافة إلى أفلام أخرى لم يشترك في بطولتها، أو على الأقل ظهر فيها كضيف شرف. وكان "جيف" الصادر في ١٩٦٩ أول فيلم من إنتاج شركة "آديل" وأول فيلم تمثل فيه (ميراي دارك) أمام ديلون. لم يشكل هذا الفيلم البوليسي المثير أول تعاون بين ديلون والمخرج (جان هيرمان). فقد أسند إليه (هيرمان) دور البطولة عام ١٩٦٨ في فيلم "*وداعاً يا صديقي*" الذي يعتقد البعض أنه أفضل من فيلم "جيف".

"جيف" فيلم عن الجريمة الكاملة التي تتعثر فجأة وبطريقة غير متوقعة. يرصد الفيلم الذي بدأ تصويره في بلجيكا في شتاء ١٩٦٨ قصة جيف (جورج روكوبيه) العقل المدبر لعملية سطو ناجحة، لكن عندما يتخلف الزعيم جيف عن الحضور بعد العملية من أجل اقتسام الغنيمة مع رجاله، يسارعون إلى وضع إيفا (ميراي دارك) – التي أصبحت عشيقة ديلون في الحياة الواقعية في تلك الفترة – فتاة زعيم العصابة جيف والشاب لوران (آلان ديلون) الذي يحظى برعاية وحماية جيف نفسه، يسارعون إلى وضعهما تحت حراسة مشددة ومنعهما من مغادرة المكان ريثما يصل الزعيم. لكن لوران يتمكن من الحراس ويلوذ بالفرار مع إيفا فتبدأ مطاردة مثيرة في حديقة الحيوانات تنتهي بتبادل إطلاق النار بين لوران ورجال العصابة الذين يفقدون واحداً منهم بطريقة مروعة عندما تهاجمه أسراب النحل بلسعاتها القاتلة. وفي النهاية تحصل المواجهة بين لوران وجيف في صراع رهيب للحصول على المال المسروق. من الطريف أن ملصق الفيلم كان مضللاً بأن جعل الكثيرين يعتقدون أن ديلون هو الذي يلعب دور جيف.

* * *

لقد تحدثت (ميراي دارك) عن علاقتها بآلان ديلون في كتاب مذكراتها "مادام القلب يخفق" أنها عندما تعرفت إليه ، كانت لديه مشكلات عائلية كبيرة. فقد طلق زوجته التي أنجبت له (أنتوني)، والذي أصبح ممثلاً فيما بعد، وكيف عاش الطفل حياة التمزق العاطفي بين أبويه. والواقع أنه عاش مع (ميراي دارك) صاحبة أبيه أكثر مما عاش مع أمه. ولذلك فإنه مازال إلى الآن يكن لها احتراماً ومحبة كبيرين. وقالت (دارك) في كتاب مذكراتها "مادام القلب يخفق": "كان آلان في ذلك الوقت يعيش أصعب مرحلة في حياته. فقد اتهموه بالتورط في مقتل حارسه الشخصي الشاب اليوغسلافي الأصل (ستيفان ماركوفيتش). ولكن يبدو أن آلان لم يستجب لكل مطالب حارسه هذا .... وحصلت بينهما مشادّة عنيفة قبل وقوع الجريمة ببضعة أيام. ولذلك اتهموا آلان ديلون بارتكابها. فقد وجدوا جثة هذا الشاب مرمية في مكبّ للقمامة في أحد الحقول المحيطة بباريس بعد أن أطلقت رصاصة على رأسه وأردته قتيلاً... وزعم أنصار ديلون أن الحارس (ماركوفيتش) قد انتحر. ولكن يبدو أن أحداً قتله ... واتهم البعض أحد كبار قادة المافيا وكان صديقاً لديلون بتدبير عملية قتله بطلب من ديلون شخصياً".

وتتابع (دارك) في كتاب مذكراتها عن تلك الفضيحة قائلة "ثم تطورت القصة واتخذت طابعاً سياسياً عندما انكشفت خباياها... فيبدو أن هذا (ماركوفيتش) هدّد ديلون بنشر صور جنسية فاضحة له إذا لم يستجب لمطالبه. وهذا ما سرّع في تصفيته. فقد أدرك آلان – وفقاً لما اعتقده البعض – أنه إذا بقي هذا الشخص على قيد الحياة فسوف يظل سيفه مسلطاً فوق رأسه يهدده ويبتزّه، ولذلك لجأ إلى تصفيته. هذا ما اعتقده البعض ولكنه ليس مؤكداً ... ما حقيقة هذه الصور الفاضحة!! يبدو أنها التقطت للممثل الشهير وهو في حفلة ماجنة مع العديد من السيدات، ومنهن زوجة الرئيس السابق (جورج بومبيدو). ولكن يبدو أن هذه الصورة كانت مزيفة وملفقة من قبل أعداء (بومبيدو) نفسه قبل أن يصبح رئيساً من أجل سدّ باب الرئاسة أمامه. فالحزب الديغولي كان منقسماً إلى مجموعتين، ترغب الأولى منهما في أن يخلف (بومبيدو) الجنرال ديغول، بينما رفضت المجموعة الثانية هذه الفكرة رفضاً قاطعاً. ومن المرجح أن هذه المجموعة الثانية هي التي أعدّت مؤامرة الصور الفاضحة للضغط على (بومبيدو) لكي يتراجع عن ترشيح نفسه للرئاسة. فهل كان آلان ديلون متورطاً مع هؤلاء الديغوليين المناهضين لـ (جورج بومبيدو)؟ لا أحد يعرف حقيقة الأمر. كل ما نعرفه هو أن القصة أخذت أبعاداً ضخمة فيما بعد وأصبح ديلون ملاحقاً من قبل أجهزة المخابرات لأن (بومبيدو) كان رئيساً للوزراء في تلك الفترة وشخصية قوية على الرغم من كل شيء. ووسط هذه الظروف الغامضة تمت عملية تصفية حارس ديلون الشخصي (ستيفان ماركوفيتش) ... ويبدو أنه كان مرتبطاً بجهاز الاستخبارات المقرّب من رئيس الوزراء".

كما أشارت (ميراي دارك) في كتابها قائلة: "مهما يكن من أمر، فإن آلان ديلون كان يعيش أصعب لحظات حياته عندما التقيت به لأول مرة ... وكان دائماً قلقاً يشعر بالخوف من شيء ما ... لقد تعرفت إليه في ظل هذه الظروف الصعبة، مع أنني لم أدرك حينها سبب قلقه واضطرابه لأنني كنت قد دخلت حياته منذ فترة وجيزة فقط. وفي أثناء توجهنا إلى باريس من منطقة الشاطئ اللازوردي كان آلان يبدو شديد النرفزة والعصبية... وكان يتوقف عن قيادة السيارة ويركنها جانباً بين الحين والآخر ويطلب مني الانتظار: انتظريني هنا... سأجري اتصالاً هاتفياً... كان يتصل بأحدهم وتستمر المكالمة لفترة طويلة ثم يعود إلى السيارة من جديد... وهكذا دواليك. لقد عشت مع آلان في تلك الفترة قصة رهيبة تشبه قصص الأفلام البوليسية التي مثلها ونجح فيها أيّما نجاح. يبدو أنه عكس كل حياته

الشخصية في أفلامه ولذلك نجحت هذه الأفلام وجعلت منه أسطورة سينمائية ليس فقط على مستوى فرنسا وإنما في كل أنحاء العالم... فقد كان يؤدي أدواره وكأنه يعيشها فعلاً... وهنا يكمن أول شرط من شروط نجاح الممثل. لكن الناس انصرفوا عن ديلون في تلك الفترة وحاولوا الابتعاد عن طريقه بسبب تورطه المزعوم بقتل حارسه (ماركوفيتش) ".

كما ذكرت (دارك) في كتابها "مادام القلب يخفق" الذي استعرضت فيه مذكرات حياتها "أقامت دار الأوبرا الفرنسية في باريس ذات مساء حفلاً كبيراً ضمّ بين حضوره شخصيات فنية وثقافية وسياسية بارزة، فسألني آلان: هل تقبلين بمرافقتي إلى دار الأوبرا؟... فأجبته.. وكنت قد وقعت في حبه... أجل سأذهب معك إلى أي مكان في الأرض... سأذهب إلى الجحيم إذا لزم الأمر".

ومنذ ذلك الوقت إلى الآن لم ينس ديلون هذا الموقف الشجاع، بل والمتهور لأنها وقفت إلى جانبه بكل افتخار غير مبالية بنظرات اللوم والعتاب. فالواقع أنه ما كان أحد في باريس يقبل بالظهور معه في الأماكن العامة لأن سمعته قد شوهتها كل وسائل الإعلام، وأصبح شخصاً يتجنبه القريب قبل البعيد. ثم تجاوز آلان ديلون المحنة واستعاد سمعته الطيبة وأمجاد نجوميته كأشهر شخصية سينمائية في فرنسا.

(٧)

ديلون وبلمندو على عرش الشاشة الفرنسية

اشترك في بطولة فيلم "*عصابة الصقليين*" الذي استغرق تصويره ٧٥ يوماً وتم إصداره عام ١٩٦٩ ثلاثة من أهم ممثلي نمط الأفلام البوليسية في السينما الأوروبية في ستينيات القرن العشرين، وعلى رأسهم آلان ديلون و(لينو فنتورا) و(جان غابان)، والفيلم من إخراج وسيناريو (هنري فيرنويل) نقلاً عن رواية بقلم (أوغست لو بريتون). روجر سارتيه (ديلون) مجرم متهم يهرب من السجن بمساعدة عصابة الصقليين التي يتزعمها العجوز فيتوريو ماناليز (جان غابان). يخطط الزعيم فيتوريو ماناليز للسطو على خزنة مليئة بالمجوهرات في أحد معارض روما تصل قيمتها إلى ٥٠ مليون دولار – علماً بأن هذه المجوهرات كانت حقيقية تم اقتراضها من محل "رو دولابي" لصياغة المجوهرات في باريس.

خلال الإعداد لتنفيذ السرقة، يقترح الأمريكي توني نيكوسيا (أميديو ناتساري)، صديق زعيم العصابة، طريقة أفضل لتنفيذ السرقة تتمثل في اختطاف الطائرة التي تنقل المجوهرات أثناء رحلتها إلى نيويورك لكن مفتش الشرطة الباريسي العنيد لو غوف (لينو فنتورا) يحاول ما بوسعه لإفشال مخططات العصابة. مع أن عملية السرقة ناجحة بحد ذاتها، إلا أن روجر سارتيه يجد نفسه عالقاً في فخ من تدبير ماناليز بسبب العلاقة الغرامية التي يقيمها سارتيه مع (إيرينا ديميك) زوجة ابن فيتوريو ماناليز.

إن الأداء الرائع الذي قدمه كل من ديلون و(فنتورا) و(غابان) قد ساهم بشكل كبير في نجاح "*عصابة الصقليين*" الذي كان من أفضل أعمال المخرج (فيرنويل)، فضلاً عن الموسيقى التصويرية الساحرة التي برع في

إظهار طابعها الخاص ببلدان حوض البحر الأبيض المتوسط الملحن (إنيو موريكونيه). وقد نال الفيلم ترشيحاً لجائزة الإكليل الذهبي (١٩٧١) كأحسن فيلم أجنبي. وبالرغم من مرور سنوات طويلة على إصدار هذا الفيلم البوليسي الفرنسي الكلاسيكي، إلا أن مشاهدته مازالت ممتعة إلى يومنا هذا وتبعث حسّ الإثارة والتشويق في نفس المشاهدين.

* * *

لقد أصبح ديلون في تلك المرحلة النجم رقم واحد في تجسيد صورة "الملاك الشرير" الذي يحدّق بعدسة الكاميرا كالقط الذي يستعد للانقضاض على الفأر. وفي ١٩٧٠ اجتمع أشهر نجمين فرنسيين في الأفلام البوليسية بإنتاج مثير وجديد حمل عنوان *"بورسالينو"*، الذي سجّل التعاون الرابع بين آلان ديلون ومنافسه الأبرز في هذا النمط السينمائي: (جان بول بلمندو)، منافس ديلون في المهنة وصديقه في الحياة الواقعية. فقد ظهر ديلون و(بلمندو) معاً في *"قصص حب مشهورة"* (١٩٦١) و*"هل تحترق باريس؟"* (١٩٦٦) و*"هُوَ"* (أو *"وجه إجرامي"*) (١٩٦٨) – مع أن دور ديلون في الفيلم الأخير اقتصر على مشاهد محدودة فقط، بينما لعب (بلمندو) دور البطولة الرئيسي.

"بورسالينو" فيلم بوليسي مقتبس عن رواية للكاتب (يوجين ساكومانو) بعنوان "عصابات مرسيليا"، إخراج (جاك ديراي) وسيناريو (جان كلود كاريير). يصور الفيلم أجواء مرسيليا كما كانت عام ١٩٣٠ بالاستعانة بالموسيقى التصويرية التي تعكس طابع تلك الفترة. يؤدي ديلون و(بلمندو) دور محتالين بسيطين، ديلون بشخصية روش سيفريدي و(بلمندو) بدور فرنسوا كابيلا. يبدأ الفيلم في حانة تضم بين روادها فرنسوا كابيلا (بلمندو) وسيدة جميلة تدعى لولا (كاترين روفيل). يدخل روش سيفريدي (ديلون) بسرعة ويتجه نحو لولا التي تجلس على كرسي البار ويطلب منها أن تذهب معه، فيتدخل فرنسوا كابيلا وينشب عراك بالأيدي بينه وبين سيفريدي. تتوالى أحداث الفيلم بدءاً من هذا اللقاء بين الرجلين الذي يتطور إلى نوع من الصداقة فيما بعد. يتركز نشاط روش وفرنسوا في البداية على أعمال الاحتيال البسيطة في رهانات ميدان سباق السيارات ومباريات الملاكمة، ثم تتحسن أحوالهما عندما يتوجهان للعمل لدى بعض زعماء العصابات المحليين. ولكن عندما يقرر الصديقان متابعة هذه النشاطات الإجرامية بشكل مستقل بالاعتماد على نفسيهما، ينتقل بهما الحال أيضاً من أعمال الاحتيال البسيطة إلى عمليات العصابات الكبيرة والخطيرة.

لطالما أثار اجتماع ديلون و(بلمندو) على الشاشة ضجة واسعة لدى جمهور المشاهدين التواقين لرؤية ألمع نجمين في السينما الفرنسية يظهران معاً في الأفلام البوليسية بهدف الحصول على المزيد من الإثارة والتشويق، وهذا ما جعل *"بورسالينو"* من أنجح الأفلام الفرنسية الصادرة في ذلك العام بتحقيقه أعلى الإيرادات على شباك التذاكر، وأكد صدارة النجمين الأسطوريين ديلون و(بلمندو) على شباك تذاكر السينما الفرنسية لأكثر من ثلاثين سنة.

في الوقت الذي وصل فيه المخرج (جان بيير ميلفيل) إلى أوج مهنته في صناعة الأفلام، أسند دور البطولة في واحد من أهم أعماله إلى آلان ديلون تحت عنوان *"الدائرة الحمراء"* (١٩٧٠) الذي يُعدّ من روائع سينما الإثارة والتشويق. يرصد هذا الفيلم الذي كتب نصه السينمائي (ميلفيل) بالإضافة إلى إخراجه، عملية سرقة يتم تنفيذها بمنتهى الهدوء في ساحة الفاندوم بباريس. يلعب ديلون دور لص أرستقراطي هادئ يدعى كوري يُطلق سراحه من السجن في اليوم ذاته الذي يهرب فيه المجرم فوغل (جيان ماريا فولونتيه) من قبضة مفتش الشرطة ماتيه (أندريه بورفيل) ويختبئ في صندوق سيارة كوري الذي يبادر إلى سرقة أموال رئيس عصابته ريكو (أندريه إيكيان). ثم يقوم كوري بالتخطيط للسطو على محل مجوهرات كبير يقع في ساحة الفاندوم بالعاصمة الفرنسية باريس، ويجند لتنفيذ

هذه العملية كل من فوغل وشرطي سابق مدمن على تناول الكحول ومشهور بتصويب مسدسه بكل دقة يدعى جانسن (إيف مونتان). ولكن في الوقت الذي يحاول فيه ريكو الانتقام من كوري، يبدأ المفتش ماتيه بحثه لإلقاء القبض على المجرم فوغل الذي فرّ من قبضته، بالإضافة إلى عزمه على الإيقاع بباقي أفراد العصابة. يضغط ماتيه على صاحب ملهى ليلي يدعى سانتي (فرنسوا بريير) كي يتمكن من الإمساك باللصوص الطلقاء ولا يتردد في اتباع أساليب الابتزاز للحصول على المعلومات من الشهود وأصحاب السوابق الذين يخضعهم للتحقيق.

* * *

إن اهتمامات ديلون المتنوعة، بمعزل عن مهنته السينمائية في التمثيل والإنتاج وكتابة سيناريو الأفلام، أثبتت أنه "فنان" بكل ما في الكلمة من معنى. فمن أبرز هوايات ديلون هي جمع التحف واللوحات الفنية، والتي تحولت فيما بعد من حيث قيمتها الفنية إلى ثروة طائلة أضافها ديلون إلى ثروته الكبيرة المتراكمة على مرّ السنين. ولعل ديلون استوحى هذه الهواية بالأصل من المخرج الإيطالي الكبير (لونشينو فيسكونتي) الذي ترك أثراً كبيراً على ديلون في حياته المهنية والشخصية. فقد كان (فيسكونتي) نفسه من هواة هذا الفن وكان خبيراً مميزاً في كل ما يتعلق بالتحف واللوحات الفنية.

ثم أصبحت هذه الهواية بالنسبة لديلون نوعاً من الهوس استحوذ على جزء كبير من اهتمامه لدرجة باتت فيها جدران منزله مغطاة كلها تقريباً بلوحات فنية عديدة تعود إلى رسامين فرنسيين وإيطاليين من القرنين السابع عشر والثامن عشر. ففي ١٩٦٩ اشترى لوحة رجل عجوز للرسام الشهير (رامبرانت) بمبلغ ٧٨ ألف دولار، وكان بذلك أعلى سعر في المزادات العلنية الفنية في أوروبا في تلك الفترة.

وفي فترة لاحقة، بدّل ديلون اتجاهه وباتت مجموعته تضم لوحات تجريدية لفنانين معاصرين يعود تاريخهم إلى عقد الخمسينيات من القرن العشرين، أي ما يسمى بمدرسة باريس الثانية، وخصوصاً فناني حركة "كوبرا" التشكيلية – التي تضم الحروف الأولى من كوبنهاجن وبروكسل وأمستردام – التي أنزلت الفن من أبراجه العاجية وقرّبته إلى فنون الإعلانات والملصقات.

لم يحاول ديلون إخفاء مجموعته النفيسة من التحف واللوحات بعيداً عن أنظار عامة الناس، كما يفعل عادة هواة هذا الفن بدافع الحرص على مجموعاتهم الثمينة، وإنما استثمر قيمتها الفنية الكبيرة من خلال عرضها في بعض أفلامه. ففي فيلم "*مادلي*" الصادر في ١٩٧٠، كانت جميع التحف واللوحات الفنية المستخدمة في ديكور تصوير الفيلم من مجموعة ديلون الشخصية. من ناحية ثانية كان "*مادلي*" (أو "*شركاء الحب*") أول فيلم رومانسي من إنتاج شركة "آديل" للإنتاج السينمائي الخاصة بآلان ديلون. وبالإضافة إلى إنتاج الفيلم، لعب ديلون فيه دور البطولة – كما فعل في العديد من أفلامه الصادرة في تلك الفترة. يرصد هذا الفيلم الرومانسي الكوميدي الذي قام بإخراجه (روجر كاهان) قصة تاجر قطع أثرية يدعى جوليان دانديو (آلان ديلون) يعيش مع عشيقته أغاثا (ميراي دارك) – التي كانت شريكة ديلون في الحياة الواقعية. يتفق العاشقان على منح الحرية لبعضهما في الانغماس بالمغامرات والملذات الحسية مع أشخاص آخرين بمن فيهم مادلي (جين دافنبورت) وإيفا (فالنتينا كورتيز) ولوسيين (باسكال دو بواسون). لذلك لايتردد جوليان بدفع خليلته أغاثا إلى القيام بمغامرات متنوعة بحثاً عن المتعة والشهوات.

لاقى "*مادلي*" لدى إصداره نقداً لاذعاً من الجمهور الذي نظر إلى الفيلم كعمل فضائحي لدرجة علق فيها البعض بقولهم عن ديلون "إذا تابعت أفلامك على هذا المنوال يا سيد ديلون، فلن يبقى شيء اسمه أخلاق ...!!".

ومن الطريف أن القلعة التي جرى فيها تصوير بعض مشاهد الفيلم كانت ملكاً لسيدة ثرية من المعجبات الكثيرات بآلان ديلون تدعى السيدة (جيب)، والتي لم تتردد في تقديم هذا الجزء من ممتلكاتها الخاصة من دون مقابل من أجل إنجاز تصوير الفيلم تعبيراً عن إعجابها الكبير بنجمها المفضل آلان ديلون.

* * *

كان نشاط ديلون في بداية العام التالي (١٩٧١) محدوداً حين شارك في بعض الأفلام مشاركة خجولة واقتصر ظهوره فيها كضيف شرف إلى حد ما. ففي فيلم *فنتازيا البسطاء*" للمخرج (جيرار بيريه) والصادر في كانون الثاني ١٩٧١ اقتصر دور ديلون على الظهور في بعض المشاهد فقط كواحد من زعماء العصابات المحليين، في حين أدى الأدوار الرئيسية كل من (لينو فنتورا) و(ميراي دارك) و(جان يان). يتابع هذا الفيلم الكوميدي الأحداث التي تلجأ خلالها عصابة من اللصوص إلى صنع القطعة السفلية من البكيني الذي ترتديه راقصة تعرٍ في أرياف ولاية أركنساس الأمريكية من المجوهرات المسروقة بهدف التمويه وتضليل الشرطة عن مخبأ تلك المجوهرات، في حين يحاول شقيقان – أحدهما يعمل في تجارة الويسكي الممنوعة بينما الآخر يكاد يكون ساذجاً لأبعد الحدود – يحاولان التحاذق على الشرطة ورجال العصابة من أجل الاستيلاء على هذا البكيني المرصع بالمجوهرات المسروقة. لكن الأقوال دائماً أسهل من الأفعال، حيث يضطر الشقيقان إلى زيارة جميع مراقص التعري في المنطقة بحثاً عن الراقصة التي ترتدي البكيني الثمين.

أما الفيلم الثاني الذي ظهر فيه ديلون كضيف شرف فقد حمل عنوان *"شرطي سابق*" (١٩٧١)، إخراج (جورج لوتنير) المعروف ببراعته في تصوير الأفلام البوليسية التي تتخذ طابعاً كوميدياً. لذلك يمكن النظر إلى هذا الفيلم الفرنسي الكوميدي – البوليسي الحافل بالمغامرات والتشويق كمحاكاة تهكمية ساخرة من نمط الأفلام البوليسية واقتصر ظهور ديلون فيه على دور الشخص الذي يفتش رودريغيه (روبرت كاسل)، في حين أدى دور البطولة (ميشيل كونستانتين) بشخصية مفتش الشرطة كامبانا الذي يوافق على انتحال شخصية شقيق تاجر مخدرات كبير قتل في مدينة نيس، وذلك كي يتسنى للشرطة التسلل إلى صفوف عصابة خطيرة متخصصة في تهريب المخدارت. ولكي تكتمل خطة الشرطة وتكتسب المصداقية أمام العصابة، ينبغي على المحقق كامبانا الظهور بالشخصية الجديدة مع أسرة كاملة بما أن شقيق تاجر المخدرات متزوج بالأصل. لذلك يضطر كامبانا لتبنّي زوجة مؤقتة مع طفلها ولا يجد أمامه لتنفيذ هذه الخطة سوى زميلته في سلك الشرطة كريستين (ميراي دارك) وابنها الصغير. لكن كامبانا رجل عاش حياته عازباً، ما يجعل تأقلمه في حياته الزوجية المؤقتة صعباً وتتحول حياته إلى جحيم حقيقي. وبينما يحاول كامبانا كسب ثقة زعيم عصابة المخدرات باسكال مانوني، يتعرض لمضايقات ومطاردات الشرطة المحلية التي لا تعلم هويته الحقيقية كمحقق شرطة وتعتقد أنه متورط في سلسلة من جرائم القتل. ثم تزداد الأمور تعقيداً بتدخل هيئات مكافحة المخدرات الأمريكية والأنتربول الدولي وتصبح العائلة التي تبناها مفتش الشرطة معرضة لخطر حقيقي.

* * *

استقرت أحوال ديلون مع صاحبته الجديدة (ميراي دارك) وعاد إلى حياته الطبيعية برفقتها، لاسيما أنها استطاعت سدّ الفراغ العاطفي في حياته بعد طلاقه من (ناتالي ديلون)، وأثبتت خلال فترة قصيرة نسبياً مقدرتها على فهم شخصية آلان ديلون "الفنان" و"الإنسان العادي" أكثر من غيرها من النساء اللواتي ارتبط بهن سابقاً. كما أن مؤازرتها لديلون في الأوقات الصعبة التي مرّ بها في بداية تعارفهما سواء في قضية انفصاله عن (ناتالي) أو في فضيحة مقتل حارسه الشخصي التي لاحقه شبحها لفترة طويلة، أعادت له ثقته بنفسه وثقة الناس به. ولعل خير مثال

على محاسن العلاقة بين (ميراي دارك) وديلون هو قبوله التعاون مع مطلقته (ناتالي) في إنتاج سينمائي جديد بعد معارضته الشديدة التي أبداها المرة السابقة حول مشاركتها في فيلم "*الرجل الساموراي*" (١٩٦٧). أما في الفيلم الكوميدي "*على رسلك !*" (الصادر في نيسان ١٩٧١) للمخرج (جاك ديراي)، فقد رحّب ديلون بالتعاون مع زوجته السابقة (ناتالي) حيث يلعب ديلون في هذا الفيلم دور رجل يدعى سيمون ميديو الذي يعتنق الكهنوتية عندما يتناهى إلى علمه وفاة زوجته ريتا (ناتالي ديلون). لكن مشكلاته تتفاقم عندما يكتشف بأنها مازالت على قيد الحياة وتعمل كبائعة هوى. ثم يأتي الأسقف (بول موريس) الذي يعشق حياة العصور الوسطى حين تساءل الناس فيما إذا كانت المرأة كائناً له روح كباقي البشر، يأتي ليلقي بنكاته الساخرة حول واقع تطور الأحداث. لكن سيمون يسارع إلى التحرر من العهد الذي قطعه بنذر نفسه للكنيسة كي يتمكن من إنقاذ ريتا قبل أن تتحول إلى راهبة.

مع كل دور جديد لعبه آلان ديلون وكل شخصية جديدة جسّدها في أفلامه المتتالية أثبت مزيداً من البراعة والمهارة في الأداء، ومزيداً من التفاني في إتقان عمله كممثل مخضرم. ففي فيلم "*الشمس الحمراء*" للمخرج البريطاني (تيرنس يونغ) الصادر عام ١٩٧١، الذي كان أول فيلم رعاة بقر (كاوبوي) يلتقي فيه الشرق مع الغرب، تعلم ديلون استخدام يده اليسرى بكل براعة بما أن بطل الفيلم كان أعسر ويطلق النار مستخدماً يده اليسرى.

لعب الممثل الياباني الشهير (توشيرو مفيونه) في هذا الفيلم دور محارب ساموراي يدعى كورودا جوبي تسند إليه مهمة مرافقة السفير الياباني ساتوشي ناكامورا (تيتسو ناكامورا) خلال رحلته إلى الولايات المتحدة. يحضر هذا السفير معه سيفاً ذهبياً مرصعاً بالمجوهرات كي يقدمه كهدية للرئيس الأمريكي تعبيراً عن حسن نوايا بلاده. ولكن في رحلة القطار التي تقلّ الدبلوماسي ومرافقه الساموراي عبر أراضي الغرب الأمريكي، يتعرّضان إلى كمين ينصبه رجلان خارجان على القانون: جوش كينك (آلان ديلون) ولينك ستيوارت (تشارلز برونسون). يقوم جوش ولينك بسرقة السيف المرصع بالمجوهرات لكن جوش يلجأ إلى خداع شريكه حين يهرب حاملاً معه الغنيمة الثمينة، لذلك يضطر لينك ومحارب الساموراي كورودا للتعاون معاً بحذر واحتراس شديدين وينطلقان في أثر جوش في محاولة منهما لاسترجاع السيف. وخلال عملية البحث، ينبغي على كورودا ولينك التعامل بحكمة مع الصراع الثقافي بين حضارتي الشرق والغرب، بالإضافة إلى مواجهة هجمات الهنود الحمر. كما يلتقي الرجلان خلال عملية اقتفاء أثر جوش بالسيدتين الجميلتين كريستينا (أورسولا أندروس) وبيبيتا (كبوتشين). وبالنظر إلى موضوع الفيلم والنجوم الذين لعبوا فيه أدوار البطولة، فقد حقق "*الشمس الحمراء*" أرقاماً عالية على شباك التذاكر في أوروبا واليابان، إلا أنه لم يحظ بالاهتمام المناسب في الولايات المتحدة.

في شهر أيلول من العام ذاته (١٩٧١) جرى إصدار فيلم جديد لديلون بعنوان "*الأرملة كوديرك*" الذي أسند فيه المخرج (بيير غرانييه ديفير) دور البطولة إلى كل من آلان ديلون و(سيمون سينوريه). "*الأرملة كوديرك*" فيلم ميلودرامي سوداوي (فيلم نوار) مقتبس عن رواية للكاتب (جورج سيمينون) أدّت فيه الممثلة الفرنسية القديرة (سيمون سينوريه) دور الشخصية الرئيسية باسم عنوان الفيلم ذاته، الأرملة كوديرك تاتي، وهي أرملة في خريف العمر تعتمد على نفسها في العيش كمزارعة وتؤوي شاباً وسيماً مشرداً يدعى جان لافان (آلان ديلون) الذي نكتشف أنه كان سجيناً وأطلق سراحه منذ فترة قريبة. يتولى جان القيام بأعمال متنوعة لصالح الأرملة كوديرك التي تعيش مع صاحب المنزل والد زوجها العجوز هنري (جان تيسييه) الذي يتظاهر بأنه أصمّ عندما يحلو له فقط. كما يبدو أن هنري كان مرتبطاً بعلاقة حميمية سراً مع كوديرك التي أمضت شبابها في العمل بمزرعة العائلة وتعرضت للاغتصاب على يد

هنري، لكنها أصبحت أرملة سعيدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ما وفرّ لها الفرصة كي تفرض سيادتها على المزرعة.

عندما يأتي جان للإقامة مع كوديرك بدعوة منها، تغتنم هذه الفرصة شقيقة زوجها فرنسواز (مونيك شوميت) التي تبحث بالأصل عن ذريعة لتدفع بهنري لمغادرة المنزل كي يتسنى لها بيعه، بينما تسعى الأرملة كوديرك وجان لتحقيق حلم متواضع بسيط يتمثل في بناء مدجنة صغيرة توّفر لهما لقمة العيش. لكن هذا الحلم البسيط يصبح معقداً عندما تظهر ابنة فرنسواز غير الشرعية المراهقة فيليسي (أوتافيا بيكولو) مع طفلها المولود حديثاً. ولا تلبث فيليسي أن تنظر بعين الغرام إلى جان الوسيم، الأمر الذي يثير مخاوف وقلق كوديرك لكنها تتحكم بمصير جان من الناحية الفعلية. المشكلة أن جان لايستطيع مقاومة إغراء مفاتن الحسناء فيليسي الأصغر سناً من الأرملة كوديرك.

مع أن فكرة جمع ديلون بـ (سيمون سينوريه) لأداء دوري البطل والبطلة لم تكن مشجعة في البداية من حيث الهيئة والمظهر، إلا أن تعاونهما أثبت العكس وأظهر وجود نوع من التوافق والتناغم الكيميائي بين شخصيتيهما بالإضافة إلى تقارب واضح وملموس من الناحية الحسّية مع أن "*الأرملة كوديرك*" تجنب عرض أية لقطات غرامية حميمية بين ديلون و(سينوريه) واكتفى بتصوير لحظات دافئة بينهما كإشارة إلى الجانب الجنسي في علاقتهما بما أن فكرة المعاشرة الجنسية بين شاب في مقتبل العمر وسيدة أكبر منه سناً بفارق ملحوظ لم تكن محبّذة بالنسبة لجمهور المشاهدين في الزمن الذي تم فيه تصوير الفيلم. وبما أن (سيمون سينوريه) ممثلة قديرة وموهوبة جداً، واستطاع ديلون أيضاً الارتقاء إلى مستوى أدائها بكاريزما شخصيته من دون اللجوء إلى جاذبه الجنسي، فقد قدمّ كلاهما صورة مؤثرة ومقنعة جداً عن العلاقة العاطفية القائمة بينهما في قصة الفيلم.

لقد تمتع ديلون بجاذب خاص فريد بنوعه تمكن من توظيفه بأسلوب متميز وفقاً للدور الذي يلعبه في الفيلم، فتارة يبرز هذا الجاذب بصورة قوية وواضحة، وتارة أخرى يحاول تلطيف تلك الصورة بطريقة لا يلفت فيها الانتباه إلى وسامته وإنما يشدّ انتباه المشاهد إلى طريقة أدائه أو التركيز على تعابير وجهه ونظراته الثاقبة التي تتمتع ببلاغة تفوق سطور حواره في كثير من الأحيان. إن كاريزما ديلون ووسامته لم تتطلب منه جهداً خاصاً في استعراض تلك الصفات المتأصلة في شخصيته أو استثمارها بعفوية على النحو الأمثل كغيره من بعض ألمع النجوم في تاريخ السينما بدءاً من (كلارك غيبل) و(كاري غرانت) سابقاً إلى (جورج كلوني) و(ليوناردو ديكابريو) حاضراً مع أنه في الحقيقة لم يتمتع أي منهم بجمال وجه ديلون ووسامته الفريدة لدرجة دفعت البعض إلى وصفه كصورة ذكورية عن (إليزابيت تايلور) أو (بريجيت باردو) نظراً لعدم توفر المقارنة مع من يضاهي وسامة وجهه بين النجوم الذكور.

* * *

إن نجومية آلان ديلون في فرنسا وخارجها جعلته دائماً محط اهتمام صانعي الأفلام الأوروبيين وخصوصاً في إيطاليا. فقد لعب ديلون دور البطولة في إنتاج إيطالي – فرنسي مشترك بعنوان "*البروفسور*" الصادر عام ١٩٧٢، علماً بأن الفيلم عُرف بعناوين مختلفة حيث جرى إصداره في إيطاليا بعنوان "*أول ليلة هادئة*" و"*صيف هندي*" في الولايات المتحدة. تدور أحداث هذه الميلودراما الإيطالية التراجيدية الكئيبة، إخراج وسيناريو (فاليريو زورليني)، في منتجع صغير يُطلق عليه اسم "ريميني". يمضي أعيان تلك البلدة الساحلية جلّ أوقاتهم في سوق المضاربات العقارية بالإضافة إلى لعب القمار، ثم يتحول اهتمامهم إلى الأستاذ الجديد دانييل دومنيتشي (آلان ديلون) المولع بالقمار والذي يصل إلى مدرسة البلدة الثانوية كبديل مؤقت لأستاذ مادة الشعر حيث يتم التعاقد

معه للتدريس لمدة أربعة أشهر. لكن يبدو أن علاقة الأستاذ الجديد بزوجته مونيكا (لي ماساري) تمرّ بأزمة حادة بسبب مزاجها العصبي ومتطلباتها الكثيرة، ما يجعله يمضي معظم أوقاته بصحبة معارفه المقامرين الجدد جيورجيو موسكا (جيان كارلو جيانيني) ومارتشيللو (ريناتو سالفاتوريه) وجيراردو بافاني (أدلبرتو ماريا ميرلي). وفي صف المدرسة يلتقي الأستاذ دانييل بطالبة جميلة وغامضة تبلغ من العمر ١٩ سنة تدعى فانيا أباتي (سونيا بتروفنا)، فيشعر بانجذاب شديد نحوها مع أنها فتاة جيراردو الخاصة. يبدأ دانييل بمواعدة فانيا والاجتماع بها خارج المدرسة وتتطور العلاقة بينهما إلى علاقة غرامية. لكن علاقة دانييل بطالبته تودي بهما آخر الأمر إلى نهاية مأساوية.

لقد سجلّ أداء ديلون في هذا الفيلم بشخصية المدرّس انحرافاً جذرياً في نمطية الأدوار التي اعتاد أداءها في معظم أفلامه بشخصية الرجل الوغد والقاتل المأجور المرتبط في أكثر الأحيان بنشاطات العالم السفلي، وقد رأى معظم النقاد أن ديلون قد سجل أروع أداء له على الشاشة الفضية في فيلم *البروفسور*". كما عزز تصوير الفيلم الرائع بكاميرا المصور الإيطالي المعروف (داريو دي بالما) من نجاح الفيلم، فضلاً عن الموسيقى التصويرية الرائعة للملحن (ماريو ناسكمبينيه) من حيث إبراز الأجواء الهادئة والباردة في بلدة "ريميني" الساحلية.

بعد النجاح الكبير الذي حققه فيلم "*حوض السباحة*" (١٩٦٩) الذي شهد التئام الشمل بين آلان ديلون وخطيبته السابقة (رومي شنايدر) وعلاقتهما التي تطورت إلى صداقة متينة ودائمة، عادت (شنايدر) بعد ثلاث سنوات للتعاون من جديد مع ديلون والظهور أمامه في فيلم السيرة الذاتية السياسي *اغتيال تروتسكي*" الصادر عام ١٩٧٢. يسبر المخرج (جوزيف لوسي) في هذا الفيلم أعماق نفسية فرانك جاكسون (آلان ديلون) الذي نفذ عملية اغتيال الزعيم الشيوعي الروسي ليون تروتسكي (ريتشارد بيرتون) الموجود في المنفى بالمكسيك. كما يحاول المخرج (لوسي) أن يجعل المشاهدين يتفاعلون مع أحداث الفيلم ليشعروا بأنهم في مكان القاتل جاكسون.

تتناول قصة الفيلم الواقعية تسلسل الأحداث في الشهور القليلة الأخيرة من حياة تروتسكي، وذلك بدءاً من مداهمة مكان إقامته المحصن في المكسيك في شهر أيار ١٩٤٠ وانتهاء بشهر آب من العام ذاته عندما نجحت عملية الاغتيال التي نفذها فرانك جاكسون. فتروتسكي الذي أجبر على مغادرة الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٩ ليعيش منفياً في المكسيك لم يفلت من اهتمام رئيس الاتحاد السوفيتي (جوزيف ستالين) في ١٩٤٠ الذي يرسل رجلاً يدعى فرانك جاكسون إلى المكسيك كي يتولى اغتيال تروتسكي. يركز الجزء الأكبر من الفيلم وبالتفصيل على قدرة جاكسون الخجول والغامض بالوصول إلى مكان إقامة تروتسكي المحصن من خلال كسب مودة سكرتيرة تروتسكي الوفية، سيلفيا أغيلوف (رومي شنايدر)، التي وقعت في غرام جاكسون ومهدت للتعارف بينه وبين تروتسكي. عندما يرى تروتسكي المنعزل عن العالم في جاكسون شيئاً من ذاته، يطمئن إليه ويشعر بالارتياح لوجوده دون أن يدرك أن جاكسون هو الرجل الذي سيضع حداً لحياته.

إن التعاون الذي جرى بين ديلون والمخرج الفرنسي (جان بيير ميلفيل) في النصف الثاني من عقد الستينيات كان له كبير الأثر على صورة آلان ديلون على الشاشة من حيث تسليط الضوء على الجانب الآخر في وسامة وجهه وملامحه الحادة المنطوية على نوع من الخشونة والعنف، ما أضفى المصداقية على أدواره التي يلعبها في أفلام الإثارة والتشويق إما بشخصية الوغد أو القاتل المأجور (وهو الدور المفضل لدى ديلون) أو محقق الشرطة المتوحد والصارم صاحب النظرة الثاقبة.

ولابد من الإشارة إلى أن أسلوب (ميلفيل) في الإخراج تأثر بالسينما الأمريكية وكان مهووساً في أفلامه بالتركيز على بعض إكسسوارات الإنتاج، كالأسلحة واللباس والقبعات. وكان (ميلفيل) من أول المخرجين الفرنسيين الذي اعتاد تصوير أفلامه في مواقع تصوير حقيقية خارج الاستوديو، ما ترك أكبر الأثر على حركة "الموجة الجديدة" في السينما الفرنسية، وعزز ذلك بظهوره شخصياً بدور صغير أيضاً في فيلم المخرج (جان لوك غودارد) *اللاهث*"، الذي يُعدّ من بواكير أفلام "الموجة الجديدة".

ينتمي (ميلفيل)، المولود في باريس عام ١٩١٧ باسم (جان بيير غرومباخ)، إلى عائلة نمساوية واعتمد لقب (ميلفيل) من باب الإعجاب والتكريم لمؤلفه الأمريكي المفضل (هيرمان ميلفيل) وبات معروفاً باسم (جان بيير ميلفيل). اشترك (ميلفيل) في الحرب العالمية الثانية وبعد عودته من الحرب، تقدّم بطلب للحصول على إذن للعمل كمساعد مخرج. عندما رفضت السلطات الفرنسية طلبه، قرر إخراج أفلامه بمصادره الخاصة وأصبح بذلك واحداً من أبرز المخرجين الفرنسيين المستقلين واتسعت شهرته بعد صنع عدد من أفلام الإثارة والتشويق التراجيدية السوداء، ومن أهمها *الرجل الساموراي*" (١٩٦٧) و *الدائرة الحمراء*" (١٩٦٩) وكلاهما من بطولة النجم الكاريزمي آلان ديلون.

أما فيلم *الشرطي*" الصادر عام ١٩٧٢، فقد سجل التعاون الثالث والأخير بين ديلون والمخرج (جان بيير ميلفيل) وآخر فيلم أنجزه (ميلفيل) قبل وفاته عام ١٩٧٣ عن عمر ناهز الخامسة والخمسين إثر نوبة قلبية حادة، تاركاً بصمته على أسلوب العديد من المخرجين، أمثال (جون وو) و(رينغو لام) و(كونتين ترانتينو) و(جيم جارمش).

لعب ديلون في الفيلم البوليسي *الشرطي*" (والذي جرى إصداره في الولايات المتحدة بعنوان *المال الحرام*") دور البطولة بشخصية مفوض الشرطة الباريسي إدوارد كولمان الموكل بمهمة إلقاء القبض على عصابة خطيرة متخصصة في السطو على المصارف. يتزعم تلك العصابة في السرّ صاحب ملهى ليلي يدعى سيمون (ريتشارد كرينا)، وهو صديق مقرب من المحقق كولمان الذي لا يعلم بأمر تورط صديقه في النشاطات الإجرامية. تتعقد الأمور عندما يتعرف كولمان على كاثي (كاترين دونوف، التي كانت حاملاً خلال تصوير الفيلم) ويقيم معها علاقة غرامية مع أنها بالأصل عشيقة صديقه سيمون. عندما يستعد سيمون ورجاله لاستخدام أموال عملية سطو تستهدف مصرف محلي في بلدة صغيرة بعملية أكبر تنطوي على تهريب المخدرات، يبدأ المحقق كولمان بجمع خيوط اللغز وتضيق حلقة التحقيقات ليكتشف بأن صديقه سيمون هو رئيس العصابة المسؤول عن عمليات السطو وتهريب المخدرات، ما يؤدي إلى وضع معقد ومواجهة محتومة بين الصديقين.

ربما لم يقدم ديلون أو (كاترين دونوف) في هذا الفيلم أداءً مميزاً، إلا أن *الشرطي*" كان فريداً بنوعه من حيث الإخراج والتصوير. ففي مقابلة أجريت مع المخرج (جان بيير ميلفيل) لدى إصدار الفيلم أشار فيها قائلاً "إن حلمي هو صنع فيلم ملون بالأبيض والأسود ولا يحتوي إلا على شيء بسيط يذكرنا بأننا في الواقع نشاهد فيلماً ملوناً." وبالفعل لابد للمشاهد من أن يشعر بهذا الأمر الذي نجح (ميلفيل) في تجريبه في فيلمه *الشرطي*" حيث تمكن (ميلفيل) مع المصور (والتر ووتيتز) من تصوير مشاهد بطرائق غير تقليدية. فمن أجل التوافق مع بعض شخصيات الفيلم، تمت الاستعانة بالألوان الباهتة للتعبير عن عالم الجريمة القاسي في باريس، بل إن بعض الألوان تبدو ممزوجة معاً، كاختلاط اللون البني مع اللون الرمادي في حين تبدو الألوان الساطعة (أحياناً في الخلفية فقط) مخففة وضعيفة، علماً بأن المونتيرة (باتريشيا نيني) ساهمت بشكل كبير في تحقيق الهدف الذي سعى إليه المخرج (ميلفيل).

* * *

من المعروف أن ديلون من عشاق الرياضة. فقد ساهم في تنظيم ورعاية بعض بطولات الملاكمة العالمية في فرنسا، ومنها مباراة البطولة بين الملاكم الفرنسي (بوتييه) مع خصمه (مونزون) في عام ١٩٧٢. واستعداداً لهذه البطولة، استضاف في مزرعته الفاخرة في "دوشي" بطل الملاكمة الفرنسي (جان كلود بوتييه) لمدة ٤٦ يوماً، حيث قام ديلون بتركيب حلبة ملاكمة حقيقية وسط المزرعة من أجل تدريب (بوتييه). ولم تكن تلك المرة الأولى التي استضاف فيها صديقه الملاكم (بوتييه). فقد سبق وأن طلب منه الإقامة لفترة مؤقتة في المزرعة ذاتها كي يتولى تدريب ديلون على الملاكمة خلال تصوير فيلمه "*روكو وأخوته*" (١٩٦٠). كما اشترك ديلون أيضاً على سبيل الهواية في رياضة الفروسية وفاز جواده (إيكويليو) ببطولة العالم في الفروسية.

لقد استرجع ديلون ذكرياته القديمة عندما اجتمع في ١٩٧٣ بمطربة البوب الفرنسية الشهيرة (داليدا) المولودة في مصر لأبوين إيطاليين. فمنذ سبعة عشر عاماً، وبالتحديد في ١٩٥٦، بعد تسريح ديلون من الخدمة العسكرية وعودته من الهند – الصينية إلى باريس، تعرّف إلى (داليدا) التي كانت فنانة ناشئة حينذاك. ولم يخطر ببال (داليدا) أو ديلون بأنهما سيصبحان في يوم من الأيام من أبرز نجوم فرنسا. كانت نتيجة لقائهما الجديد بشخصيتيهما الفنيتين المتألقتين الجديدتين عملاً فنياً عالمياً في طبيعته مازال صدى لحنه يتردد على مسامع الناس إلى الآن. فقد قدّم ديلون مع (داليدا) أداءً ثنائياً رائعاً لأغنية بعنوان "كلام .. كلام" أحرزت نجاحاً واسعاً جداً في فرنسا واليابان وكندا وغيرها من بلدان العالم.

* * *

ظهر ديلون في الفيلم البوليسي "*علاج بالصدمة*" (١٩٧٣)، إخراج وسيناريو (آلان جيسوا)، كعادته متألقاً وأكثر شباباً وحيوية عما هو عليه في سنه التي بلغت حينذاك الثامنة والثلاثين لدرجة يبدو فيها جسده بالفيلم مشدوداً كما لو أنه في العشرين لا أكثر. يؤدي ديلون في "*علاج بالصدمة*"، الذي جرى تصويره في إحدى جزر حوض المتوسط الجميلة، دور طبيب فاسد أخلاقياً يدعى ديفلر يدير مركزاً صحياً خاصاً يستقطب الموسرين والأثرياء الذين تتراوح أعمارهم بين الأربعين والستين، ويقدم لهم المركز علاجاً عجيباً "لتجديد الشباب"، بمعنى أنهم يسترجعون شبابهم من حيث الشكل والمضمون. تؤدي (آن جيراردو) دور مصممة أزياء تدعى هيلين تأتي إلى هذا المركز الصحي حين تشعر بأنها باتت مسنة بعد أن تخلى عنها عشيقها من أجل حسناء أصغر منها سناً.

بالرغم من الكلفة الباهظة المترتبة على هذا العلاج الذي يستخدم بعض المواد المستخلصة من الحيوانات وفقاً لإفادة أطباء المركز، تشعر هيلين بأن العلاج أخذ يعطي ثماره وبدأت تسترجع شبابها لاسيما من خلال الاهتمام الجسدي الذي تحظى به من الطبيب الشهواني ديفلر. لكن هيلين تشعر بالاضطراب والقلق بسبب اختفاء كل من يأتي من الشباب البرتغاليين القادمين للعمل في حدائق المركز، ثم لا تلبث أن تكتشف السرّ الرهيب الذي يربط بين "تجديد الشباب" واختفاء أولئك الشبان البرتغاليين. لكن المشكلة أن هيلين لاتجد من يصدق قصتها بما أن الجميع مسرورون أيّما سرور باستعادة شبابهم ولا يعيرون اهتمامهم لأي شيء آخر. ثم نكتشف بأن أطباء المركز قد ابتكروا هذا العلاج العجيب المضاد للشيخوخة من خلال استعمال دم وأعضاء بشرية مستأصلة من العمال البرتغاليين المفعمين بالحيوية والشباب.

لقد استطاع ديلون بأدائه الرائع في هذا الفيلم أن يترجم على أرض الواقع ما وصفه به الفرنسيون على أنه "المعلم" في تجسيد صورة الرجل صاحب الدم البارد حيث نشاهده في "*علاج بالصدمة*" كيف يستغل إغواءه وسحره الذي لايُقاوم في السيطرة على كل النساء اللواتي يحضرن لتلقي العلاج العجيب في هذا المركز الصحي.

في عودة غير ملحوظة إلى الأفلام القليلة جداً التي صوّرها ديلون ضمن إنتاج أمريكي أو فرنسي – أمريكي مشترك (إذ لم تتجاوز أعماله المنفذة بالتعاون مع هوليوود أربعة أفلام بين أفلامه الخمسة والثمانين التي قام بتصويرها طوال مهنته السينمائية)، لعب ديلون الدور الرئيسي في فيلم "*العقرب*" الصادر في ١٩٧٣، كما شاركه نجم هوليوود (بيرت لانكستر) بطولة هذا الفيلم الجاسوسي الحافل بالمغامرات للمخرج (مايكل وينر). وقد استغرق تصوير الفيلم ٦١ يوماً بكلفة إنتاجية بلغت ٣٨٠٠٠٠٠ دولار. وكان أداء ديلون في هذا الفيلم رائعاً بشخصية العميل المكلف بمهام الاغتيال والتصفية.

يظهر (بيرت لانكستر) بدور كروس، عميل الاستخبارات الأمريكية المركزية (سي. آي. إيه) المسؤول عن تصفية الشخصيات الأجنبية المهمة التي تضع العقبات والعراقيل في السياسة الأمريكية الخارجية. يلجأ كروس الذي تقدمت به السن إلى التعامل في أغلب الأحيان مع العميل الفرنسي المأجور جان لوربيه المعروف بلقب "العقرب" (آلان ديلون) والسبب في استئجار خدمات لوربيه إنما يعود إلى موهبته الفريدة وبراعته الفائقة في تنفيذ عمليات الاغتيال. يتم استدعاء لوربيه من أجل تنفيذ مهمة جديدة بالتعاون مع كروس تتطلب اغتيال شخصية مشبوهة خارج الولايات المتحدة.

ينفذ لوربيه المهمة بنجاح ويعود مع كروس إلى الولايات المتحدة لكن يتم اعتقاله مباشرة على يد رئيس كروس في وكالة الاستخبارات الأمريكية ماكلويد (جون كوليكوس) الذي يريد معرفة السبب في بقاء كروس على قيد الحياة مع أن لوربيه تلقى تعليمات واضحة من ماكلويد كي يتولى تصفية كروس أيضاً كجزء من المهمة، وذلك لاشتباه رؤسائه بأنه (كروس) يقوم ببيع معلومات سرية للسوفييت من جهة، ولأنه بات يعرف أكثر من اللازم من جهة ثانية. يعتقد لوربيه بأن كروس بريء من تلك التهمة إلا أنه يوافق على قتله لقاء أجر أعلى. يدرك كروس أن حياته باتت مستهدفة فيهرب إلى فيينا حيث يتلقى المساعدة من زميله السابق في السلاح خلال الحرب العالمية الثانية، عميل الاستخبارات الروسية سيرجي زاركوف (بول سكوفيلد). ولكن عندما يعلم كروس أن زوجته ساره (جوان لينفيل) قد لاقت مصرعها على يد ماكلويد، يعود إلى الولايات المتحدة وينتقم منه بقتله. سرعان ما يؤدي ذلك إلى مواجهة دموية أخيرة بين كروس ولوربيه، الذي يشعر بصدمة كبيرة حين يكتشف أن عشيقته سوزان (غايل هانيكات) متآمرة مع كروس.

بعد عامين تقريباً على التعاون غير المحتمل بين آلان ديلون و(سيمون سينوريه) في فيلم *الأرملة كوديرك*" (١٩٧١)، أسند إليهما المخرج الفرنسي (جان شابو) دور البطولة في فيلم بوليسي مشابه حمل عنوان *الحظائر المشتعلة*" (والمعروف أيضاً بعنوان *المحقق*") جرى إصداره في ١٩٧٣. يتناول الفيلم قصة مألوفة عن التحقيق في جريمة قتل ولكن على عكس الأفلام البوليسية التقليدية، فإن *الحظائر المشتعلة*" يركز على الشخصيات أكثر من تركيزه على الحبكة. تدور أحداث الفيلم في بلدة فرنسية صغيرة تقع في منطقة نائية تغطيها الثلوج، حيث تعيش سيدة تدعى روز (سيمون سينوريه) في مزرعة مع أسرتها التي تعتمد على روز في كسب لقمة العيش. عندما يتم العثور على جثة امرأة مقتولة بجانب تلك المزرعة، تحوم الشبهات حول اثنين من أبناء روز، بول (برنارد لو كوك) ولويس (بيير روسو)، نظراً لغيابهما عن المنزل ساعة وقوع الجريمة. يتولى التحقيق

في هذه القضية محقق الشرطة بيير لارشيه (آلان ديلون) الذي يعتقد في البداية بأن أصابع الاتهام تشير إلى تورط بول ولويس، ثم لاتلبث الأدلة أن تبرئهما من أية شبهات أو ملابسات تتعلق بجثة المغدورة. لكن المفتش بيير لارشيه يكتشف خلال التحقيق بعض الأسرار حول عائلة روز كان من الأفضل لو ظلت مدفونة بدلاً من نبش أسرار الماضي الذي يبدل صورة العائلة بأكملها.

إن الأداء المتميز الذي قدمه ديلون و(سينوريه) بالإضافة إلى التصوير الرائع لأحداث الفيلم خارج حدود الاستوديو قد عوض عن ضعف سيناريو الفيلم من الناحية الفنية. وتجدر الإشارة إلى أن فرنسواز ابنة روز (سيمون سينوريه) في الفيلم هي ابنتها الحقيقية (كاترين أليغريه).

* * *

يُنسب نمط الأفلام البوليسية الإيطالية في معظم إنتاجاته إلى الفيلم الشهير "*هاري القذر*" (١٩٧١) – إخراج (دون سييغل) وبطولة (كلينت إيستوود) – لكن يبدو أن فيلم المخرج (دونتشيو تيساري) "*مسدسات كبيرة*" (١٩٧٣) (المعروف أيضاً بعنوان "*توني أرزنتا*") قد استمد نجاحه من فيلم المخرج (فرانسيس فورد كوبولا) "*العرّاب*" (١٩٧٢) الذي يُعدّ من الروائع الخالدة بين أفلام عصابات المافيا. قد يشير العنوان "*مسدسات كبيرة*" إلى فيلم زاخر بمشاهد تبادل إطلاق النار، إلا أنه في الحقيقة لا يحتوي إلى على بضعة مشاهد فقط تصوّر المواجهات المسلحة، بينما تحفل باقي الأحداث بمشاهد مطاردات السيارات والعراك بالأيدي. لكن يمكن القول أن تصوير مشاهد مطاردات السيارات كان رائعاً بكل المقاييس. أما حبكة الفيلم فتبدو تقليدية وتركز على قاتل مأجور يدعى توني أرزنتا (آلان ديلون) الذي يقرر اعتزال مهنته لكن زعماء عصابات المافيا الذين يعمل لصالحهم يعتقدون أن انسحاب أحد أفرادها بهذه البساطة فكرة غير سديدة فيلجؤون إلى قتل زوجته وطفله بطريقة وحشية كي يعدل عن قراره، وبالتالي تتعقد الأحداث وتحصل مواجهات مسلحة دامية عندما يريد القاتل المأجور توني أرزنتا الانتقام لمصرع أسرته.

* * *

لعب ديلون في الفيلم البوليسي النفساني الفرنسي "*رجلان في المدينة*" والمعروف أيضاً بعنوان "*خارجان على القانون*" الصادر عام ١٩٧٣ للمخرج (خوسيه جيوفاني) دور جينو سترابليغي، اللص المتخصص في السطو على المصارف الذي يتم إطلاق سراحه بعد قضاء حكم عشر سنوات في السجن وذلك بمساعدة الموظف الاجتماعي جيرمان كزينوف (جان غابان) – صديق جينو القديم – الذي يساهم في صدور قرار العفو عن جينو. يعود المجرم السابق جينو (ديلون) إلى زوجته ويبدأ حياة جديدة شريفة ولكن لسوء حظه يظهر أصدقاؤه القدامى من عالم الجريمة ويحاولون إغراءه للعودة إلى مهنة اللصوصية. وبعد فترة من الزمن تثور أعمال شغب في السجن الذي أمضى فيه جينو فترة الحكم، فيضطر الموظف الاجتماعي جيرمان للانتقال إلى البلدة التي يقطن فيها جينو وتتوطد صداقتهما من جديد. وبعد أن تتعرض زوجة جينو إلى حادث سيارة يودي بحياتها، يتزوج امرأة أخرى لكن سرعان ما تعكر صفو أجواء حياته الزوجية الجديدة بمضايقات مفتش الشرطة غواترو (ميشيل بوكيه) الذي يحاول النيل من جينو بأية وسيلة مع أنه أصبح رجلاً مستقيماً يريد العيش حياة طبيعية كباقي الناس.

تم تصوير الفيلم خلال تسعة أسابيع، خمسة منها خارج الاستوديو في جنوب فرنسا والأسابيع الأربعة المتبقية داخل استوديو "بيلانكور". وقد كلف مشهد الإعدام في نهاية الفيلم مبلغاً كبيراً،فاضطر ديلون لبيع لوحة من مجموعته الفنية الشخصية لتغطية نفقات المشهد بما أنه تولى عملية الإنتاج.

يضم "*خارجان على القانون*" نخبة من الممثلين الذين ينتمون لثلاثة أجيال: (جان غابان) من الجيل الأول؛ آلان ديلون من الجيل الثاني؛ (جيرار ديبارديو) من جيل الناشئين الثالث. ولعل هذه التركيبة من الممثلين ساهمت في إكساب الفيلم نجاحه الواسع على شباك التذاكر. من جهة ثانية، يُعدّ هذا الفيلم إعلاناً صريحاً وواضحاً من المخرج (جيوفاني) ضد عقوبة الإعدام بما أن (جيوفاني) وزميله المخرج (أندريه كايات) كانا من أبرز المخرجين السينمائيين الفرنسيين في نضالهما طوال مهنة صناعة الأفلام من أجل إلغاء عقوبة الإعدام. وبالفعل فقد ساهمت أفلام هذين المخرجين في إلغاء تلك العقوبة في فرنسا عام ١٩٨١.

بدأ ديلون بالتركيز بصورة أكبر على نشاطات سينمائية ذات مردود أكبر بالإضافة إلى الأجور العالية التي يتقاضاها عن أفلامه. فبعد تجربته الأولى في ميدان الإنتاج عام ١٩٦٤ بفيلم *الرجل الذي لا يُقهر*" من خلال شركته الإنتاجية السينمائية الخاصة "ديلبو" التي أسسها بالتعاون مع وكيل أعماله (جورج بوم)، وتطويرها إلى شركة أكبر عام ١٩٦٨ تحت اسم "آديل"، قام بفض الشراكة مع (جورج بوم) في سنة ١٩٧٤ وأصبح مستقلاً في أعماله.

فديلون رجل متعدد المواهب ويتمتع بعقلية تجارية فريدة تميّزه عن الكثير من زملائه الفنانين. فقد أصبح الفنان الكبير آلان ديلون خارج نشاطاته السينمائية رجل أعمال ناجحاً، بل ومن أبرز رجال الأعمال الفرنسيين وجمع ثروة كبيرة بملايين الدولارات. ففي ١٩٧٤ أسس شركة "آديل ميوزيك" مع شركة إنتاجه السينمائي. وأغنيته المعروفة "كما في السينما" كانت من إنتاج "آديل ميوزيك". كما أسس شركة "هيلي آديل" التي ضمت أسطولاً مؤلفاً من ست طائرات هيلوكبتر للتأجير وكان يعزم على تأسيس خطوط جوية خاصة به باسم "الاتحاد الجوي" وخطط لشراء طائرات ركاب نفاثة لكن الحكومة الفرنسية لم تمنحه الترخيص اللازم خشية منافسة الخطوط الجوية الفرنسية "إير فرانس".

* * *

ظهر ديلون في دور مختلف عن أدواره البوليسية السابقة في فيلم المخرج (بيير غرانييه ديفير) "*فرقة النخبة*" (المعروف أيضاً بـ "*سباق الأعيان*") (١٩٧٤). تتناول هذه الميلودراما السياسية الفرنسية المنقولة عن رواية "كريزي" الحائزة على جائزة التكريم الأدبية في فرنسا عام ١٩٦٩، تتناول الصراع بين الطموح السياسي لجوليان دانديو (آلان ديلون) وغرامه بعارضة الأزياء كريزي (سيدني روم). فجهود جوليان دانديو لنيل منصب وزاري تبقيه مشغولاً عن حياته الشخصية مع أنه يمضي معظم أوقاته مع رينيه فيبير (جين مورو)، أرملة مديره السابق والتي تصبح مستشارته السياسية في حين لا يتوقف جوليان عن التفكير بحبيبته كريزي. كما يشعر بتأنيب الضمير بسبب إدخال زوجته إلى مصح عقلي.

قد تكون قصة الحب في هذا الفيلم عادية إلا أنها محبوكة بإتقان، بل وتتميز عن غيرها من قصص الحب بالأداء الرائع الذي قدمه ديلون في شخصيته المعهودة ببرود الأعصاب وتعبيره المطلق في الأداء.

* * *

ازدادت العلاقة بين ديلون و(ميراي دارك) متانة مع الأيام من الناحيتين العاطفية والمهنية. لكن نشاط (دارك) لم يقتصر على الظهور فقط في أفلام ديلون، وإنما لعبت أدواراً مختلفة في عدد من الأفلام التي لم يشترك ديلون في بطولتها، ومنها فيلم "*القمة*" (١٩٦٨) و"*الرجل الطويل الأشقر بالحذاء الأسود*" (١٩٧٢) و"*حيث ينبعث الدخان*" (١٩٧٣) و"*فتاة في صندوق السيارة*" (١٩٧٣) و"*قل لي إنك تحبني*" (١٩٧٤) وغيرها. وقد ذكرت (ميراي دراك)

لاحقاً عن مساندة ديلون لها في حياتها المهنية بقولها إنه إذا لم يشترك معها في التمثيل، فقد كان دائماً بجانبها يحضر تصوير أفلامها خلف عدسة الكاميرا كي يوجه إليها الملاحظات والنصائح.

لكنها بالطبع كانت تفضل الظهور أمام ديلون في أفلامه، واجتمعت معه عام ١٩٧٤ في فيلم خامس بعنوان "*دم بارد*"، إخراج (جورج لوتنير). لعب آلان ديلون دور البطولة في هذا الفيلم الأسود (فيلم نوار) المثير بشخصية محامٍ يدعى مارك ريلسون يعتقد أن معرفته الواسعة تشمل كل شيء في الحياة، لكن يبدو أن مارك ذا الخبرة الطويلة غير مستعد بما يكفي لمواجهة موكلته الجميلة الشقراء بيغي ليستر (ميراي دارك) التي تلجأ وبدم بارد وبمنتهى برود الأعصاب والهدوء إلى قتل كل رجل يتقرب إليها. وفي أحد أيام الشتاء الباردة، يلتقي كاتب السيناريو التلفزيوني فرنسوا رولان (كلود براسور) بهذه الحسناء الفاتنة على شاطئ مدينة نيس الفرنسية ويقع في غرامها على الفور، ثم يلحق بها إلى الفيلا حيث يلتقي بالمحامي مارك ويلسون (ديلون) المرتبط ببيغي بعلاقة غريبة. فمع أن مارك يدرك خطورة التودد من بيغي، إلا أنه لايستطيع مقاومة سحرها والافتتان بها. وعندما يقابل فرنسوا في الفيلا، لا يتردد في إخباره بأن بيغي مدمنة مخدرات وبأنها تقتل كل الرجال الذين يتوددون إليها.

يُعدّ "*دم بارد*" من أفلام الإثارة والتشويق النفسانية الصعبة بحيث لايستطيع الجمهور التكهن بسهولة بهوية الأشرار في الفيلم حتى نهايته، وربما كان هذا هو السبب الذي جعل "*دم بارد*" يلبي أذواق نخبة معينة من الجمهور الذي يفضل عموماً أفلام الإثارة والتشويق السهلة والحافلة بالمغامرات في آن معاً.

* * *

في الفيلم البوليسي "*بورسالينو*" الصادر عام ١٩٧٠ للمخرج (جاك ديراي) والذي شارك في بطولته آلان ديلون و(جان بول بلمندو) كرجلين طموحين من رجال العصابات في مرسيليا خلال عقد الثلاثينيات، يلاقي (بلمندو) مصرعه في ذلك الفيلم، بينما يبقى ديلون على قيد الحياة كي يظهر مجدداً عام ١٩٧٤ في التتمة السينمائية لذلك الفيلم تحت عنوان "*بورسالينو وشركاه*"، المقتبس – كالفيلم الأول "*بورسالينو*" – عن رواية "عصابات مرسيليا" للكاتب (يوجين ساكومانو). في الحقيقة جرى تصوير تلك التتمة السينمائية "*بورسالينو وشركاه*" مباشرة بعد إنجاز الفيلم الأصلي عام ١٩٧٠ لكن إصداره تأخر لأربع سنوات، علماً بأن ديلون هو الذي تولى إنتاج الفيلم.

وقع "*بورسالينو وشركاه*" ضمن مجموعة تضم ثمانية أفلام تعاون فيها المخرج (جاك ديراي) مع ديلون طوال مسيرته الفنية، وقد بدأها بفيلم "*حوض السباحة*" الذي حقق فيه المخرج أول نجاحاته الملموسة ضمن سلسلة طويلة من الأعمال التي تصدرت شباك التذاكر في فرنسا. كما كان ذلك الفيلم بداية علاقة تعاون ناجحة وصداقة قوية ودائمة مع آلان ديلون. فـ (جاك ديراي) المولود عام ١٩٢٩ أظهر اهتمامه بالفن في سن مبكرة وأخذ دروساً في المسرح عندما كان في التاسعة عشرة، ثم بدأ التمثيل في المسرح والسينما لكنه سرعان ما أدرك أن مواهبه تكمن في الوقوف خلف عدسة الكاميرا كصانع أفلام. وبدأ النقاد بمقارنة (ديراي) بـ (جان بيير ميلفيل) الذي كان في نظر هؤلاء النقاد "سيد الأفلام البوليسية". ثم أخرج أول أفلامه عام ١٩٦٠ "*زير النساء*" وتوالت بعده أعمال (ديراي) والتي بلغت نحو ثلاثين فيلماً.

وفي الحقيقة إن معظم الأفلام التي صوّرها مع ديلون حققت نجاحاً كبيراً، ومنها على سبيل المثال "*بورسالينو*" و"*قصة شرطي*" و"*ثلاثة رجال للقتل*" وغيرها. كما تعاون (ديراي) في أعمال ناجحة مع (جان بول بلمندو) و(إيف مونتان) و(جان كلود بريالي) و(جان لوي ترنتنيان) و(لينو فنتورا) و(ميشيل بيكولي).

يحاول ديلون الذي يؤدي شخصية روش سيفريدي في "*بورسالينو وشركاه*"، وهي الشخصية ذاتها التي لعب دورها منذ أربع سنوات، يحاول الانتقام لمصرع شريكه فرنسوا كابيلا (جان بول بلمندو) فيلجأ إلى تصفية خصومه بطرائق متنوعة وجديدة ورهيبة في آن معاً. ديلون الذي تخطى ريعان الشباب عام ١٩٧٤ ببلوغه سن التاسعة والثلاثين، اعتمد في "*بورسالينو وشركاه*" على موثوقية فيلم العصابات "*بورسالينو*" الرائع الذي لعب فيه دور البطولة منذ أربع سنوات عندما أحرز ذلك الفيلم نجاحاً منقطع النظير وساهم في تعزيز سمعة ديلون كممثل مبدع على المستوى العالمي. وكما هو معهود بالنسبة لديلون، فقد تألق في "*بورسالينو وشركاه*" بالطريقة ذاتها التي تظهر متانة أعصابه وملامحه الباردة برود الجليد.

من جهة ثانية، فإن الممثلين الأكفاء الذين شاركوا ديلون بطولة الفيلم كانوا نجوماً من جنسيات مختلفة بما أن الفيلم بالأصل إنتاج فرنسي – إيطالي – ألماني مشترك. ومن هؤلاء الممثلين تجدر الإشارة إلى (ريكاردو كوشيولا) الذي لعب دور فولبونيه، شقيق ديلون التوأم في الفيلم ورئيس عصابة منافسة؛ (رينيه كولدهوف) بدور رجل العصابات القوي التابع لفولبونيه؛ (كاترين روفيل) بدور بائعة هوى من الطبقة الراقية وعشيقة روش (ديلون) السابقة، وهو الدور ذاته الذي لعبته في النسخة الأولى من الفيلم – تجدر الإشارة إلى أن (كاترين روفيل) لم تفقد سحرها المعهود وظهرت بأنوثتها الفاتنة التي ظهرت بها منذ ١٥ سنة عندما عامت عارية في الماء في فيلم "*غداء على العشب*" للمخرج (جان رينوار)؛ (دانييل إيفرنيل) بدور مفوض الشرطة؛ (ألفريدو لاستريتي) بدور أحد أعوان روش (ديلون)، بالإضافة إلى (أنطون ديفرينغ) كضيف شرف.

* * *

في تلك الفترة انتقل (أنتوني) للعيش مع والده ديلون بعد أن بلغ السن القانونية التي تنقل حق الوصاية إلى الأب، ما جعل (ناتالي) تشعر بالوحدة الرهيبة في شقتها الفسيحة والفاخرة في شارع "فابير" فقررت الرحيل والغياب عن فرنسا لمدة عام. وذكرت (ناتالي) حول تلك اللحظات بقولها "كان الفراق عن ابني صعباً جداً، لكن وجود أنتوني مع والده أمر ضروري أيضاً ولا مفرّ منه وخصوصاً أنني توصلت مع آلان إلى هذا القرار. لقد اعتقدت أنني سأتحمل الوحدة بعيداً عن ابني الذي ربيته طوال تلك السنوات، لكن بعد مرور شهر واحد فقط على انضمام أنتوني لوالده أحسست بمرارة الوحدة والعيش بعيداً عن ولدي ... فقررت القيام برحلة طويلة والعيش في غرفة صغيرة بدلاً من الشقة الفسيحة التي أسكنها وحدي." وبالفعل غادرت (ناتالي) فرنسا وقامت بجولة استغرقت عدة أسابيع زارت خلالها المكسيك وجزر الباهاما وجامايكا ثم استقر بها الرحال في لوس أنجلوس حيث استضافتها صديقتها المنتجة السينمائية (كارولين بفيفييه).

احتفاءً بعودة (أنتوني) الذي بلغ ربيعه الحادي عشر حينذاك وإرضاءً لطفولته، فقد قام ديلون بتصوير فيلم منقول عن مجلات القصص المصورة حمل عنوان "*زورو*" جرى إصداره عام ١٩٧٥. تدور أحداث فيلم المغامرات "*زورو*" للمخرج الإيطالي (دونتشيو تيساري) في أمريكا الجنوبية حيث لعب ديلون دور الحاكم الجديد دون دييغو الذي يتم تعيينه في المنطقة الواقعة تحت سيطرة الكولونيل الفاسد والمستبد أويرتا (ستانلي بيكر)، وسرعان ما يتصادم الرجلان لكن الحاكم دون دييغو يتظاهر بأنه رجل ضعيف وغير حاسم كي يجعل أويرتا يعتقد بأنه لا يشكل أي تهديد لوجوده، وبالتالي يتفادى احتمال استهداف حياته على يد الكولونيل الشرير. إلا أن الأمور لا تتوقف عند هذا

الحد حين يتخذ الحاكم شخصية سرية: فاعل الخير المقنع "زورو" وينضم إلى الراهب فرانشسكو (جيام بييرو ألبرتيني) والسيدة الأرستقراطية الجميلة الكونتيسة أورتنسيا (أوتافيا بيكولو) في نضالهما لتحقيق العدالة وإنقاذ الفلاحين المساكين من بطش الكولونيل أويرتا وجنوده، فتنشب مبارزة طويلة وحامية الوطيس بالسيف بين زورو المقنع والكولونيل الظالم.

كان تصوير هذا الفيلم شاقاً بالنسبة لديلون، خصوصاً مع عدم توافر ممثل بديل يحلّ مكانه بالفيلم أثناء معايرة الإضاءة وتجهيز وضعيات الكاميرا ريثما يبدأ التصوير الفعلي من جهة، وعدم توافر إجراءات تغطية تأمين لديلون أثناء التصوير من جهة ثانية. فقد استغرق مشهد المبارزة مع (ستانلي بيكر) نحو خمسة أسابيع واستهلك أكثر من ٤٠٠ سيف لزوم تصوير المشهد لأنها كانت تتعرض للكسر. ونتيجة هذا العمل المجهد فقد ديلون ثمانية كيلوغرامات خلال برنامج تصوير الفيلم.

في منتصف عام ١٩٧٥، قام آلان ديلون بتنفيذ مشروع سينمائي منقول عن قصة واقعية عن حياة السفاح الفرنسي (إيميل بويسون) الذي "دوّخ" الشرطة الفرنسية بكل ما في الكلمة من معنى في النصف الأول من القرن العشرين. وُلد (إيميل بويسون) الحقيقي عام ١٩٠٢ ودخل عالم اللصوصية والسطو المسلح مع شقيقه الأكبر في عقد الثلاثينيات. ولكن بعد زواجه بفترة وجيزة تم إلقاء القبض عليه وأدخل السجن. وخلال فترة حكمه لاقت زوجته وطفله مصرعهما قتلاً. وبعد هذه المأساة تحول (بويسون) إلى مجرم خطير وسفاح رهيب. ولو لم يتمكن محقق الشرطة (روجر بورنيش) من تدوين مذكراته على شكل كتاب، لأصبحت قصة القاتل الخطير (بويسون) في طي النسيان.

حمل مشروع هذا الفيلم الذي جرى إصداره في تشرين الأول ١٩٧٥ عنوان *قصة شرطي*". وقد قام (جاك ديراي) بإخراج الفيلم، بينما تولى ديلون عملية الإنتاج بالإضافة إلى أداء دور البطولة. يرصد الفيلم عملية القبض على المجرم الخطير والمريض نفسياً إيميل بويسون – أدى هذا الدور الممثل القدير (جان لوي ترنتنيان) بكل براعة – الذي هرب من المصحّ العقلي عام ١٩٤٧ بعد أن دخله بسبب الاضطراب النفسي الذي حلّ به نتيجة مقتل زوجته وطفله، ويركز الفيلم على السنوات الثلاث بعد هروب المجرم بويسون من السجن. يعود بويسون إلى باريس بعد هروبه من المصحّ ويتحول في غضون ثلاث سنوات إلى عدو الشعب رقم واحد في فرنسا حين يشن حملة مروعة من القتل وسفك الدماء. يتم توكيل مفتش الشرطة روجر بورنيش (آلان ديلون) بهذه القضية فيستمر بملاحقة السفاح بويسون لمدة ثلاث سنوات متواصلة يطارده خلالها بين الأزقة وعلى سطوح المنازل بالإضافة إلى سلسلة من مطاردات السيارات في شوارع العاصمة باريس، الأمر الذي يعرّض حياة حبيبته كاترين (كلودين أوجيه) للخطر. ولعل ملامح وقسمات وجه ديلون الهادئة والصارمة في آن واحد ساهمت بشكل كبير في نجاح أدائه لدور مفتش الشرطة الصارم وقليل الكلام.

يستطيع الداهية الخطير بويسون تفادي محاولات المفتش بورنيش الذي يواجه ثلاث مهام صعبة: التحكم بعنف الشرطة المتزايد وتجاوز الروتين والبيروقراطية كي يؤدي عمله بشكل فعال والعثور على المجرم بويسون وإعادته لخلف القضبان. لكن بويسون يتمكن من القضاء على جميع المخبرين الذين جرى إرسالهم عن طريق بورنيش لاقتفاء أثره ببرود أعصاب ووحشية لا مثيل لهما، لاسيما أن هذا المجرم الخطير يتلذذ بقتل الناس بينما يتظاهر أنه مضطر لارتكاب جرائمه المروعة أثناء تنفيذ عمليات السطو. ولا تقتصر ضحاياه على عمليات السرقة بل وتشمل أي مجرم

متواطئ يحاول خيانته. وفي النهاية يتمكن المفتش بورنيش من القبض عليه بمساعدة لص بسيط يدعى بول روبيير (بول كروشيه) ولكن بعد أن نفذ بويسون مئة عملية سطو وارتكب ثلاثين جريمة قتل.

* * *

من المعروف أن المخرج (خوسيه جيوفاني) أحبّ العمل مع آلان ديلون لأنه شعر بأن ديلون يتوافق مع الشخصيات التي يرسمها لأفلامه دونما حاجة لتوجيه الممثل طوال عملية التصوير. وقد كان التعاون الأول بين (جيوفاني) وديلون في فيلم "*رجلان في المدينة*" (١٩٧٣)، أما فيلمهما الثاني فقد جرى إصداره في الشهر الأخير من ١٩٧٥ بعنوان "*الغجري*". تتناول حبكة هذا الفيلم قصة "الرجل السيئ صاحب القلب الطيب" الذي تجري في عروقه دماء الغجر حيث يسرق من الأغنياء ليعطي الفقراء، الأمر الذي حيّر السلطات الفرنسية. لعب ديلون دور البطولة في هذا الفيلم بشخصية الغجري هوغو سينار الذي يحظى بمساعدة نيني (آن جيراردو) للهروب من السلطات.

إن فيلم المخرج (جيوفاني)، المتعاطف مع ذلك الغجري في فيلمه، يولد شعوراً غريباً لدى مشاهدته، إذ يحصل المتفرج على الانطباع بأنه يشاهد فيلمين في فيلم واحد: فالحبكة الأولى لا تتميز عن غيرها من قصص العصابات التقليدية، بينما الحبكة الثانية تعتبر مثيرة للاهتمام بحق من خلال إبراز واقع الغجر المأساوي واضطرارهم للعيش على فضلات الغير في المجتمع الفرنسي الذي ينظر إليهم كفئة من المنبوذين ولا يتقبل التعايش معهم في أي حال من الأحوال. لذلك فإن اللوم يقع بالدرجة الأولى على المجتمع الفرنسي في تحوّل هوغو سينار إلى لص يطارده رجال الشرطة.

لقد تألق ديلون في فيلم "*الغجري*" ولعل ملامح وجهه المتسمة بالبرود ساعدته على التعبير عن مكنونات شخصية الغجري هوغو سينار التي لعب دورها ببراعة ملحوظة. كما ضمّ الفيلم بين ممثليه ثلاثة أجيال: (بول موريس) من جيل الأربعينيات والخمسينيات؛ آلان ديلون و(آن جيراردو) من الجيل المعاصر؛ (برنارد جيراردو) من جيل المستقبل. وتجدر الإشارة إلى أن اتحاد ديلون و(جيراردو) و(سالفاتوريه) في هذا الفيلم قد سبقه تعاون مشترك مماثل منذ خمس عشرة سنة عندما ظهر هذا الثلاثي معاً في فيلم المخرج (لوتشينو فيسكونتي) "*روكو وأخوته*" عام ١٩٦٠.

* * *

مع أن (رومي شنايدر) و(هاري ماين) رُزقا بطفل أطلقا عليه اسم (ديفيد كريستوفر ماين)، فضلاً عن النجاحات التي حققها الزوجان في حياتهما المهنية، إلا أن حياتهما الزوجية كانت صعبة وشاقة وانتهت بالطلاق في ١٩٧٥، وقد كلفها هذا الطلاق نصف ثروتها كي يتنازل (هاري) عن حقه بالوصاية على (ديفيد). ثم انتحر (هاري ماين) شنقاً عام ١٩٧٩. إن حياة (رومي شنايدر) بعد علاقتها الفاشلة مع كل من ديلون و(هاري ماين) باتت معقدة وسادها الاضطراب، واستمر بذلك مسلسل المآسي في حياتها الذي بدأ بطلاق والديها عندما كانت في السابعة من عمرها. لكن (رومي شنايدر) لم تعلن استسلامها وإنما حاولت متابعة حياتها الشخصية بصورة طبيعية كغيرها من النساء وتزوجت سكرتيرها الخاص (دانييل بياسيني) عام ١٩٧٥ ورُزقت منه بابنة عام ١٩٧٧ أطلقت عليها اسم (ساره ماجدلينا) – والتي درست تاريخ الفن والمسرح عندما كبرت، وهي ممثلة مسرحية وتلفزيونية حالياً.

* * *

بين عدد من أفلام آلان ديلون التي لم تشكل اختراقات كبيرة فنياً أو تجارياً على المستوى العالمي، جاء فيلمه "*السيد كلين*" (١٩٧٦) للمخرج (جوزيف لوسي) ليسجل عملاً فنياً استثنائياً في السينما العالمية ولاقى ترحيباً جماهيرياً محلياً ودولياً كبيراً، موسعاً بذلك من رقعة نجومية ديلون على المستوى العالمي وخصوصاً بعد أن حصد في العام ذاته (١٩٧٦) ثلاثاً من جوائز سيزار الفرنسية لأفضل فيلم وأفضل إخراج وأفضل ديكور. وقد عبّر العديد من نقاد السينما الفرنسيين والدوليين عن اعتقادهم بأن ديلون قدّم أفضل أداء تمثيلي في مهنته السينمائية كلها في "*السيد كلين*"، خصوصاً أن دوره تطلب تبديل هوية الشخصية التي يجسدها في الفيلم الذي قدّم فرصة ذهبية لديلون كي يضيف عمقاً سيكولوجياً إلى أسلوبه التمثيلي.

جسّد ديلون في فيلم "*السيد كلين*"، الذي تدور أحداثه في باريس سنة ١٩٤٢ خلال فترة الاحتلال الألماني لفرنسا، شخصية تاجر فرنسي ناجح يدعى روجر كلين يتعامل بالتحف الأثرية والفنية ومرغوب جداً من قبل النساء نظراً لوسامته وثروته الطائلة. لا يأبه السيد كلين في البداية للاحتلال الألماني أو لأولئك البؤساء الذين يعرضون مقتنياتهم الفنية الثمينة أو بعض حاجياتهم الشخصية القيّمة لقاء مبالغ رمزية كي يتسنى لهم مغادرة فرنسا والنجاة بأرواحهم من بطش النازيين. بل إن عدم اكتراثه لهذه الوقائع يزيد من ثروته أكثر فأكثر، ثم تتبدل الأمور فجأة عندما يكتشف أن أحد أفراد المقاومة قد انتحل اسمه (روجر كلين) كتغطية لعملياته السرية، ما يجعله مطلوباً من جانب سلطات الاحتلال الألماني. يحاول كلين يائساً العثور على ذلك الرجل لتبرئة نفسه أو سيتعرض للعقوبة الصادرة بحق رجل المقاومة الذي انتحل شخصيته. لكن القدر يشاء أن يؤدي بحث كلين عن شخصه المزدوج إلى تفتح بصيرته لما يدور حوله من المآسي التي لم يشعر بها من قبل. ويرى بعض النقاد أن ذلك الشخص الذي انتحل اسم كلين غير موجود بالأصل وإنما يعكس "ضمير" السيد كلين نفسه في الظل.

كما اعتقد البعض أن الفيلم يعيد إلى الأذهان القصة القصيرة "ويليام ويلسون" للكاتب الأمريكي (إدغار آلان بو) التي نقلت إلى الشاشة كجزء من فيلم "*قصص غير عادية*" (١٩٦٨) – قام بإخراج هذا الجزء (لوي مال)، بينما تولى إخراج الجزأين الآخرين (فيدريكو فلليني) و(روجر فاديم). وقد لعب ديلون في ذلك الجزء من الفيلم دور ويليام ويلسون وشبيهه الغامض، أو بعبارة أصح "ضميره" الذي يعكس الجانب الأسود الكامن في شخصيته.

"*السيد كلين*" فيلم رائع وله مقومات الفيلم الأسود (فيلم نوار) مع أنه ليس فيلماً بوليسياً. قد تبدو الحبكة عادية ومباشرة لكننا نكتشف جوانب عديدة في خلفية تلك الحبكة، ما أفرز تحفة سينمائية غامضة وشخصية مزدوجة أكثر غموضاً للسيد كلين: الأولى في الظل والثانية بأداء ممتاز قدمه آلان ديلون أثبت فيه براعته في التمثيل بدور يختلف عن نمط أفلامه البوليسية السابقة. فالـ"*السيد كلين*" فيلم معقد ومخيف في مضمونه قام بإخراجه صانع أفلام موهوب اضطر لمغادرة بلاده – الولايات المتحدة – في بداية الخمسينيات ويدرك تماماً معنى "الاضطهاد" و"الكراهية". وقد وصف العديد من النقاد فيلم المخرج (جوزيف لوسي) "*السيد كلين*" بأنه عمل يمزج بين أفلام (هيتشكوك) المثيرة، حيث ينبغي على الأبطال في أغلب الأحيان التعامل مع الهوية غير الصحيحة، وكوابيس (فرانز كافكا) في كتابه "المحاكمة".

بعد النجاح الكبير الذي أحرزه فيلم "*السيد كلين*" على كافة المستويات الفنية والتجارية والجماهيرية، استمر ديلون بتحقيق نجاحات مماثلة، وخصوصاً على صعيد شباك التذاكر، في فيلمين متتاليين من أفلام الإثارة والتشويق: "*البومرينغ*" (١٩٧٦) و"*العصابة*" (١٩٧٧). كما أظهر ديلون موهبة جديدة أضافها إلى نشاطه السينمائي وذلك بالمشاركة في كتابة سيناريو أفلامه، وبدأ هذا النشاط الفني في فيلم "*البومرينغ*" الذي شارك بإنتاجه أيضاً.

سجّل هذا الفيلم التعاون الثالث والأخير مع المخرج (خوسيه جيوفاني) – الفيلمان السابقان هما "*رجلان في المدينة*" (١٩٧٣) و "*الغجري*" (١٩٧٥). الأمر المثير في أفلام (خوسيه جيوفاني) هو أن المخرج نفسه من أصحاب السوابق واستلهم أعماله السينمائية من تجاربه الشخصية أو من بعض قصص العصابات الحقيقية. فالمخرج والروائي الفرنسي (جيوفاني) من أصل كورسيكي لكنه وُلد في باريس عام ١٩٢٣ وترعرع ودرس في مدارسها. وقد تم إلقاء القبض عليه في سنة ١٩٤٥ بتهمة تورطه في عملية احتيال وابتزاز قام بتنظيمها خال (خوسيه) بمساعدة شقيقه الأكبر. لكن عملية الابتزاز هذه أسفرت عن مقتل ثلاثة أشخاص. وفي ١٩٤٨ صدر حكم بالإعدام بحق كل من (خوسيه) – مع أنه بريء من قتل أي من الضحايا الثلاث – ورجل آخر يدعى (جورج أكاد). ولكن من حسن حظ (خوسيه) وزميله أن الرئيس الفرنسي (فنسنت أوريول) آنئذ خفف حكم الإعدام إلى السجن لمدة عشرين سنة مع الأشغال الشاقة، ثم أطلق سراحه بقرار عفو في كانون الأول ١٩٥٦ وتمت تبرئته في ظل محاكمة جديدة جرت عام ١٩٨٦. توفي (خوسيه جيوفاني) في مدينة لوزان السويسرية في ٢٤ نيسان ٢٠٠٤ نتيجة إصابته بنزيف دماغي حاد.

لعب ديلون في فيلم "*البومرينغ*" دور البطولة بشخصية الثري جاك باتكن الذي يحاول إنقاذ ابنه القابع خلف القضبان بتهمة قتل أحد رجال الشرطة. لاتفلح جهود جاك في تبرئة ولده المحبب إلى قلبه إيدي (لويس جوليان) لأن القاضي والقانون لا ينظران إلى الفتى الثري المسكين بعين الشفقة. فالمراهق إيدي يلجأ تحت تأثير المخدرات إلى قتل الشرطي غريمالدي، فيلتمس والده جاك الظروف المخففة لقضية ابنه ويبدي استعداده للتضحية بأي ثمن لإنقاذ ابنه ولو كان ذلك عن طريق الحيلة والخداع، ويكاد أن ينجح في كسب ثقة وتعاطف (سوزان فلون) أرملة الشرطي المغدور، لكن الصحافة تكشف ماضي جاك بأنه كان من رجال العصابات وأمضى فترة من حياته في السجن قبل أن يجمع ثروته ويصبح من أغنياء الطبقة الراقية في المجتمع فتذهب كل جهوده سدى وكأن كل ما اتبعه من أساليب ملتوية لإنقاذ ابنه يشبه قذيفة "البومرينغ" التي لاترتد إليه فحسب، وإنما تشكل "كيد المرتد"، الخطة التي يرتد أذاها إلى نحر صاحبها.

لقد حاول ديلون في هذا الفيلم أن يجسّد دور الأب الذي يتحمل نتائج أفعال ولده المستهتر وإنقاذه، لكن يبدو أن دوراً كهذا لم يرُقْ للجمهور الذي اعتاد على رؤية ديلون بصورة "الذئب المتوحد والانعزالي" في أفلامه من دون أية روابط تقيد حريته.

أما الفيلم الثاني الذي ردف به ديلون مجموعة أفلامه بعد "*البومرينغ*" فحمل عنوان "*العصابة*". يرصد هذا الفيلم البوليسي الصادر عام ١٩٧٧ للمخرج (جاك ديراي) والمقتبس عن رواية لمحقق الشرطة السابق والكاتب (روجر بورنيش) قصة زعيم العصابة الشهير "بييرو الأحمق" الذي استهدفت نشاطات عصابته سرقة المصارف والمصانع إبان الحرب العالمية الثانية عندما كانت القوات الفرنسية مشتتة غير قادرة على التحكم بزمام الأمور في البلاد. يلعب آلان ديلون في هذا الفيلم الذي جرى تصويره في مدينة "نيس" الفرنسية دور روبرت، زعيم عصابة صغيرة مؤلفة من خمسة محتالين بسطاء. يتم سرد قصة الفيلم من وجهة نظر زوجة روبرت، مارينيت (نيكول كالفان)، التي تبين بأن روبرت هو العقل المدبر لهذه العصابة التي تنفذ عدة عمليات سطو بنجاح. تزداد رقعة تلك العمليات لتصبح أكبر فأكبر مع مرور الزمن إلى أن تصبح عصابة روبرت قادرة على تنفيذ عدة عمليات سطو بمنتهى الدقة خلال يوم واحد تستريح بعدها العصابة لفترة من الزمن كي تنعم بغنائمها. تفشل جهود الشرطة في البداية لوضع حد لموجة السطو المسلح التي تعمّ البلاد لكن إلى متى سيبقى الحظ حليفاً لعصابة روبرت؟

ربما لم تكن حبكة الفيلم قوية ومتقنة لدرجة تجعل فيلم "*العصابة*" عالقاً في الأذهان لفترة طويلة، لكن الشيء الوحيد الذي يجعل هذا الفيلم جديراً بالمشاهدة هو كاريزما آلان ديلون وحضوره القوي على الشاشة.

* * *

في ١٩٧٧ احتفل ديلون مع (ميراي دارك) بذكرى السنة التاسعة للعلاقة القائمة بينهما منذ ١٩٦٨. كان ديلون سعيداً بوجود (ميراي) حوله لما كان لها من آثار كثيرة طيبة في حياته، خصوصاً فيما يتعلق برعاية ابنه (أنتوني). والواقع أن (أنتوني) عاش مع صاحبة أبيه (ميراي دارك) أكثر مما عاش مع أمه (ناتالي) – ولذلك فهو لايزال إلى الآن يكن لها محبة خاصة واحتراماً كبيراً. ومن محاسن (دارك) أيضاً أنها استطاعت إقناع ديلون في مناسبة احتفالهما بذكرى مرور السنة التاسعة على العلاقة بينهما أن يقلع عن تدخين السجائر حفاظاً على صحته، لاسيما أنه كان مدخناً شرهاً يستهلك نحو علبتين يومياً من سجائره المفضلة نوع "جيتان"، مع أنه استمر بتدخين السيجار بين الحين والآخر.

وفي العام ذاته التقى ديلون بطريق المصادفة بمطلقته (ناتالي ديلون) في مطار ديغول بباريس وذلك لدى عودته من رحلة سياحية إلى اليابان استغرقت ستة أيام كنوع من الاستجمام حيث التقى خلال وجوده في طوكيو بالممثل الياباني الشهير (توشيرو مفيونه) وتناولا العشاء معاً. لقد تحولت علاقة ديلون بـ (ناتالي) إلى صداقة طيبة خالية من مشاعر البغض أو الحقد التي تنمو عادة بين المطلقين، مع أن تلك الصداقة لا يمكن مقارنتها بالصداقة القوية والحميمة التي تطورت بين ديلون وخطيبته السابقة (رومي شنايدر) واستمرت بينهما مدى الحياة.

* * *

أنجز ديلون تصوير فيلم جديد وبمدة زمنية قياسية لم تتجاوز الشهر وجرى إصداره في ١٩٧٧ أيضاً بعنوان "*أرمغدون*"، إخراج وسيناريو (آلان جيسوا). وكان هذا العنوان الغريب مستوحى من كلمة إغريقية تعني "المعركة الكبرى الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشرّ" حسبما وردت في نسخة العهد الجديد باللغة اليونانية القديمة. تروي قصة الفيلم كيف تتبدل حياة عامل بسيط ينتمي إلى الطبقة الكادحة يدعى لويس كاريير (جان يان)، الذي عانى من الفقر لسنوات طويلة، عندما يرث مبلغاً كبيراً من شركة التأمين عند وفاة شقيقه في حادث سيارة. مع أن كاريير رجل غريب الأطوار ويعاني من جنون العظمة في شخصيته، إلا أنه مثالي في أفكاره ويسعى إلى إيجاد عالم أفضل وإنقاذ الناس من حالة الانحطاط والتدهور التي جعلتهم يعيشون كاليرقات في مجتمع العصر الحديث. بعد أن يحصل كاريير على هذا الإرث الكبير من وفاة شقيقه تزداد خيالاته جنوحاً وعنفاً ويرغب بأن يصبح اسمه على كل لسان بأية وسيلة ممكنة، فتتفاقم حالة اضطرابه العقلي ويبدأ بتهديد الشرطة والحكومة معتقداً أن الساعة قد حانت للـ "أرمغدون" (المعركة الكبرى الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشرّ)، فيقرر تفجير قاعة المؤتمرات في باريس التي تستضيف قمة زعماء العالم. لكن الشخص الوحيد القادر على أن يجعل كاريير يعدل عن قراره الرهيب ويثنيه عن مخططاته المروعة هو الطبيب النفساني الشهير ميشيل أمبروس (آلان ديلون) الذي تطلب الشرطة مساعدته لاقتفاء أثر كاريير والقبض عليه. لقد أدى الممثل الفرنسي (جان يان) دوره ببراعة ملحوظة أمام النجم الكبير آلان ديلون في فيلم "*أرمغدون*".

وفي فيلم آخر صدر في ١٩٧٧ بعنوان *"الرجل المستعجل"*، إخراج (إدوارد مولينارو) نقلاً عن رواية للكاتب (بول موران) وكتب نصّها السينمائي السيناريست المبدع (كريستوفر فرانك)، لعب ديلون دور البطولة مجدداً بشخصية رجل متزوج يدعى بيير نيو (آلان ديلون) يجعله طموحه لتحقيق النجاح وكسب النفوذ بأية وسيلة ممكنة يتجاهل جميع المبادئ والقيم الأخلاقية، حيث يرغب بشراء كل ما هو ثمين وقيّم بدءاً من مخطوطات العصور الوسطى وصولاً إلى التحف الفنية الحديثة. لايفعل بيير نيو ذلك حباً بالفن أو ولعاً بالتاريخ وإنما لكسب الشهرة على حساب الآخرين في سبيل التباهي والتفاخر أمام الآخرين. كما يعتقد بيير أنه طالما يستطيع تسلق سلم الشهرة والمجد في أعماله بأية وسيلة ومن دون أي رادع أخلاقي، فإنه قادر أيضاً على إرضاء ملذاته الحسية بالطريقة ذاتها. ثم لا يلبث أن يصبح سلوكه مثيراً للشفقة خصوصاً عندما يخبر زوجته بأن فترة الحمل تستغرق وقتاً طويلاً لذلك يعتقد أن سبعة شهور كافية لإنهاء حملها بما أن الجنين يصبح مكتملاً في تلك المرحلة. ولا عجب أن أفعال بيير، التي تؤكد على أنه في عجلة من أمره في كل شؤون الحياة وتجاوزه للقيم والمبادئ الإنسانية، تنقلب ضده في النهاية وتقوده إلى الهلاك.

وفي نهاية ١٩٧٧ تبنى ديلون تنفيذ مشروع سينمائي حمل عنوان *"موت رجل فاسد"* حين قام بتمويل إنتاج هذا الفيلم السياسي الحافل بالإثارة والتشويق، وشارك في كتابة السيناريو وأضاف اسمه إلى قائمة أبطال الفيلم ووجّه الدعوة إلى صانع أفلام المغامرات والكوميديا الشهير (جورج لوتنير) من أجل إخراج الفيلم، بالإضافة إلى إسناد أدوار البطولة إلى لفيف من ألمع نجوم السينما الأوروبية في تلك الفترة، بمن فيهم (أورنيلا موتي) و(ستيفان أودران) و(ميراي دارك) و(ميشيل سيرول) و(كلاوس كنسكي)، وعلى رأس القائمة طبعاً آلان ديلون الذي لازمت صورته في هذا الفيلم شخصيته المعهودة كذئب متوحد ومحارب فخور و"ساموراي" مخلص ووفي لأصدقائه. كانت هذه العناصر بمجملها كفيلة بتحقيق أعلى الإيرادات على شباك التذاكر من جهة، وإحراز *"موت رجل فاسد"* على ترشيحين لجائزة سيزار الفرنسية. كان الترشيح الأول من نصيب ديلون نفسه كأفضل ممثل، بينما ذهب الترشيح الثاني إلى (ميشيل أوديارد) عن أفضل سيناريو منقول عن رواية للكاتب (راف فاليه) – وهو الاسم المستعار للأديب (جان لابورد).

يتناول هذا الفيلم الفرنسي السياسي المشوق والرائع الذي جرى إصداره في ٧ كانون الأول ١٩٧٧ والذي يتضمن عناصر ومقومات متنوعة من الأفلام السياسية والبوليسية وأفلام المغامرات والعصابات والأفلام النفسية المشوقة – التي تشكل بمجموعها الاتجاه السائد في سينما الإثارة والتشويق في سبعينيات القرن الماضي – يتناول تفاصيل مؤامرة كبيرة يحيكها سياسي فاسد يحاول التخلص من جميع خصومه بشتى الوسائل المتاحة أمامه ومن دون أي رادع أخلاقي يثنيه عن تحقيق هدفه. يؤدي دور هذا السياسي الممثل المرموق (موريس رونيه) بشخصية عضو البرلمان الفرنسي فيليب دوباي. بالإضافة إلى منصبه السياسي، فإن فيليب له نشاطات أخرى في مجال التجارة والأعمال ويكون شريكاً وصديقاً قديماً لرجل الأعمال البارز خافيير مارشال (آلان ديلون). لكن فيليب يخفي وراء صورته السياسية والاجتماعية المحترمة شخصية إنسان شرير وفاسد حيث يلجأ إلى قتل زميله عضو البرلمان سيرانو (شارل مولان) لأنه هدد بفضح تورط فيليب بقضايا لا تمسّ نزاهته فحسب، وإنما تكشف تواطؤه الخطير بالفساد والمؤامرات السياسية. يسارع فيليب إلى سرقة مفكرة الضحية لأنها تحتوي على معلومات الابتزاز التي تكشف تورط أسماء العديد من زملائه السياسيين والمسؤولين الحكوميين. يتوجه فيليب إلى صديقه خافيير مارشال (ديلون) طلباً للمساعدة ولكن بعد فوات الأوان ولا يتمكن إلا من إبلاغه عن مخبأ المفكرة التي سرقها من المغدور سيرانو لأنه

سرعان ما يلاقي مصرعه على يد شركائه المتواطئين في قضايا الفساد. ثم تتسارع وتيرة الأحداث ويصبح خافيير وعشيقة فيليب، فاليري (أورنيلا موتي)، هدفاً لمطاردة أولئك السياسيين المتآمرين ورجالهم خشية من افتضاح أمرهم وتسفر تلك المطاردات الساخنة – التي تم إخراجها وتصويرها بكل براعة – عن سقوط العديد من الضحايا إلى أن يتمكن خافيير في النهاية من كشف المتآمر الفعلي المسؤول عن تلك الأحداث المأساوية.

* * *

في عام ١٩٧٨ أسس "رجل الأعمال" آلان ديلون شركة تجارية خاصة به في مجال إنتاج وتسويق عطر حمل ماركة "آلان ديلون". بدأ بتسويق هذا العطر أول الأمر في سويسرا، وسرعان ما لاقى رواجاً واسعاً في أسواق أكثر من ٩٠ دولة في جميع أنحاء العالم. ونظراً لهذا النجاح، طوّر ديلون عطراً نسائياً عام ١٩٨١ يحمل علامته التجارية الخاصة به وأطلق على هذا العطر اسم "زمن الحب" واستمر نجاح تلك العطور بشكل مذهل نحو عشرين سنة، ثم جرى استبدالها بأصناف حديثة من العطور الرجالية كعطر "الساموراي" – الذي أصبح بين الأصناف العطرية الخمسة الأكثر مبيعاً في اليابان، ثم ردفها بعطور نسائية ناجحة، بما فيها عطر "المرأة الساموراي" و"شوغان" و"توت المرأة الساموراي". كما افتتح مطعماً فاخراً في مدينة "نيس" الفرنسية أطلق عليه اسم "كامارغ" بات يقضي فيه معظم أوقات فراغه بعيداً عن عدسة الكاميرا.

وفي عودة إلى أعمال آلان ديلون السينمائية، فقد صوّر فيلماً من أفلام الإثارة والتشويق مع المخرج (سيرج ليروي) في سنة ١٩٧٨ نقلاً عن رواية للكاتب (بيتر إل. ديكسون) حمل عنوان "*احذروا .. فالأطفال يراقبون*". كان هذا الفيلم متميزاً بفكرته التي تختلف عما تطرحه سينما هوليوود في أفلامها التي باتت معظم مواضيعها مألوفة بشكل عام بصرف النظر عن طرائق وأساليب الإخراج. ففيلم "*احذروا .. فالأطفال يراقبون*" يُعدّ نقداً صريحاً وجريئاً للآثار الخطيرة الناجمة عن مشاهدة الأطفال لأفلام وبرامج العنف المفرط في التلفزيون.

تدور أحداث الفيلم داخل فيلا فاخرة تقع على شاطئ البحر حيث يسافر زوج وزوجته (لويس نافار ودانييل فول) إلى إيرلندة في رحلة قصيرة تاركين أطفالهما الأربعة تحت رعاية المربية البرتغالية الشابة أفوكادوس (أدليتا ريكوينا) التي لاتستطيع السيطرة على هؤلاء الأطفال الأشقياء الأربعة: مارلين (صوفي رينوار) وديمتري (ريتشارد كونستانتيني) ومارك (تيري تورشيه) ولاتيتسيا (تيفين ليرو) الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والثالثة عشرة. يبدأ الأشقياء الصغار بالتصرف على هواهم ويمضون ساعات طويلة في مشاهدة برامج وأفلام العنف في التلفزيون. وذات يوم يذهب الأطفال لقضاء بعض الوقت على الشاطئ لكن المربية أفوكادوس يغلبها النعاس وتغط في نوم عميق بينما يلهو الأطفال ويمرحون ثم يحملون المربية من باب المزاح ويضعونها في قارب مطاطي ويدفعون بها إلى الماء. تستيقظ المربية مذعورة فتسقط في الماء وتغرق بما أنها لا تعرف السباحة. يحاول الأولاد إنقاذها إلا أن جهودهم تبوء بالفشل فيعودون إلى الفيلا ويتعاهدون فيما بينهم على كتمان سرّ غرق المربية ووفاتها بدلاً من تبليغ الشرطة عن الحادثة لاسيما أن مفهوم الموت غير واضح بالنسبة للصغار في هذه المرحلة المبكرة من العمر.

يعود الأشقياء الصغار إلى قضاء الوقت كما يحلو لهم، خصوصاً أنهم أصبحوا بلا رقيب أو حسيب. لكن يظهر رجل غريب (آلان ديلون) فجأة ويدخل منزلهم ويخبرهم بأنه شاهد كل ما فعلوه على الشاطئ وكيف أدى مزاحهم إلى إغراق المربية الشابة ويبدأ بترهيبهم بما قد تفعله الشرطة مع القتلة الصغار أمثالهم بسبب الجريمة التي ارتكبوها بحق المربية، ولا يتردد في إخافتهم أكثر فأكثر بالتهديد بالسلاح حين يعثر على مسدس في المنزل. يحاول

الأولاد الأربعة الانتقام من ذلك الرجل الغريب ويقرر أكبرهم سناً – مارلين وديمتري – قتل هذا الرجل الغريب. وبالفعل ينال منه هذان الصغيران في وقت مبكر من صباح اليوم التالي ويتخلصان من جثته. يسارع الصغار إلى تنظيف الفوضى التي حدثت داخل الفيلا لمحو أي أثر وكأن شيئاً لم يحصل ريثما يصل الوالدان في مساء اليوم ذاته.

(٨)

أفلام ديلون تتعثر ...

حاول ديلون مجدداً دخول السوق الأمريكية بفيلمه "*كونكورد .. مطار ٧٩*"، لكنه عاد أدراجه إلى فرنسا من دون إحراز النجاح المنشود من هذا الفيلم مع أنه ضمّ لفيفاً من نجوم السينما بين ممثليه. فـ "*كونكورد .. مطار ٧٩*" الصادر في ١٩٧٩ كان الجزء الرابع والأخير من سلسلة أفلام الكوارث الجوية المقتبسة عن رواية بعنوان "المطار" للكاتب (آرثر هايلي) حيث حملت الأجزاء الثلاثة الأولى العناوين: "*المطار*" و"*المطار ١٩٧٥*" و"*المطار ٧٧*"، علماً بأن (جورج كندي) كان الممثل الوحيد الذي ظهر في جميع الأجزاء الأربعة بشخصية (جو باتروني).

أما آلان ديلون فقد ظهر في الجزء الأخير للمخرج (ديفيد لويل رينتش) "*كونكورد .. مطار ٧٩*" الناطق بالإنكليزية بدور الكابتن بول ميتران الذي يشترك مع الكابتن جو باتروني في قيادة طائرة الكونكورد، أسرع طائرة ركاب في العالم والتي تفوق سرعتها سرعة الصوت. كما يتمحور دور ديلون على علاقته الغرامية مع المضيفة إيزابيل (سيلفيا كريستل)، في حين تركز حبكة الفيلم على قصة رجل الصناعة الأمريكي الكبير وصاحب النفوذ الواسع كيفن هاريسون (روبرت فاغنر) الذي يقوم بعقد صفقات سرية لبيع الأسلحة للدول المعادية للولايات المتحدة خلال فترة "الحرب الباردة". ولكن عندما يصل الخبر إلى الصحفية ماغي ويلان (سوزان بليكلي)، يحاول هاريسون القضاء عليها بشتى الوسائل.

تسافر ماغي جواً إلى موسكو لحضور افتتاح الألعاب الأولمبية الصيفية في العاصمة الروسية، وتستقل في رحلتها إلى موسكو طائرة الركاب الكونكورد التي اشترتها الولايات المتحدة وذلك في رحلتها الأولى على الخطوط الجوية الأمريكية "عبر العالم". لذلك يحاول هاريسون تدمير طائرة الكونكورد بطرائق متعددة بما أن ماغي موجودة على متنها مع أن الطائرة تضم بين ركابها عدداً من أبرز الرياضيين الأولمبيين وأشهر المطربين بالإضافة إلى بعض المدنيين الأثرياء. لكن طائرة الكونكورد تنجح في تفادي صواريخ الطائرات المقاتلة التي استأجرها هاريسون من بعض الدول بغرض إسقاطها، فيحاول هاريسون إحداث خلل في آلية ضغط الكونكورد بينما تحلق على ارتفاع شاهق، ما يجبرها على الهبوط الاضطراري المحفوف بالمخاطر على جبال الألب.

(سيلفيا كريستل) التي لعبت دور المضيفة الجوية إيزابيل أمام ديلون في الفيلم، والتي نالت شهرتها بعد أدائها دور البطولة في فيلم "*إيمانويل*"، قدّمها ديلون لرجال الصحافة الذين قاموا بزيارة موقع تصوير "*كونكورد .. مطار ٧٩*" قائلاً من باب المزاح: "(سيلفيا) التي ستلعب دور مضيفتي في الطائرة هي عشيقتي السابقة... ونحن هنا لنحاول

إحياء تلك العلاقة... وقد صورنا المشهد الأول وهي ترتدي تنورة لها شق طويل يكشف ساقها إلى أعلى فخذها، وبالطبع لم تتعرَ من كل ثيابها كما في علاقتنا السابقة ...".

أما (سيلفيا كريستل) فذكرت لاحقاً عن علاقتها بديلون أنها أعجبت بوسامته "الفتاكة" حين التقت به مرتين قبل بدء تصوير الفيلم في لوس أنجلوس. وقالت إنه شخص مرح ولطيف وتناولت معه بعض كؤوس المشروب فقط. أما في العمل فقالت: "إنه جدي جداً ومختلف عن حياته العادية .. كان دقيقاً في مواعيده أثناء تصوير الفيلم .. وكان يتدرب على سطور حواره باللغة الإنكليزية في غرفة استراحته مرات عديدة مع أنه يتقن الإنكليزية. لقد شرّفني العمل مع ممثل عظيم ومحترف كآلان ديلون. ومع أني رغبت في التعرق إليه أكثر، إلا أنني لم أحظ بتلك الفرصة والسبب هو تركيزه الشديد على العمل. فالعمل بالنسبة لآلان ديلون يحتل الأولوية دائماً".

لكن "*كونكورد .. مطار ٧٩*" الذي بلغت كلفته الإنتاجية ١٥ مليون دولار لاقى نقداً سلبياً لاذعاً على الصعيدين الجماهيري والفني ولم تتجاوز إيراداته على شباك التذاكر سوى ١٣ مليون دولار وذلك بسبب ضعف حبكة الفيلم والأخطاء الفنية الكثيرة الواردة في السيناريو، ما جعل الفيلم بصورة عامة ينطوي على تناقضات واضحة مع القصة ومع الأجزاء الثلاثة السابقة. من جهة ثانية، كان توقيت إصدار الفيلم غير مناسب على الإطلاق بما أن رحلة الكونكورد (في الفيلم) كانت متجهة إلى أولمبياد موسكو في حين تزامن إصدار الفيلم مع بدء الحرب السوفيتية في أفغانستان وتداعيات تلك الحرب التي أدت إلى مقاطعة الولايات المتحدة للألعاب الأولمبية المقامة في موسكو.

بعد الفشل غير المتوقع لفيلم "*كونكورد .. مطار ٧٩*"، الذي كان آخر إنتاج أمريكي شارك فيه آلان ديلون، عاد إلى جمهوره الفرنسي بفيلم "*الطبيب*" الصادر في ١٩٧٩. لعب ديلون دور البطولة في هذا الفيلم الحربي للمخرج (بيير غرانييه ديفير) المقتبس عن رواية لـ (جان فريستي) بعنوان "هارموني أو مخاوف الحرب" والذي يتناول تعاسة حياة طبيب جرّاح ومآسي الحروب. فالطبيب جان ماري دسبريه (ديلون) يتمتع بسمعة طيبة كجرّاح ناجح في العاصمة الفرنسية باريس، لكن مستقبله المهني يصبح على حافة الانهيار عندما يمرّ بأزمة نفسية بسبب تخلي زوجته عنه. ثم يجري إرساله إلى مستشفى ميداني على أرض المعركة عند اندلاع حرب شاملة في منطقة غير محددة بأوروبا. يلتقي الطبيب جان في تلك المنطقة بالممرضة الحسناء هارموني (فيرونيك جانو) التي تجعله أول الأمر يشعر بالغيظ بسبب نظرتها التفاؤلية للحياة، ثم لا يلبث أن يدرك بأنه بات متيماً بها. لكن القدر يخفي حقيقة مرّة عن حياة هارموني ويكتشف جان بأنها مصابة بمرض عضال وليس أمامها أية فرصة للنجاة.

مع أن فيلم "*الطبيب*" نال ترشيحاً لجائزة سيزار الفرنسية – ترشيح لجائزة أفضل ممثل مساعد (برنارد جيراردو) – فضلاً عن أداء ديلون الرائع وفقاً لآراء العديد من النقاد الذين اعتقدوا أن الدور الذي لعبه في الفيلم قد شكل نقطة مهمة جداً في مهنته السينمائية، إلا أن الفيلم بصورة عامة لم يحقق النجاح المتوقع على الصعيدين الجماهيري والتجاري. من الواضح أن السبب وراء فشل "*الطبيب*" إنما يعود إلى سيناريو الفيلم الضعيف الذي كتبه المخرج نفسه. فالفيلم تنقصه الواقعية ويفتقر إلى العمق العاطفي وما ذلك إلا نتيجة فشل فريق الإنتاج في إقناع جمهور المشاهدين بأن الأحداث تدور في زمن الحرب. من جهة ثانية، كان فيلم "*الطبيب*" أحد المشاريع السينمائية العديدة التي حاول ديلون أن يوسّع نشاطه فيها من خلال تنفيذ إنتاج الفيلم، الأمر الذي أدى إلى تدني شعبية أفلامه بالتدريج في عقد الثمانينيات.

عاد ديلون في ١٩٨٠ للتعاون مع المخرج (جاك ديراي) في أداء دور البطولة في فيلم الإثارة والتشويق *"ثلاثة رجال للقتل"* المقتبس عن رواية مشهورة للكاتب (جان باتريك مانشيت)، في حين اشترك المخرج (ديراي) مع آلان ديلون نفسه في كتابة سيناريو الفيلم. يسرد *"ثلاثة رجال للقتل"* قصة المقامر ميشيل جيرفو (آلان ديلون) الذي يكسب لقمة عيشه من لعب البوكر. ولكن حين يتوقف ذات مساء ليساعد راكب دراجة نارية على قارعة الطريق، يتورط بتغطية صفقة سلاح غير قانونية من دون أي قصد. يذهب جيرفو مع حبيبته بي (دليله دي لاسارو) لقضاء الإجازة في بلدة تروفيل وزيارة والدته (سيمون رينان) التي تقطن في تلك البلدة، إلا أنه سرعان ما يجد نفسه مستهدفاً من قبل مجموعة من القتلة المأجورين العاملين لصالح رجل العصابات إميريش (بيير دو) ومساعده الرهيب ليبرينس (ميشيل أوكلير)، اعتقاداً منهما بأن جيرفو يعمل لصالح العصابات المنافسة. يحاول جيرفو طلب المساعدة من أحد أصدقائه في سلك الشرطة لكن جهوده لا تفلح لأن رجال الشرطة أنفسهم متورطون مع شركة احتيال تتعامل بالطائرات العسكرية. لذلك عندما يجد جيرفو نفسه محاصراً من كل الجهات، يدافع عن نفسه بالهجوم على المجرمين الذين يطاردونه وينقل المعركة إلى معقل إميريش نفسه.

كان ظهور ديلون في الفيلم المثير *"طهران – ٤٣"* الصادر عام ١٩٨١ قصيراً ورئيسياً في آن واحد مع أنه لم يتجاوز سوى بضع دقائق. يبدأ الفيلم الذي تولى إخراجه وكتابة نصه السينمائي (الكسندر ألوف وفلاديمير ناوموف) عام ١٩٨٠ في باريس حين يسترجع العميل السوفيتي أندريه إيليتش (إيغور كوستولفسكي) ذكرياته ويعود بالأحداث إلى سنة ١٩٤٣ وبالتحديد إلى أيام الاجتماع بين الزعماء ستالين (الاتحاد السوفيتي) وروزفلت (الولايات المتحدة) وتشرشل (بريطانيا) حين يقوم أحد الضباط النازيين المعروف باسم شيرنر (ألبرت فيلوزوف) بالتخطيط لاغتيال الزعماء الثلاثة بهدف تقويض قوات الحلفاء، ويكلف العميل الألماني ماكس ريتشارد (أرمين دزيغارخنيان) لتنفيذ هذه المهمة التي تفشل فشلاً ذريعاً بسبب فطنة العميل الروسي أندريه وسرعة تحركاته وردود فعله. يتعرف أندريه خلال وجوده في طهران بسيدة فرنسية تدعى ماري لوني (ناتاليا بيلوخوفستيكوفا) المقيمة في تلك المدينة وتنشأ بينهما علاقة غرامية قصيرة وقوية في آن معاً.

بعد مرور أربعة عقود من الزمن تقريباً، يتم إلقاء القبض على الجنرال النازي شيرنر لكنه سرعان ما يفلت من قبضة السلطات بمساعدة عدد من الإرهابيين ليبدأ بمطاردة العميل الألماني ماكس الذي فشل في تنفيذ مهمة اغتيال الزعماء الثلاثة منذ أربعين سنة. يعيش العميل ماكس مختبئاً عند شابة فرنسية تدعى فرنسواز (كلود جيد) ويثق بها ثقة كبيرة ويطلعها على كافة الوثائق السرية المتعلقة بالمهمة التي أسندها إليه الضابط النازي شيرنر من دون أن يدرك بأنها تعمل لصالح شيرنر سراً. في تلك الأثناء يتوجه العميل السوفيتي أندريه إلى باريس للاجتماع بحبيبته التي لم يلتق بها منذ سنوات طويلة، لكن يبدو أنه بات مستهدفاً أيضاً من مجموعة إرهابية نقلت تهديدات الماضي إلى الحاضر. وهنا يظهر آلان ديلون لفترة وجيزة بدور مفتش الشرطة جورج روش المكلف بملاحقة هؤلاء الإرهابيين والقبض عليهم بأسرع ما يمكن.

كان *"طهران – ٤٣"* إنتاجاً سينمائياً روسياً – فرنسياً ناجحاً بكل المقاييس حيث استطاع المخرجان (الكسندر ألوف وفلاديمير ناوموف) حشد مجموعة لامعة من نجوم السينما الروسية والفرنسية والألمانية الذين تألقوا في أدائهم، فضلاً عن إنتاج فيلم حمل صفات متنوعة بما فيها الجوانب البوليسية والحربية والرومانسية والمغامرات، الأمر الذي يشدّ انتباه وأعصاب جمهور المشاهدين بالرغم من فترة عرض الفيلم الطويلة التي بلغت ١٩٢ دقيقة. كما أن موسيقى

الفيلم كانت رائعة في تناغمها مع الأحداث، لاسيما الأغنية الجميلة التي أنشدها المطرب الفرنسي الأسطوري (شارل أزنافور). علاوة على ذلك، فإن "*طهران – ٤٣*" شكل فرصة فريدة بنوعها لمشاهدة التعاون بين الممثلين الروس والأوربيين في إنتاج بعيد كل البعد عن أية دعاية سياسية هادفة، وخصوصاً أن آلان ديلون يتمتع بشعبية واسعة جداً لدى جمهور المشاهدين الروس. كان من المقرر تصوير الفيلم في إيران ثم جرى تصويره أخيراً في الجمهوريات الجنوبية من الاتحاد السوفيتي السابق التي كانت تشهد انفتاحاً تدريجياً نحو السينما الغربية في بداية الثمانينيات.

(٩)

ديلون... صانع أفلام

لقد تمكن آلان ديلون، نجم السينما الفرنسية ورمز العصر الذهبي في السينما الأوروبية في عقدي الستينيات والسبعينيات، من تطوير مهنته السينمائية بالتدريج من ممثل إلى منتج ثم إلى سيناريست وأخيراً إلى مخرج في الثمانينيات واستهل أول أعماله الإخراجية بفيلم "*مخبأ الشرطي*" (المعروف أيضاً بعنوان "*الدوّامة*") الصادر في ١٩٨١. كما اشترك ديلون في كتابة سيناريو هذا الفيلم البوليسي التقليدي الممتع مع (كريستوفر فرانك) نقلاً عن رواية للمؤلف (جان باتريك مانشيت)، ولعب فيه أيضاً دور البطولة مع الممثلة (آن باريلو).

تتناول قصة الفيلم محققاً خاصاً يتجاهل الإنذارات الموجهة له ويتابع بحثه عن فتاة ضريرة مفقودة. تبدأ الأحداث عندما تأتي سيدة مسنة تدعى إيزابيل بيغو (آنيك آلان) لزيارة الشرطي السابق شوكا (ديلون) الذي تحول الآن إلى محقق خاص، وتطلب مساعدته في التحقيق باختفاء ابنتها الضريرة. يقبل شوكا هذه المهمة السهلة إلا أنه سرعان ما يكتشف بأن القضية ليست معقدة أكثر مما تخيل بادئ الأمر فحسب، بل وتنطوي على مخاطر حقيقية غير متوقعة. فأول ما يتعرض له هو هجوم مباغت من رجل غريب مجهول الهوية، ثم تلاقي السيدة بيغو مصرعها بطلق ناري قبل أن تتمكن من تزويده بالمعلومات الضرورية المتعلقة بابنتها المفقودة. لايتوقف الأمر عند هذا الحد وإنما يواجه أيضاً تهمة ملفقة تشير إلى تورطه في مقتل أحد ضباط الشرطة، فيدرك شوكا أنه علق في لعبة مميتة تشبه لعبة القط والفأر. تتوالى أحداث الفيلم بعدها بوتيرة سريعة ومتناغمة في الجهود التي يبذلها شوكا لمعرفة هوية خصومه والدافع وراء إصرارهم على النيل منه بأية وسيلة ممكنة.

ولاغرو أن ديلون أسند لنفسه دور البطولة في مشروعه الإخراجي الأول لكن من المؤكد أن ديلون "المخرج" لم يرتق إلى مستوى ديلون "الممثل". ومع ذلك فإن أداء ديلون لأدوار البطولة في عشرات الأفلام البوليسية المتميزة بطابع الإثارة والتشويق التي صوّرها مع عدد من عمالقة صانعي هذا النمط من الأفلام أمثال (جان بيير ميلفيل) و(جاك ديراي) و(خوسيه جيوفاني) كان له الأثر الأكبر في تأهيله كـ "مخرج" من أجل تصوير فيلمه "*مخبأ الشرطي*" الذي يستحق "التصفيق" بجدارة كأول جهد له في الإخراج السينمائي وأثمر فيلماً بوليسياً جيداً بمقاييس المرحلة التي صدر خلالها.

ولعل الجانب الملفت للنظر في "*مخبأ الشرطي*" هو إدخال روح الفكاهة في الفيلم البوليسي، وهي ناحية قلما شاهدناها في أفلام ديلون. ولعل السبب وراء ذلك اعتقاد المخرجين الذين صوّروا أفلامه أن "الفكاهة" قد تشوه صورة ديلون "الرجولية".

كما عبّر العديد من النقاد عن اعتقادهم بأن "*مخبأ الشرطي*" بشكل عام تمتع بتركيبة جيدة بالرغم من بعض العثرات في عرض قصة الفيلم، وما ذلك إلا عيب ساد في أفلام الإثارة والتشويق الفرنسية الصادرة في تلك الفترة (أوائل الثمانينيات). ولكن من حسن حظ ديلون أن "*مخبأ الشرطي*" اشتمل على جوانب استطاعت شدّ اهتمام المشاهد وإمتاعه، ومنها على سبيل المثال البطل الكاريزمي (ديلون نفسه) والممثلة الفاتنة ورمز الإغراء (آن باريلو) التي مثلت أمام ديلون في الفيلم ومشهد المطاردة الليلية الرائع بالإضافة طبعاً إلى زخم مشاهد العنف العديدة والمتنوعة.

* * *

(رومي شنايدر) التي تزوجت سكرتيرها الخاص (دانييل بياسيني) عام ١٩٧٥ بعد طلاقها من الممثل والمخرج الألماني (هاري ماين) انتهى زواجها مرة ثانية بالطلاق في ١٩٨١، الأمر الذي أدّى إلى تفاقم مشكلاتها الشخصية.

لقد كانت (رومي شنايدر) نجمة سينمائية لامعة، لكنها قليلة الحظ في حياتها الشخصية. ولعل حياتها الصعبة بدأت منذ طلاق والديها عندما كانت في السابعة، مروراً بفسخ الخطوبة من ديلون عام ١٩٦٤ وطلاقها من (هاري ماين) في ١٩٧٥ وما كلفها ذلك من خسارة لنصف ثروتها من أجل الاحتفاظ بصغيرها (ديفيد)، وانتحار (هاري) شنقاً في سنة ١٩٧٩، ومن ثم فقدان جنينها بعد زواجها بـ (دانييل بياسيني) في حادث سيارة تسبب في إجهاضها عام ١٩٧٦، ووصولاً إلى طلاقها الثاني (من بياسيني) في ١٩٨١.

ولكن يبدو أن مسلسل المآسي في حياة (شنايدر) لم يتوقف عند ذلك الحدّ. ففي العام ذاته (١٩٨١) تعرّض ابنها (ديفيد) الذي بلغ حينذاك ربيعه الرابع عشر لحادث مؤلم أودى بحياته. فقد كان (ديفيد) يحاول تسلق سور شائك في منزل جده، لكنه أصيب بجرح بليغ ما أدى إلى قطع شريان الدم الرئيسي في فخذه وتسبب ذلك بنزيف حاد واستطاع بصعوبة التخلص من الأسلاك الشائكة والزحف إلى داخل المنزل طلباً للمساعدة. ولكن ريثما وصلت سيارة الإسعاف ونقلته إلى المستشفى كان (ديفيد) قد فقد الكثير من دمه وفارق الحياة على أثرها.

كان وقع الصدمة على (شنايدر) المولعة بابنها المحبب إلى قلبها رهيباً. لقد أدّى موته المأساوي إلى انهيارها من الداخل وجعلها تغوص في حالة لاتوصف من الاكتئاب واليأس، وسكن الحزن كل جزء في نفسها وبدأت الأم المفجوعة بتناول المهدئات والمسكرات بإفراط.

بقي آلان ديلون الوفيّ إلى جانب صديقة العمر في تلك الأوقات العصيبة ولم يبخل أبداً في مساندتها أوقات الشدة، سواءً مادياً أو معنوياً. وعلقت (شنايدر) ذات مرة بقولها عن ذلك مشيرة إلى ديلون "لقد خسرت حبيباً، لكنني كسبت صديقاً مدى الحياة ...".

لكن القصة انتهت بمأساة أكبر عندما فقدت السينما واحدة من أجمل ممثلاتها وغادرت الشاشة بلا رجعة. ففي ٢٩ أيار ١٩٨٢ وُجِدت (رومي شنايدر) ميتة في شقتها بباريس عن عمر ناهز الثالثة والأربعين، واعتقدت الشرطة أنها تناولت خليطاً مميتاً من الكحول والحبوب المنومة، ومع ذلك لم يتم تشريح جثتها وأعلنت السلطات أن وفاتها كانت نتيجة إصابتها بنوبة قلبية ولاتزال أسباب وفاتها الحقيقية غامضة إلى الآن. وقد تدبر آلان ديلون لاحقاً نقل جثمان ابنها (ديفيد) كي يرقد في قبر والدته (رومي شنايدر).

وفي ٢٢ شباط ٢٠٠٨ خلال حفل توزيع جوائز سيزار الفرنسية للسينما (الموازية لجوائز الأوسكار)، مُنحت (رومي شنايدر) جائزة الشرف من جوائز سيزار بعد الوفاة. ولعل أكثر اللحظات المؤثرة في تلك الأمسية هي التي توجّه فيها آلان ديلون إلى المنصة ليلقي كلمة التكريم للراحلة (رومي شنايدر)، موضحاً السبب الذي دفعه لقبول الدعوة الموجهة إليه من أجل تكريمها بقوله:

"في هذه السنة كنت ستبلغين عامك السبعين ...

إنني أفتقدك كثيراً ... بل وكثيراً جداً ..

لأننا كنا مخطوبين منذ خمسين سنة ...

ولأننا سبحنا معاً منذ أربعين سنة في فيلم "*حوض السباحة*" ...

ولأننا أحببنا بعضنا بعضاً ...

ولأننا كنا سعداء معاً... وتعساء بوفاة (ديفيد)...

كنا معاً... أنت وأنا....

لأجل ذلك قبلت تكريمك".

* * *

كرر ديلون تجربته في كتابة السيناريو والإخراج بفيلم بوليسي مشوق آخر جرى إصداره عام ١٩٨٢ بعنوان *الصدمة*"، وشاركه (روبن ديفيس) في الإخراج وكتابة السيناريو (علماً بأن اسم ديلون لم يُسجل في قائمة العاملين بالفيلم كشريك في الإخراج). أدى ديلون في هذا الفيلم دور البطولة مع (كاترين دونوف)، وكانت هذه هي المرة الثانية التي تعاون فيها مع (دونوف) حيث اشتركا سابقاً في بطولة فيلم *الشرطي*" (١٩٧٢).

يستعرض الفيلم رغبة مارتن تريير (ديلون) في ترك عمله لكن المشكلة أنه لا يستطيع تنفيذ هذه الرغبة ببساطة كأي شخص عادي بما أنه يعمل كقاتل مأجور ولا تروق فكرة اعتزاله هذه المهنة بالنسبة للأشخاص الذين يعمل لصالحهم لأنه يعرف أكثر من اللازم من جهة، ولأن خدماته مازالت مطلوبة لتحقيق أهدافهم من جهة ثانية. يصمم مارتن على تنفيذ فكرة اعتزال مهنة القاتل المأجور فيهرب إلى الريف لفترة من الزمن كي يتوارى عن أنظار مستخدميه. يتعرف مارتن في الريف إلى امرأة تدعى كلير (كاترين دونوف) ولا يمضي وقت طويل حتى تتبرعم علاقة حب قوية بين مارتن وكلير. يضطر مارتن للعودة إلى باريس حيث يواجه مستخدميه مرة ثانية ويتلقى منهم إنذاراً بتنفيذ مهمة أخيرة يستطيع بعدها أن يتحرر من قيودهم بصورة نهائية، فلا يجد أمامه خياراً سوى الامتثال لرغبتهم مع أنه بات يدرك أن تداعيات اعتزاله مهنة القاتل المأجور ستصبح أسوأ.

مع أن ديلون مثل هذا الدور مرات لاتعد ولاتحصى، إلا أن أداءه في فيلم *الصدمة*" كان مقنعاً ورائعاً وتفوّق على (كاترين دونوف) بالتعبير عن شخصيته في الفيلم على أفضل وجه.

* * *

إن العلاقة الغرامية الطويلة التي نشأت بين ديلون و(ميراي دارك) منذ ١٩٦٨ انتهت بشكل مفاجئ عندما وقع ديلون في غرام امرأة أخرى عام ١٩٨٢. فبعد علاقته مع (دارك) التي استمرت نحو أربع عشرة سنة من دون زواج، قرر ديلون إنهاء تلك العلاقة، فما كان من (ميراي دارك) إلا أن حزمت أمتعتها وغادرت منزل ديلون في الليلة ذاتها

التي أبلغها فيها بقراره. لكن الشيء الرائع فعلاً بين ديلون و(دارك) هو أن الانفصال بينهما لم ينته بالخصام ولم تتولد عنه أية مشاعر عدائية على الإطلاق. ففي مساء اليوم التالي، خرج "العاشقان السابقان" وتناولا العشاء معاً "كصديقين حميمين" وأمضيا أمسية لطيفة في أجواء ودية لا تشوبها شائبة. ثم تحولت العلاقة بينهما إلى صداقة هادئة، خصوصاً بعد إصابة (ميراي دارك) بمرض خبيث في فترة لاحقة.

لم تكن تلك المرأة الجديدة التي وقع ديلون في غرامها سوى الممثلة الفاتنة ورمز الإغراء على شاشة السينما الفرنسية (آن باريلو) التي مثلت أمامه في فيلم "*مخبأ الشرطي*" (١٩٨١). كانت (آن باريلو) في ربيعها الثالث والعشرين فقط عندما بدأت علاقتها مع ديلون الذي بلغ السابعة والأربعين حينذاك. وقد عاشت (باريلو) مع ديلون كعشيقة لثلاث سنوات.

* * *

بعد عمله الإخراجي الأول في فيلم "*مخبأ الشرطي*" (١٩٨١) أكد ديلون مقدرته على الإخراج السينمائي عام ١٩٨٣ بتصوير فيلم بوليسي آخر حقق إيرادات عالية على شباك التذاكر حمل عنوان "*المحارب*"، لكنه هذه المرة كان مشروعاً متكاملاً من إنجاز ديلون. فبالإضافة إلى إخراج الفيلم، تولى أيضاً عملية الإنتاج واشترك في كتابة السيناريو مع (كريستوفر فرانك) ولعب كالمعتاد الدور الرئيسي في هذا الفيلم الذي يُعدّ عملاً جيداً في مقاييس أفلام الإثارة والتشويق التقليدية الفرنسية. وقد أهدى المخرج والمنتج والسيناريست والنجم السينمائي آلان ديلون فيلم "*المحارب*" إلى المخرج (رينيه كليمان) إعجاباً وعرفاناً وتقديراً له على التعاون السابق الذي جمع بينهما في أعمال سابقة.

يتناول فيلم "*المحارب*" قصة لص بسيط يعمل بمفرده – "كذئب متوحد" – يدعى جاك دارني (ديلون) يدخل السجن بعد القبض عليه بتهمة السطو على محل مجوهرات وسلب محتوياته وقتل صاحب المحل أيضاً مع أن الشرطة لم تعثر على تلك المجوهرات المسروقة. يتم إخلاء سبيل جاك بموجب قرار عفو بعد أن يقضي ثماني سنوات في السجن وخصوصاً بعد أن تثبت براءته من جريمة قتل صاحب محل المجوهرات. يسارع جاك بالعودة إلى باريس ليأخذ تلك المجوهرات التي سلبها سابقاً ويلوذ بالفرار خارج فرنسا قبل أن يقع في أيدي الشرطة مرة ثانية وقبل أن تستولي العصابات المنافسة على تلك المجوهرات وخصوصاً أنها لن تتردد في القضاء عليه.

وفي تلك الأثناء يقيم جاك علاقة غرامية مع شابة حسناء تدعى ناتالي (آن باريلو – التي كانت عشيقة ديلون في الحياة الواقعية) وتكون هذه العلاقة بمثابة المؤشر إلى مستقبل أكثر إشراقاً من ماضيه الأسود. فأصدقاؤه المقربون يلاقون مصرعهم الواحد تلو الآخر في حين يتلكأ رئيس العصابة جينو روجييري (فرنسوا بيريير) بمساعدته. يدرك جاك أن الزمن قد تبدل وتبدلت معه نفوس معارفه وبرزت إلى الساحة مجموعة من المجرمين الخطرين الذين لا يتورعون عن ارتكاب أي شيء في سبيل الحصول على مطالبهم. كما يُذهل جاك لأن كل المحيطين به يلاقون حتفهم أيضاً وهذا يعني أن مفوض الشرطة روسيل (بيير موندي) يطارد جاك أيضاً من دون هوادة.

"*المحارب*" هو فيلم عن "المعركة" التي تدور بين إرادة الإنسان والأجيال، الجيل القديم المتمثل برئيس العصابة روجييري ومفوض الشرطة روسيل اللذين يحاولان الضغط على جاك بهدف الحصول على مجوهراته، لكن جاك الذكي يستغل هذين الرجلين لمصلحته؛ والجيل الجديد المتمثل برجال العصابات الناشئين بزعامة سوفا (جيرار هيرولد) الذي لايتردد في قتل جميع أصدقاء جاك ومعارفه كي يتمكن من محاصرة جاك وانتزاع الاستسلام منه وبالتالي الاستيلاء على المجوهرات.

لقد تألق ديلون – كما فعل في أفلامه السابقة – بأدائه دور "الذئب المتوحد والمنعزل" الذي يعمل بمفرده ويحصل على غنيمته وينال من خصومه بأعصاب باردة وهدوء مطلق وجسارة فريدة. وقد تعززت هذه الصورة في فيلمه "*المحارب*" من خلال تركيز جهود البطل على استقلاليته وحريته وعزمه على الوصول إلى غنيمته غير آبه بمن حوله، بل إنه لايتورع عن تسديد صفعة قوية إلى فتاته الجميلة عندما يشعر بأن الظروف تتطلب هذه القسوة.

(١٠)

ديلون وسينما الفن...

مع انحسار شعبية الأفلام البوليسية نسبياً في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات، حين بدأ ذلك النمط السينمائي يفقد بريقه المعتاد على الشاشة نتيجة ظهور حركة "الموجة الجديدة" في السينما الفرنسية، بدأت أفلام آلان ديلون أيضاً تتعثر نظراً لارتباط صورته بنمط الأفلام البوليسية وأفلام العصابات التي تألق فيها وتربع عرش الصدارة على شاشة السينما الفرنسية والأوروبية لسنوات طويلة شملت عقدي الستينيات والسبعينيات.

لعل السبب الرئيسي في انحسار شعبية أفلام ديلون إنما هو ظهور جيل جديد من المواهب الفنية من جهة، والشخصيات التي كانت أكثر واقعية من تلك التي جسدها في أفلامه البوليسية من جهة أخرى. وقد قال عنه المخرج الفرنسي (لوك بيسون): "لطالما أحاط بنا اسم آلان ديلون ... ولم يمض يوم واحد من دون أن أشاهده على الشاشة أو أسمع باسمه في السينما الفرنسية على مرّ السنين الطويلة ولو لم يظهر في أحد الأفلام... ولا يمكن لأي شخص أن يتجاهل عدد التحف والروائع السينمائية التي اشترك ديلون فيها، والتي تركت أثراً كبيراً في نفوس وأسلوب صانعي الأفلام في جميع أنحاء العالم، بمن فيهم أنا شخصياً".

ولكن بصرف النظر عن الارتباط الوثيق بين آلان ديلون وأفلام العصابات، فقد نجح أيضاً في أداء أدوار متنوعة ومختلفة اختلافاً كلياً عن ذلك النمط البوليسي في مراحل مبكرة من مهنته السينمائية. ومن هذه الأفلام التي شارك ديلون ببطولتها بنجاح ملحوظ ولاقى عن أدائه فيها استحسان الجمهور وثناء النقاد على المستوى العالمي: "*كريستين*" (١٩٥٨) و"*روكو وأخوته*" (١٩٦٠) و"*الكسوف*" (١٩٦٢) و"*قصص غير عادية*" (١٩٦٨) و"*السيد كلين*" (١٩٧٦).

كما حازت ثلاثة أفلام ظهر فيها ديلون في الفترة الممتدة بين نيسان ١٩٦٢ وأيار ١٩٦٣ على أرفع الجوائز العالمية حين فاز فيلم "*الكسوف*" للمخرج (أنتنيوني) بجائزة التحكيم الخاصة في مهرجان كان السينمائي بالإضافة إلى ترشيح لجائزة السعفة الذهبية، ثم فيلم "*الفهد*" للمخرج (فيسكونتي) الذي فاز بجائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان أيضاً، بينما فاز الفيلم الثالث "*الضربة الرابحة*" للمخرج (هنري فيرنويل) بالجائزة الأمريكية "إدغار آلان بو" (١٩٦٥) كأحسن فيلم أجنبي بالإضافة إلى ترشيح لجائزة "الكرة الذهبية" من الولايات المتحدة (١٩٦٥) كأفضل فيلم أجنبي أيضاً.

لاشك بأن هذا يدحض بعض الآراء المتطرفة التي اتهمت ديلون بالفشل نتيجة لضعف المواضيع المختارة لأفلامه التي صوّرها في مرحلة متقدمة من مسيرته الفنية ابتداءً من أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات. ومع ذلك وفي ظل تلك التبدلات، اضطر ديلون إلى تصوير أقل ما يمكن من تلك الأفلام البوليسية التي شكلت بداية انطلاقته في عالم التمثيل واتجه إلى سينما الفن. وقد أثمرت جهوده بالفعل وأثبت جدارته كممثل موهوب وقدير وبارع في أداء أدوار متنوعة بعيداً عن شخصية "الوغد" أو "القاتل المأجور"، وذلك حين ساهم في نجاح فيلم *قصة حب سوان*" الذي حصد جوائز دولية عديدة، بالإضافة إلى فوز آلان ديلون نفسه بجائزة سيزار الفرنسية (الموازية لجائزة الأوسكار) عام ١٩٨٥ كأفضل ممثل عن دوره في فيلم *قصتنا*".

قصة حب سوان" الصادر في عام ١٩٨٤ فيلم رومانسي تاريخي رائع مقتبس عن جزء من رواية الأديب (مارسيل براوست) الملحمية "البحث عن الزمن الضائع" قام بنقلها إلى الشاشة المخرج الألماني (فولكر شلوندورف)، بينما تعاون في كتابة السيناريو كل من (بيتر بروك) والسيناريست المبدع (جان كلود كاريير). لقد نال هذا الفيلم استحسان وثناء النقاد للبراعة في تصميم إنتاجه وتصويره الرائع بكاميرا (سفن نيكفيست) المعروف بتعاونه لسنوات طويلة مع صانع الأفلام (إنغمار بيرغمان) من جهة، بالإضافة إلى البراعة في الأداء المتقن الذي قدمه أبطال الفيلم من جهة ثانية، وهذا ما جعل *قصة حب سوان*" ينال ترشيحين لجائزة بافتا السينمائية عام ١٩٨٥، كان الترشيح الأول لجائزة أفضل فيلم أجنبي والترشيح الثاني لجائزة أفضل تصميم ملابس، ثم أحرز الفيلم جائزتين من جوائز سيزار الفرنسية (١٩٨٥) لأفضل تصميم إنتاج وأفضل تصميم ملابس.

لعب الأدوار الرئيسية في هذا الفيلم كل من (جيريمي أيرونز) و(أورنيلا موتي) كما شارك كل من آلان ديلون و(فاني آردان) في بطولة الفيلم. تدور أحداث *قصة حب سوان*" في باريس في أواخر القرن التاسع عشر بظهور الشاب المثقف والأنيق شارل سوان (جيريمي أيرونز) الذي يتوق للانضمام إلى الأوساط الاجتماعية الباريسية الراقية. ومع تصميمه وجهوده الحثيثة، يتمكن سوان من أن يصبح مع مرور الزمن واحداً من أفراد الطبقة الأرستقراطية في المجتمع الباريسي. يلتقي سوان في هذه الأجواء المخملية بالفاتنة أوديت دو كريسي (أورنيلا موتي)، وهي محظية من المحظيات التي يتهافت الأثرياء على معاشرتها، فيقع سوان في حبائلها ويهيم بها حباً ويقرر الزواج منها. لكن أصدقاء سوان الأوفياء يحذرونه من مغبة التعلق بتلك الغاوية بشكل جدي وعدم التورط بالارتباط بها رسمياً. لكن سوان المفتون بأوديت يتجاهل نصائح أصدقائه ويتزوج منها رغماً عن معارضة كل من حوله. ثم لا يلبث أن يدرك بأن رغبته نحو أوديت كانت مبنية على أساس شهوة جسدية بحتة وبأن علاقته الزوجية تفتقر إلى التقارب الروحي في ظل غياب المشاركة الوجدانية والتباعد العاطفي بينه وبين أوديت. تنعكس هذه العلاقة غير المتوازنة سلباً على وضع سوان الاجتماعي ولاتبدأ بمحو كل الجهود التي بذلها في البداية من أجل اكتساب مكانته المرموقة في المجتمع الباريسي فحسب، وإنما تعجّل بنسف كل أحلامه من أساسها.

أما آلان ديلون فيظهر في الفيلم بدور رجل أرستقراطي غندور في خريف العمر يدعى بارون دو شارلو. استطاع ديلون إضفاء لمسة كوميدية مؤثرة ورفيعة المستوى على هذه الشخصية بكل براعة أكد فيها مجدداً على موهبته في أداء أدوار متنوعة وجديدة لاترتبط بنمط أفلامه البوليسية التي أكسبته الشهرة لسنوات طويلة. يكون البارون شارلو مِثلياً وينظر بعين شهوة خبيثة إلى خادم وسيم يافع السن، لكن الفتى المسكين لايشاطره رغباته ونزواته الجنسية، ما يثير حنق شارلو الذي يتعامل بمنتهى الفظاظة والقسوة مع أي فتى يحاول مقاومة التودد

إليه. (لاقى ديلون كل الإعجاب والتقدير على براعته في أداء هذا الدور). كما تظهر (فاني آردان) بدور دوقة غورمانتيس المولعة بسوان والتي تنذره بأنه في حال تزوج من "تلك المخلوقة" أوديت، فلن تسمح باستقباله في منزلها أو في أي منزل آخر يستضيف الفعاليات الاجتماعية من طبقة الأرستقراطيين.

لقد تمكن ديلون وبكل جدارة من إضافة بعد فني جديد إلى براعته المتأصلة في تجسيد الشخصية "الرجولية" المفعمة بالحيوية والحياة وتفوّقه في أداء دور رجل العصابات، كما أن وسامته الاستثنائية جعلته مؤهلاً دوماً لتجسيد دور العاشق الحنون في الأفلام الرومانسية.

ظهر ديلون بعد ثلاثة شهور (في أيار ١٩٨٤) في الفيلم الرومانسي *قصتنا*" للمخرج (برتراند بلاير) بالدور الرئيسي الذي يصوّر حياة رجل يدير عملاً خاصاً في مجال السيارات تصل حياته الزوجية إلى شفير الهاوية، إلا أنها تتبدل كلياً عند التقائه بامرأة غريبة خلال رحلة يقوم بها على متن القطار المتجه إلى باريس.

ففي هذا الفيلم السريالي المحيّر، الذي يتأرجح في أحداثه بين الغرابة والتهكم بإيقاع بطيء، يلتقي روبرت أفرانش (ديلون)، وهو رجل متزوج في خريف العمر (كانت الشخصية متلائمة مع ديلون الذي بلغ عامه الخمسين لدى تصوير الفيلم)، بامرأة جميلة متزوجة أيضاً تدعى دوناتيين بوجيه (ناتالي باي) في رحلة بالقطار، وذلك حين تدخل دوناتيين مقصورة الدرجة الأولى التي يشغلها روبرت وتخبره بقصة امرأة ورجل يلتقيان لأول مرة أثناء سفرهما بالقطار وكيف ينتهي التعارف بينهما بقضاء ليلة واحدة فقط من الملذات والمتعة الحسية قبل أن يفترقا إلى الأبد. تنتهي قصة دوناتيين بتعارف حميم مع روبرت إلى حدّ مطارحة الغرام بين المحطات التي يتوقف فيها القطار.

تستأثر دوناتيين بوجيه باهتمام روبرت أفرانش وتستحوذ على تفكيره فيلحق بها مباشرة بعد وصول القطار إلى محطته الأخيرة، ويتوجه إلى منزلها الجبلي ولكن ليس بغرض قضاء ليلة واحدة فقط كالقصة التي روتها له، وإنما لقضاء ليالٍ عديدة ومديدة ينغمس فيها بالملذات وشرب المسكرات لدرجة تجعله يضرب بعرض الحائط واقعه الحياتي، فينسى زوجته وبيته وأسرته وعمله وكل ما يتعلق بالحياة العادية التي يعيشها في باريس ويسلك درباً مختلفاً تماماً في عيش لحظات طويلة من الطيش والتهور. لكن وجود روبرت بالقرب من دوناتيين لا يروق لها كثيراً ولاتريد أن يقع في غرامها بشكل جدّي. فمنذ خسارتها لحضانة أطفالها في قضية طلاقها من زوجها، تحاول دوناتيين ملء هذا الفراغ في حياتها والهروب من الوحدة القاتلة بالعيش على هواها فتعاشر كل الرجال الذين تلتقي بهم ضمن علاقات جنسية عابرة. لذلك لا يستطيع روبرت أو دوناتيين إقامة علاقة منطقية أو صادقة. وعندما يصف أحدهم دوناتيين بأنها عاهرة، لايوافقه روبرت الرأي ويعلق قائلاً "بالنسبة لي، أجدها امرأة ذات قلب كبير جداً". كما تتوالى سلسلة من المواقف واللحظات السريالية التي تنقل روبرت من حالة الافتتان إلى الاستحواذ ضمن فترات زمنية مبهمة. أما دوناتيين (ناتالي باي) فتتبدل شخصيتها عبر أحداث الفيلم لتظهر في صور ضبابية متعددة كبائعة هوى وزوجة وأمّ ومعلمة وزانية.

لكن هذا الغموض يتجلى في النهاية وتتكشف الحقائق أمام المشاهدين دفعة واحدة. فالمخرج (برتراند بلاير) عَمَدَ بالأساس إلى إدخال الحيرة في نفوس المشاهدين من خلال عرض الواقع البديل بطرائق ملتوية وصور منحرفة عن الحياة العادية. فالشخصيات تغير وتبدل صورتها الأصلية والمسافات والزمن يصبحان بلا معنى والغموض يكتنف العلاقات البشرية لتصبح غير واضحة وضبابية، ثم يلجأ (بلاير) إلى وضع النقاط على الحروف في اللحظات الأخيرة من الفيلم ليقشع الضباب الذي أغشى بصر المشاهدين عن رؤية الحقائق في أحداث الفيلم.

قصتنا" هو دراسة "غريبة" عن العلاقة بين الرجل والمرأة وقصة حب سريالية تبدو تركيبتها وكأنها سلسلة من الأحلام التي تتوالد من بعضها البعض، ما يجعل الفيلم يتنقل في عالم غرائبي عجيب حيث تبدو الأشياء في هذه القصة وكأنها غير مادية. فهناك بعض ركاب القطار الذين يصحون خلال الحلم ليدركوا بأنهم لا يحلمون. وفي خلفية بعض المشاهد الخارجية يكاد يكون صوت القطار مسموعاً وصورته مرئية في دلالة على أن روبرت لم يغادر القطار أبداً من الناحية المادية ولم يترجل منه إلا عند وصوله إلى باريس. فهناك تركيبة من شخصيات الأحلام الموازية للشخصيات الحقيقية.

قصتنا" هي قصة حب ملتوية لم تلاق إعجاب الكثيرين من المشاهدين والنقاد الذين رأوا أن خلفية أحداث الفيلم إنما يشوبها الخلل والكثير من العيوب. لكن الأداء الرائع جداً الذي قدّمه كل من ديلون و(ناتالي باي) ساهم في سدّ تلك الثغرات الواضحة في حبكة الفيلم ونال ديلون جائزة سيزار الفرنسية (١٩٨٥) كأحسن ممثل عن أدائه المتميز في *قصتنا*" الذي فاز أيضاً بجائزة أفضل سيناريو (برتراند بلاير) وآلان ديلون – الذي شارك في كتابة السيناريو. كما نال *قصتنا*" ترشيحين لجائزة أفضل مونتاج (كلودين ميرلين) وجائزة أفضل تصميم إنتاج (برنارد إيفيين).

لكن ديلون اتهم مهرجان كان السينمائي ووزير الثقافة الفرنسي آنذاك (جاك لانغ) بممارسة الضغوط السياسية لاستبعاد عرض الفيلم في مهرجان كان في ١٩٨٤، مدّعياً بأن المهرجان لم ينصفه بسبب ميوله السياسية اليمينية. فمن المعروف أن آلان ديلون "ديغولي" سياسياً، بمعنى أنه من أنصار تيّار اليمين، وقد تعرّض لنقد شديد بسبب تعاطفه وتأييده للسياسيين اليمينيين المتطرفين، أمثال (جان ماري لو بن) والجنرال الروسي (الكسندر ليبيد).

وعن تأييده لـ (جان ماري لو بن)، قال ديلون: "إنه أحد أصدقائي ... في الحقيقة إن (جان ماري لو بن) يشكل خطراً بالنسبة لباقي نظرائه السياسيين لأنه الوحيد بينهم الذي يتميز بالوفاء والإخلاص لبلاده. إنه يقول بصوت مرتفع ما يفكر فيه العديد في أعماقهم وما يحجم السياسيون الآخرون عن قوله، إما لأنهم ديماغوجيون جداً أو جبناء جداً. ولعل (لو بن) بكل أخطائه وحسناته الوحيد بين باقي السياسيين الذي يفكر بمصالح فرنسا قبل مصالحه الشخصية."

(١١)

خيبات أمل متلاحقة ...

لم تستمر علاقة ديلون بـ (آن باريلو) سوى ثلاث سنوات. فما إن انفصل عنها في ١٩٨٥ حتى قام بمصاحبة حسناء جديدة تدعى (كاترين بليني)، المولودة في ٥ آب ١٩٥٢، التي كانت متزوجة بطل سباق السيارات (ديدييه بيروني). كان ديلون على معرفة بـ (كاترين بليني) منذ أن كانت في الثامنة عشرة عندما كانت تعمل لدى مصمم الأزياء العالمي الشهير (غاي لاروش) الذي تولى تصميم بدلات وملابس آلان ديلون. وقد أخبر ديلون أحد أصدقائه أنه عندما التقى بها مجدداً بعد ثلاث سنوات من انفصاله عن (ميراي دارك) والفترة الفاصلة التي ارتبط فيها بـ (آن باريلو) شعر بأن الوضع يشبه سيارة الإسعاف التي تعثر على المشفى المطلوب !!. ولعل أكثر الصفات التي جذبت ديلون إلى (كاترين بليني) كانت تكمن في بساطتها وبراءتها وهدوئها وحيائها.

وفي مقابلة أجرتها مجلة "فرانس سوار" مع ديلون بعد إصدار فيلم "*شرف شرطي*" (١٩٨٥) عبّر ديلون عن عمق علاقته بـ (كاترين) التي اعتاد مناداتها بلقب (كيكي) وقال عنها: "مع أن (كيكي) لا تعرف شيئاً عن السينما إلا أنها تتمتع ببصيرة نافذة قادرة على أن تعكس رأي جمهور المشاهدين بأعمالي. فقد قرأت سيناريو *مخبأ الشرطي* قبل تصوير الفيلم ورأت أن مقتل عشيقتي في نهاية الفيلم سيبدو حزيناً للغاية.... وبالفعل قمنا بتعديل السيناريو".

* * *

أضاف ديلون أصنافاً أخرى إلى شركته التجارية الخاصة التي أسسها في ١٩٧٨ وبدأ نشاطه فيها بتسويق عطور نسائية ورجالية حملت ماركة "آلان ديلون". ومن الأصناف التجارية التي أضافها ساعات اليد والملابس والأثاث المكتبي والنظارات الشمسية والطبية والسجائر – سجلت مبيعات سجائر "آلان ديلون" أعلى أرقامها في كمبوديا – والشمبانيا والكونياك وغيرها من أصناف الخمور التي تحمل علامة "آلان ديلون" التجارية. وكانت جنيف مقراً لشركة أعماله المتخصصة بتوزيع وتصدير منتجات "آلان ديلون". وقد نقل ديلون إقامته إلى سويسرا، للالتفاف على الضرائب الفرنسية المرتفعة، وحصل أخيراً على الجنسية السويسرية بعد إقامته لمدة ١٧ سنة في جنيف.

ومن الطريف أن النظارات الشمسية التي تحمل علامة "آلان ديلون" التجارية لاقت شعبية واسعة جداً في هونغ كونغ بعد أن وضعها النجم السينمائي (تشو يَن فات) في فيلمه البوليسي "*غد أفضل*" (١٩٨٦) للمخرج (جون وو). وقد وجّه ديلون رسالة إلى الممثل (تشو يَن فات) شكره فيها على مساهمته في ترويج ماركة نظاراته الشمسية في هونغ كونغ. أما المخرج (جون وو) فهو من المعجبين بديلون وقد نشر مقالة عن فيلمي "*الرجل الساموراي*" و"*الدائرة الحمراء*" عبّر فيها عن إعجابه الكبير بأداء آلان ديلون.

وفي ١٩٨٤ وُصف آلان ديلون بالقسوة عندما لجأ إلى مقاضاة ولده (أنتوني) بسبب انتهاكه علامة "آلان ديلون" التجارية "آ.د"، وذلك حين أضاف (أنتوني) تلك الماركة المسجلة على بعض الملبوسات الجلدية التي أنتجها بنفسه من دون إذن والده الذي ثارت ثائرته ولم يتردد في رفع دعوى قضائية ضد (أنتوني) اتهمه فيها

بانتهاك حقوق علامته التجارية المسجلة من دون الحصول على الترخيص اللازم. وقد علق ديلون في مقابلة مع التلفزيون الفرنسي حول هذا الخلاف الذي نشب مع ابنه بقوله: "إنني أدرك مدى استياء (أنتوني) بسبب انفصالي عن والدته عندما كان صغيراً، لكنني أردت إعطاءه درساً أشد قسوة من التجربة التي مررت بها في طفولتي ... أردت أن أعلمه كيف يصبح أكثر نضجاً ويبدأ حياته الخاصة من دون الاعتماد على شهرة أبيه. في الحقيقة إنني فقدت (أنتوني) مذ بلغ عامه الثامن عشر. وربما كانت مشكلته أنه (أنتوني ديلون)".

فقد تعرض (أنتوني) للاعتقال عندما بلغ السادسة عشرة بسبب سرقة دراجة عادية، ثم أدخل السجن في فترة لاحقة بسبب سرقة سيارة، وتوالت فضائحه يوماً بعد يوم بصورة شغل فيها عناوين الصحف قبل أن يحترف التمثيل كأبيه. لكن (أنتوني ديلون) وجّه اهتمامه أخيراً إلى فن التمثيل وسجّل أول ظهور له على شاشة السينما في فيلم "*شوكة في القلب*" (١٩٨٦)، ثم تابع نشاطه وظهر في أفلام أخرى، ومنها "*غرباء في الليل*" (١٩٩٣) و"*هل أكذب عليك؟*" (١٩٩٧) و"*ارقصي معه*" (٢٠٠٧)، وغيرها من الأفلام والمسلسلات التلفزيونية بما في ذلك "*الأمير العربي*" (٢٠٠٠) و"*فينوس وأبولو*" (٢٠٠٥).

وبعد مرور سنوات عديدة على ذلك الخلاف بين ديلون و(أنتوني)، ذكر الأخير قائلاً: "لقد تفككت أسرتنا مذ كنت صغيراً ... لكن الغفران أمر لا مفرّ منه ... في الحقيقة إن علاقتي بوالدي لم تكن جيدة بما يكفي، ومازالت كذلك إلى يومنا هذا ... هكذا هي الحياة ... لم أتمكن من التواصل معه في يوم من الأيام على النحو المناسب ... لقد شعرت بأنني كبرت ونشأت بجانب رجل مجهول ولم أشعر بالرضا نحوه في حياتي ..!!".

* * *

سجّل آلان ديلون عودة جديدة إلى نمطه السينمائي المفضل في الفيلم البوليسي المثير "*شرف شرطي*" (١٩٨٥)، إخراج (خوسيه بنييرو) وإنتاج ديلون الذي كتب قصة الفيلم أيضاً واشترك مع (فريدريك فاجاردي) في كتابة السيناريو، بالإضافة إلى أداء دور البطولة وإنشاد أغنية جميلة بصوته لدى عرض قائمة الممثلين والعاملين بالفيلم. إن مشاعر المنتج والسيناريست والنجم آلان ديلون تتجسّد هنا في التعبير عن الفكرة الرئيسية التي يدور حولها هذا الفيلم البوليسي الذي يتناول موضوع "العدالة" التي تطبقها لجان الأمن الأهلية المؤلفة من المواطنين ممن يأخذون على عاتقهم مهمة توطيد النظام ومعاقبة المجرمين وبخاصة حين يعجز القانون عن ذلك.

بطل الفيلم دانييل برات (آلان ديلون) شرطي سابق كان من أفضل عناصر سلك الشرطة في جيله إلا أنه يستقيل من عمله بعد مقتل زوجته على يد بعض المسلحين المجهولين، ما يدفعه إلى الرحيل عن فرنسا حانقاً على منهجية نظام العدالة الذي يعجز عن إدانة قتلة زوجته. يتوجه دانييل إلى الساحل الإفريقي حيث يعيش في إحدى قرى الكونغو كمنفى طوعي بحثاً عن هدوء النفس وراحة البال ويكرس حياته لتربية ابنته ميلين (أوريل دوازان) ويمضي أوقات فراغه كما يحلو له إما في معاشرة النساء أو في لعب الورق. بعد مرور عشر سنوات على وجود دانييل وابنته ميلين في الكونغو، تضطر ميلين للعودة إلى فرنسا لمتابعة دراستها. لكن ميلين المسكينة تلاقي حتفها وسط عملية تهريب مخدرات تجري حولها بالصدفة. ثم يكتشف دانييل أن ابنته قد قتلت عمداً على يد أفراد لجان الأمن الأهلية المصممين على تطهير فرنسا من الناس غير المرغوب فيهم، أمثال الأحداث الجانحين – وهي الفئة التي ذهبت ضحيتها ابنة دانييل بسبب الاعتقاد الخاطئ أنها كانت من أولئك الجانحين – وكذلك تطهير فرنسا من أبناء شمال إفريقيا وتجار المخدرات.

عندما يكتشف الأب المفجوع أن حياة ابنته كانت ضحية تهمة باطلة، يفقد السيطرة على نفسه وتثور ثائرته ويقفل عائداً إلى فرنسا للانتقام من أجل مقتل ابنته البريئة مصمماً على تنفيذ القانون بطريقته الخاصة ويبدأ بتصفية أعضاء لجنة الأمن الأهلية الواحد تلو الآخر بطريقة وحشية حيث يلجأ إلى تشويههم قبل القضاء عليهم كي يشعروا بمرارة الألم الذي مزق حياته. ثم يكتشف بأن الشخص المسؤول عن الجرائم التي ترتكبها لجنة الأمن الأهلية ليس سوى أحد أصدقائه القدامى. بالطبع تكون العدالة "عمياء" وغير قادرة على الإيقاع بدانييل.

لقد أشار بعض النقاد إلى أن ديلون قد قدّم أفضل عروضه التمثيلية في هذا الفيلم، ومع أنه بلغ الخمسين من عمره إلا أن لياقته البدنية ارتقت بجدارة إلى مستوى المغامرات التي زخر بها *"شرف شرطي"*، بالإضافة إلى تنفيذ ديلون بنفسه العديد من لقطات المجازفة من دون اللجوء إلى ممثل بديل. على الرغم من نجاح الفيلم فنياً، إلا أنه لم يحرز نجاحاً مماثلاً على الصعيد التجاري.

مع التردّي الملحوظ في إيرادات أفلام آلان ديلون على شباك التذاكر وتراجع كثافة إنتاجاته السينمائية عمّا كانت عليه في العقدين السابقين، جاء فيلمه *"المَعبَر"* عام ١٩٨٦ ليتوّج سلسلة من الإخفاقات المتقطعة التي شهدتها شعبية أفلام ديلون حين لاقى فيلمه الجديد *"المَعبَر"* فشلاً مفاجئاً وغير متوقع على شباك التذاكر.

فيلم *"المَعبَر"* كان أول عمل إخراجي ينفذه (رينيه منزور) ولعب فيه ديلون دور البطولة وظهر إلى جانبه في هذا الفيلم الخيالي كل من (كريستين بواسون) و(جان جاك مورو). تناول الفيلم أغرب فكرة نقلت إلى الشاشة في تاريخ السينما حيث يُعرض "الموت" بشخصية لها صفات بشرية. يؤدي ديلون في هذا الفيلم دور المخرج السينمائي جان دياز الذي يعمل على صنع فيلم رسوم متحركة طويل يتناول العنف المتزايد بفعل الإنسان. يعيش دياز وحيداً مع ابنه ديفيد (آلان موسي) الذي لم يتجاوز عامه العاشر وذلك بعد رحيل زوجته كاترين (كريستين بواسون). يزداد حب دياز لصغيره مع مرور الأيام أكثر فأكثر وتنشأ بينهما صداقة جميلة جداً. يصطحب دياز ابنه ديفيد خلال العطلة المدرسية إلى رحلة لصيد السمك، لكن "الموت" الذي يظهر متجسداً بشخصية لها صفات بشرية يتابع تحركات البشر على الكرة الأرضية عبر شاشات المراقبة الخاصة به، يقع نظره على جان دياز ويُعجب بأعماله الفنية لدرجة تدفع بـ "الموت" إلى استغلال دياز من أجل تحقيق نواياه.

يتعرض دياز فجأة لحادث سيارة يودي بحياته، بينما يدخل ابنه الصغير ديفيد في غيبوبة. لكن يبدو أن "الموت" هو الذي تدبر ذلك الحادث ليلتقي وجهاً بوجه مع جان دياز المتوفى ويعقد معه صفقة يستطيع بموجبها أن يُبعث حياً إذا وافق على إنجاز فيلمه الكرتوني الذي بدأه منذ عشر سنوات وإلا فإنه سيقبض روح ابنه الصغير الذي عاد للعيش مع والدته كاترين. يوافق دياز على شروط "الموت" الابتزازية ويبرم معه الصفقة من دون أن يعرف أن "الموت" إنما يهدف إلى بث الحياة في أفكار دياز من خلال إنجاز ذلك الفيلم الكرتوني كي يستغله كوسيلة لإفناء الجنس البشري وهلاك الأرض. ثم يدرك دياز خطة "الموت" الجهنمية فينبش التراب كي يصل إلى "المَعبَر" الذي سينقله من الموت إلى الحياة، لكنه يقع في قبضة "الموت" الذي يجبره على العودة والبقاء في عداد الأموات بينما يتجه ليخطف روح ديفيد، فيحاول دياز منعه وتنشب بينهما معركة رهيبة تسفر عن قطع ذراع "الموت" وتصبح الصفقة بينهما لاغية ويتمكن دياز من اختراق "المعبَر" لينتقل من الموت إلى الحياة ويتجه مباشرة لتخريب فيلم الرسوم المتحركة، فيعطل بذلك برنامج "الموت" الذي يستهدف إبادة الأرض ومن عليها. ثم يلتئم الشمل بين دياز وولده ديفيد على شاطئ البحر ويضمه إلى صدره بكل حب وحنان.

بالرغم من غرابة فكرة فيلم *"المعبَر"*، إلا أنه قصة رائعة جداً عن حب أب لابنه الصغير، كما كان أداء ديلون في الفيلم استثنائياً في روعته. لكن يبدو أن الفيلم لم يتمكن من تلبية أذواق الكثيرين، ما أدى إلى فشله تجارياً وكان بذلك آخر فيلم من إنتاج شركة ديلون للإنتاج السينمائي "آديل برودكشنز". عندما أدرك ديلون أن نتائج أفلامه الأخيرة باتت مخيبة للآمال على شباك التذاكر، مقارنة بأعماله الصادرة في الستينيات والسبعينيات، وجّه اهتمامه إلى نشاطات ذات مردود أفضل فأسس شركة إنتاج سينمائي جديدة باسم "ليدا برودكشنز"، واستطاع بذلك إحراز بعض النجاحات المقبولة بما فيها عدد من الأفلام التي شارك في بطولتها أيضاً.

(١٢)

معشوق النساء...

إن وسامة آلان ديلون الاستثنائية التي يُضرب بها المثل في كل مكان تعرض فيه أفلامه قد جعلت منه رمزاً من رموز "الفتنة والإغواء" وأصبح معشوق النساء رقم واحد مع أعداد لاتعدّ ولاتحصى من المعجبات أينما كان، ما جعل تاريخه حافلاً بالمغامرات والعلاقات العاطفية.

فقد تناقلت بعض المجلات الفرنسية المتخصصة بتغطية أخبار وفضائح الفنانين قصة أفادت بأن ديلون فقد عفته عندما بلغ الثانية والعشرين مع راقصة التعري الفرنسية (ريتا كاديلاك) المولودة عام ١٩٣٦، والتي أدّت بعض الأدوار في أفلام للبالغين. كما أشارت تلك المجلات إلى أن ديلون كانت له عشيقات كثيرات، بمن فيهن الراقصة السوداء (مونيك) المعروفة بلقب (زيزي أيساتا) والممثلة الفرنسية ذات الأصل البولوني (بيلا دارفي)، أما الراقصة (لوفامور) التي كانت تعمل في ملهى "الحصان الجامح" فقد كانت إحدى عشيقاته بالسرّ. وأقام ديلون أيضاً علاقة غرامية عابرة مع الممثلة الأمريكية الجميلة (آنجي ديكنسون) خلال تصوير بعض أفلامه في هوليوود.

ولكن بصرف النظر عن علاقات آلان ديلون الغرامية الكثيرة العابرة التي لم يصل سوى جزء بسيط من تفصيلاتها إلى أقلام رجال الصحافة، يمكن حصر علاقاته "العلنية" مع الجنس اللطيف بدءاً من (رومي شنايدر) ومروراً بـ (نيكو) و(ناتالي ديلون) و(ميراي دارك) و(آن باريلو) ووصولاً إلى (كاترين بليني) التي انفصل عنها بعد علاقة دامت سنتين.

ففي ١٩٨٧ قام ديلون بأداء أغنية جميلة بعنوان "كما في السينما" من إنتاج شركته الخاصة "آديل ميوزيك". وأثناء تصوير هذه الأغنية في فيديو كليب، تعرّف إلى عارضة الأزياء الهولندية السابقة (روزالي فان بريمن) التي تنتمي إلى طبقة أرستقراطية في المجتمع الهولندي، وتم انتخابها ملكة جمال هولندة عام ١٩٨٦، علماً بأنها درست الحقوق قبل أن تصبح عارضة محترفة. تكلل التعارف بين النجم السينمائي ديلون وابنة

المجتمع المخملي (روزالي فان بريمن) بالزواج، وكانت بذلك الزوجة الثانية لآلان ديلون وأنجبت له بنتاً أطلق عليها اسم (أنوشكا) (١٩٩٠) وصبياً سُميّ على اسم والد ديلون (آلان فابيان) (١٩٩٤).

* * *

بعد غيابه عن الشاشة الفضية لمدة ثلاث سنوات متتالية، عاد آلان ديلون، الذي أصبح اسماً عريقاً بين السينمائيين الفرنسيين بصفته ممثلاً ومخرجاً ومنتجاً وسيناريست، عاد للظهور مجدداً في فيلم للمخرج (خوسيه بنييرو) حمل عنوان "*لاتوقظ شرطياً نائماً*" جرى إصداره في شهر كانون الأول ١٩٨٨، وشارك ديلون في إنتاجه فضلاً عن مشاركته في كتابة السيناريو مع المخرج (خوسيه بنييرو) ومؤلف الرواية (فرديريك فاجاردي).

يرصد هذا الفيلم البوليسي المتخم بالعنف والقتل قصة مجموعة من رجال الشرطة اليمينيين الذين يبدؤون تنفيذ "عدالة" لجان الأمن الأهلية التي تأخذ على عاتقها مهمة توطيد النظام ومعاقبة المجرمين وبخاصة حين يعجز القانون عن ذلك. (أصيب كاحل ديلون أثناء التصوير إصابة بليغة واستغرق تماثله للشفاء من تلك الإصابة شهراً كاملاً، ما سبب كارثة لشركاء ديلون في إنتاج الفيلم نتيجة التأخير الحاصل في إنجاز برنامج التصوير) .

يركز أفراد تلك المجموعة اهتمامهم على مكافحة تجار المخدرات بالدرجة الأولى وغيرهم من المجرمين الذين ينجحون في الإفلات من العقاب. مع أن مفتش الشرطة يوجين غريندل (آلان ديلون) يتفهم الأسباب التي تدفع بأفراد لجنة الأمن الأهلية إلى القيام بنشاطاتهم غير الرسمية، إلا أنه لايؤيد المغالاة في ردود فعلهم. ثم يدرك غريندل ضرورة وضع حدّ للأعمال والنشاطات المتطرفة التي ينفذها أولئك الأشخاص حين يغالون في تصرفاتهم ويبدؤون بمهاجمة زملائهم من سلك الشرطة لأسباب غير واضحة في ظل غياب أيديولوجية تحدد مهام اللجنة. يحاول غريندل معرفة المسؤول عن ارتكاب هذه الأعمال المتطرفة، فيكتشف تورط زميله في المهنة روجر سكاتي (ميشيل سيرول) ويضطر لمواجهته من أجل وقف الجرائم التي ترتكبها لجنة الأمن الأهلية بالأصالة عن القانون.

في الفترة الفاصلة بين إصدار فيلمي "*المَعبَر*" و"*لاتوقظ شرطياً نائماً*"، ظهر ديلون في مسلسل تلفزيوني قصير مؤلف من أربع حلقات بعنوان "*سينما*" في عام ١٩٨٨، إخراج (فيليب ليفيبفر) وسيناريو (جان بيير بترولاتشي). اشترك مع ديلون في بطولة هذا المسلسل كل من (إدويج فويلير) و(إنغريد هيلد) و(سيرجيو كاستلليتو) و(صاني ميلز). تناول موضوع هذا المسلسل محاولة جوليان ماندا (آلان ديلون) ردّ اعتبار والدته التي ذاع صيتها على المستوى العالمي خلال فترة الحرب العالمية الثانية كعازفة بيانو موهوبة جداً ثم جرى إدخالها إلى مصحّ عقلي بسبب فيلم سينمائي حمل عنوان "*بيانو برلين*" اتهمها بالتواطؤ مع النازيين.

يحاول جوليان ماندا إعادة تصوير ذلك الفيلم، إلا أن محاولاته تبوء بالفشل بسبب رفض المنتجين منحه حقوق إعادة صنع الفيلم. تبين حلقات هذا المسلسل أن جوليان ماندا نجم سينمائي لامع ويعيش حياة ترف ورخاء لكن هاجس صورة والدته مارغريت (إدويج فويلير) لايفارق مخيلته والمشكلة أنه لا يحتمل فكرة رؤيتها بصورة تعيسة في مستشفى الأمراض العقلية. بالرغم من مرور سنوات عديدة على وجود مارغريت في المصحّ، إلا أنها تعتقد بأنها مازالت تلك العازفة الشهيرة التي ذاع صيتها في كل مكان خلال عقد الثلاثينيات. لكن حياة جوليان تتبدل فجأة عندما يتناهى إلى علمه أن حقوق إعادة تصوير فيلم "*بيانو برلين*" معروضة للبيع بما أن الفيلم حقق نجاحاً منقطع النظير لدى إصداره لأول مرة عام ١٩٥٣. يبذل جوليان ما في وسعه لشراء حقوق الفيلم كي يتمكن من إعادة تصويره بطريقة تظهر حقيقة براءة والدته من التهمة الموجهة إليها في النسخة الأولى من الفيلم حول تواطئها المزعوم مع

النازيين. وبعد جهود حثيثة وإصرار شديد، يحصل جوليان على حقوق إعادة صنع الفيلم ثم يقع في حيرة حول اختيار الممثلة المناسبة القادرة على أداء دور والدته مارغريت في الفيلم ويستقر به الأمر في النهاية باختيار كارولين (صاني ميلز) لأداء الدور نظراً لكفاءتها من جهة وغرامه بها من جهة ثانية.

بعد النقد اللاذع الموجه لفيلمه *"المعبَر"* (١٩٨٦) الذي لم يلاق ترحيباً جماهيرياً مقبولاً، بدأت وتيرة مشاريع ديلون السينمائية المتلاحقة بالانخفاض بصورة ملحوظة وحاول اختيار مشاريع بحرّية أوسع بمنأى عن نمط الأفلام البوليسية التقليدية التي اعتاد تصويرها حين تعاون في عام ١٩٩٠ ولأول مرة في تاريخ مهنته السينمائية كلها مع المخرج (جان لوك غودارد) في فيلم بعنوان *"الموجة الجديدة"*.

لقد بدت فكرة التعاون بين ديلون والمخرج (غودارد) أول الأمر "كمزحة" نظراً للاختلاف الكلي بين الرجلين من النواحي الفنية ونمط أفلام كل منهما. لكن تم ترتيب لقاء بين ديلون و(غودارد) في بار أحد فنادق باريس لمناقشة مشروع الفيلم والدعوة التي وجهها المخرج (غودارد) إلى ديلون للظهور في فيلمه. من المعروف أن (غودارد) خجول بطبيعته ويشعر بالارتباك أمام الغرباء، وعلق ديلون على هذا اللقاء بقوله: "لقد قلت له كي يشعر بالارتياح وأخفف من حدّة توتره ... آه .. إنك مخرج عظيم وأنا سعيد جداً بلقائي بك ... فسألني متلعثماً: هل درست عرضي للظهور في الفيلم؟ ... هل قرأت السيناريو؟ ... فأجبته: .. بالطبع .. وأعجبت به جداً لأنه مثير للاهتمام ... مع أني في الحقيقة لم أفهم الجزء الأعظم من أفكار (غودارد) الواردة في السيناريو ..".

أما المخرج العبقري (غودارد) فكانت له نظرة مختلفة حول الموضوع. فعندما أسند دوراً لديلون في فيلمه *"الموجة الجديدة"* بشخصية شقيقين توأم في الظاهر لكنهما نقيضان كلياً في الباطن، فإنما ذلك يعود إلى النظرة الفنية الثاقبة التي يمتلكها المخرج الكبير (غودارد) حين استطاع بنفاذ بصيرته أن يرى ناحية جوهرية في "ديلون الممثل" تحتوي على النقيضين: فوسامة ديلون وسحره الذي لايُقاوم إنما يخفي وراءه عالماً داخلياً قاتماً وثائراً.

شكل فيلم المخرج المبدع – أو المخرج المؤلف – (جان لوك غودارد) *"الموجة الجديدة"* بداية مرحلة جديدة في مهنة المخرج (غودارد) التي صنع خلالها أفلاماً التفت فيها بأفكاره إلى أعماله السابقة. وفي هذه الأفلام الاستعادية طرح (غودارد) على نفسه السؤال فيما إذا كان باستطاعته الاستمرار كمخرج سينمائي وصانع أفلام في ظل الظروف والأوضاع المفروضة على صناعة السينما التجارية العالمية. أسند (غودارد) دور البطولة في فيلمه *"الموجة الجديدة"* إلى آلان ديلون، ألمع نجوم السينما الفرنسية والأوروبية في عقدي الستينيات والسبعينيات، حيث يؤدي هنا دوراً بشخصيتي توأم: روجر لينو وريتشارد لينو – عاد أحدهما إلى الحياة (أو لعله لم يفعل) بعد أن لاقى حتفه في حادث سيارة.

إن موضوع العودة من الموت إلى الحياة قد وفر الفرصة لـ (غودارد) للرجوع إلى التصوير الديني المجازي والاعتبارات الكهنوتية التي كانت محط اهتمامه في فيلمه *"مرحى يا ماري"* الصادر عام ١٩٨٣. أما بالنسبة للحوار في *"الموجة الجديدة"*، فيمكن النظر إليه ككشكول من مقاطع مقتبسة عن أعمال أدبية وفلسفية متنوعة (من دون تحديد أسماء تلك الأعمال أو مؤلفيها)، وهو الأسلوب الذي اعتمده (غودارد) في معظم أفلامه اللاحقة بعد تصوير فيلم *"الموجة الجديدة"*. ومع أن "قصة" الفيلم عسيرة على الفهم – إن لم يكن من الصعوبة بمكان فهم أبعادها ومضمونها، فضلاً عن عدم ترابط الجانب الروائي في الفيلم الذي يمكن استيعابه بصورة أفضل لو تمت صياغته في مقالة تناولت موضوع أو فكرة "العودة"، إلا أن الصوت والصورة في *"الموجة الجديدة"* علاوة على الإيقاع المتناغم في المونتاج الذي نفذه (غودارد) بنفسه تعد بمجملها عناصر كفيلة بسلب لبّ شريحة واسعة من جمهور المشاهدين.

فيلم *الموجة الجديدة*" هو محاولة لإعادة استكشاف "الشِعر" بكافة أشكاله وصوره ومحاولة لطرح بعض المفاهيم المجردة – العسيرة على الاستيعاب من المرة الأولى – ككيفية تصوير الجو العام للفيلم ... إمكانية تحديد الماضي بالاستعانة بالزمن الحاضر ... أو النظر إلى الحاضر من خلال الماضي ... وأين تكمن عناصر الحياة (الطبيعة والحب والأفكار ...) في الصورة التي تعكسها الشاشة الكبيرة .. وإمكانية الحديث والعمل برموز مضى على استعمالها نحو ثلاثة عقود من الزمن ... وما هي الدلائل التي تشير إلى وجود الفرصة الثانية بعد استهلاك الفرصة الأولى...

إن فيلم *الموجة الجديدة*"، كرواية (إرنست همنغواي) "على ضفاف النهر وما وراء الأشجار"، يمكن النظر إليه كفيلم عن الأحاسيس والحواس التي تجعلنا نسمع دقات القلب بين حفيف أوراق الشجر، وتعبير عن المشاعر الكامنة في أعماق رجل بلغ خريف العمر وعلاقته مع ذاته إثر تعرضه لحادث سيارة مميت على أحد طرقات الريف وسط أوروبا حيث يعيش المخرج (غودارد) في ظل مناظر طبيعة الريف الخلابة التي تذوق جمالها منذ أن صوّر فيلمه *اللاهث*".

لقد نال (جان لوك غودارد) ترشيحاً لجائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان السينمائي (١٩٩٠) عن فيلمه *الموجة الجديدة*"، بالإضافة إلى ترشيح آخر لجائزة السينما الأوروبية (١٩٩٠) كأفضل مخرج، وترشيح ثالث لجائزة سيزار الفرنسية (١٩٩١) لأفضل صوت.

* * *

اشترى ديلون منزلاً فاخراً في جنيف وأعلن أنه يريد تحقيق حلمه في العيش مع أسرته بعيداً عن ضوضاء باريس. وبالفعل فإن نشاط ديلون الفني تراجع بعد زواجه من (روزالي) التي رُزق منها ببنت وصبي، وعلق على ذلك حينها بقوله: "أشعر بالإرهاق من فرط العمل .. وأشعر بأن الفوضى تحيط بي من كل جانب ... أريد التوقف عن العمل ... أريد الاستراحة وأريد العيش مع أسرتي بسعادة وهناء".

ولكن قبل الاستقرار في جنيف للاستمتاع بتلك الحياة الهادئة التي يتوق إليها بعيداً عن استوديوهات التصوير، تولى ديلون إنتاج مشروع سينمائي للمخرج (جيل بيات) في ١٩٩٠ حمل عنوان *آلة الرقص*". كما اشترك ديلون في كتابة سيناريو هذا الفيلم بالتعاون مع (مارك سيرونه) و(ديدييه دوكوان)، وأدى فيه دور البطولة الرئيسي مع (كلود براسور) و(باتريك دوبون) و(تونيا كينزجر).

لعب ديلون في *آلة الرقص*" دور راقص سابق مشهور جداً يدعى آلان وولف تربّع على عرش عالم الرقص في يوم من الأيام ثم اضطر لاعتزال المهنة بعد إصابة أدّت إلى إيذائه جسدياً فتحوّل إلى معلم في فن الرقص وبدأ بتدريب المواهب الشابة التي تطمح إلى احتراف الرقص كمهنة فنية. بالرغم من قسوة القلب التي يعامل بها آلان وولف (ديلون) تلاميذه وإلحاحه على تحقيق الكمال المطلق في نتائج التدريب، إلا أنه يسلب لبّ طالباته الحسناوات اللواتي يصل الحال ببعضهن إلى كآبة الانتحار حين يلجأ إلى استبعاد غير الموهوبات منهن وفصلهن من الاستوديو لدرجة تجعل إحدى تلك الطالبات تستمر في الرقص أمام نافذة منزله إلى أن تلفظ أنفاسها الأخيرة. حين يزداد عدد الوفيات بين طالبات المعلم آلان وولف، يضطر مفتش الشرطة ميشيل إيبارفيه (كلود براسور) إلى فتح تحقيق حول القضية وتتبادر إلى ذهنه الأسئلة فيما إذا كان معلم الرقص آلان وولف ببساطة يكره النساء إلى حدّ يدفعهن إلى الانتحار، أم أنه يتعمد حصد أرواح ضحاياه من الفتيات.

لقد أدى ديلون في *آلة الرقص*" دور معلم الرقص (آلان وولف) ببراعة لا تثير الإعجاب فحسب، وإنما تبرز صورة آلان ديلون كممثل عظيم يتقن فن التمثيل إلى درجة الإبداع في أدائه أدواراً مختلفة منذ ستينيات القرن العشرين، تنوعت بين الوغد واللص والقاتل المأجور والعاشق والفنان. من جهة ثانية، كان الاسم (آلان وولف) مثالياً وملائماً لشخصية ديلون في حياته الواقعية (فكلمة "وولف" بالإنكليزية تعني "الذئب") بما أن صفة "الذئب المتوحد" أو "الذئب المنعزل" لازمت ديلون كفرد وكممثل وكفنان متميز في عالم السينما.

وينسب البعض هذه "الانعزالية" في شخصية ديلون إلى تواضعه في الكثير من شؤون حياته الشخصية، بل إنه لايحبذ الحديث عن السينما أو عن أفلامه في حياته الاجتماعية. ففي حفل عيد ميلاده السابع والخمسين في ٨ تشرين الثاني ١٩٩٢ أعلن أنه لا يحبذ الاحتفال بمناسبة عيد ميلاده، وخصوصاً أنه يحب تقديم الهدايا لا استلامها. ففي ١٩٩٠ وقبل اقتراب موعد عيد ميلاده دخل المستشفى لإجراء بعض الفحوصات الطبية وقال إن المستشفى كان المكان المثالي، فلا اتصالات تهنئة من الأقارب أو الأصدقاء ولا باقات زهور أو هدايا .. وإذا اضطر الأمر، فإن وجود عشرة أشخاص يعد كافياً برأيه، وهذا ما تحقق في عيد ميلاده الخمسين حين اقتصر الحضور في هذه المناسبة على والدته وبعض الأصدقاء المقربين وكان المجموع ١٢ شخصاً.

(١٣)

عودة كازانوفا...

بعد غياب استمر سنتين تقريباً، عاد النجم الكبير آلان ديلون عام ١٩٩٢ على نحو مفاجئ وغير متوقع أبداً ليلعب دور البطولة في فيلم حمل عنواناً مشابهاً لعودة ديلون إلى الشاشة الكبيرة: "*عودة كازانوفا*". "*عودة كازانوفا*" فيلم تاريخي رومانسي لطيف مقتبس عن رواية للكاتب (آرثر شنيتزلر) وقام بإخراجه (إدوارد نيرمان) بينما كتب سيناريو الفيلم (جان كلود كاريير) وشارك آلان ديلون في إنتاجه.

إن "كازانوفا" السينما الفرنسية كان محاولة لتقديم زير النساء والعاشق المجنون (كازانوفا) بحلة مختلفة تصوّره وقد خابت بطولاته وغادرته وسامته بعد أن بلغ عقده الخامس وقد خانته حيلته في إغواء الفتيات وغزا الشيب رأسه وما عاد ذاك الشاب الساحر بطلعته ولباقة حديثه. فإليه كان يلجأ متعلماً كل عاشق عاجز عن الحديث الجريء. لكنه كازانوفا ذلك المغامر الذي تسبقه سمعته مثل فارس أو شاعر نبيل إلى أي مكان يحط فيه، متنقلا كضيف مرغوب ومحتفى به من قبل الجميع، وذلك بعد أن توارت حياته الماضية في موطنه الأصلي في البندقية بإيطاليا. لقد كان "كازانوفا" السينما الفرنسية متجاوراً مع (كازانوفا آخر) كان المخرج (فلليني) – عبقري السينما الإيطالية – قد قدّمه سابقاً برؤية خاصة تنسجم مع تصوره للسينما.

يعيد فيلم "*عودة كازانوفا*" إلى الأذهان قصة أشهر زير نساء عرفه العالم في القرن الثامن عشر، ويتابع الفيلم رغبة كازانوفا بالعودة إلى موطنه في مدينة البندقية ومحاولاته الرامية إلى استمالة حسناء جميلة لا تعيره أي اهتمام.

لم يتوغل الفيلم كثيراً في تقصي أسرار مغامرات كازانوفا أو في تفسير طبيعة قلقه الوجودي أو عبثه المتأصل، وإنما اكتفى بالوقوف عند أجزاء من سيرة حياته التي طرحها عبر مشاهد سريعة ولكن بإيقاع هادئ عرضت شيئاً عن أيامه المتعثرة مع فتاة طموحة بشكل غير اعتيادي، عجزت لباقته المدهشة في استمالتها بعيداً عن اهتماماتها العلمية والفنية، لذلك صعب عليه وضعها في مخيلته كموضوع جنسي يسهل نيله. وكما هو معروف من النادر أن يتساءل كازانوفا فيما إذا كانت تلك رغبة صادقة تستحق المغامرة.

يجد كازانوفا (آلان ديلون) نفسه هائماً بلا هدف في جنوب فرنسا وبصحبته خادمه الوفي كاميل (فابريس لوتشيني) الذي كان بمثابة الظل اللصيق به – مثلما هو الحال في معظم شخصيات الأدب الكلاسيكي القديم (سانشو خادم ومرافق دون كيشوت) وكأن الأمر بتكراره الملحوظ إشارة دالة إلى ثنائية ملازمة تبرز مسألة الذات وظلها. كما يشكل كاميل العنصر الكوميدي الرئيسي في الفيلم والممهد لأفعال (الشخصية – كازانوفا) وكاتم أسرارها وأول المتضررين بمشكلاتها، لكنه على الدوام صديق وفيّ وظل تابع وهو الصوت الراوي لأحداث الفيلم من موقعه المؤثر. ولكن عندما يحلّ به التعب وتصبح جيوبه خاوية من المال، يتوق العاشق الأسطوري وزير النساء الشهير للعودة إلى مسقط رأسه في البندقية، إلا أنه يضطر للحصول على إذن خطي من السلطات الإيطالية الساخطة منه أصلاً كي يتسنى له العودة بصورة شرعية آمنة. وذات يوم يلتقي كازانوفا بصديقه القديم أوليفو (جيل أربونا) الذي يوجه إليه الدعوة للمكوث في منزله الريفي. يقبل كازانوفا تلك الدعوة بكل سرور إلا أنه يفاجأ حين يدرك أن أميلي (داليا بوكاردو)، إحدى خليلاته السابقات، هي زوجة صديقه أوليفو. تحاول أميلي إشعال نار الغرام في صدر عشيقها السابق الذي تنتظر اللقاء به مجدداً منذ أكثر من عشرين سنة، في حين ينصرف اهتمام كازانوفا إلى الشابة الفاتنة ماركولينا (إيلسا لونجيني)، ابنة شقيق أوليفو، التي تتمتع بذكاء مميز وأسلوب رفيع في التعامل مع من حولها بالإضافة طبعاً إلى جمالها الساحر.

من الواضح أن زير النساء الذي بلغ الخمسين لا يأبه لفارق السن الكبير مع ماركولينا التي يتوق الجميع للتقرّب منها والتودد إليها، ويحاول كازانوفا طبعاً الفوز بها كآخر "طريدة" عبر تاريخه الحافل بالنساء والشهوات والملذات. لكن كازانوفا يشعر بصدمة قوية ويُصاب بالذهول عندما يجد أنها لا تستجيب لمبادراته ولا تعيره أي اهتمام ولا ترى فيه ما يستحق فكرة إقامة علاقة معه، لاسيما أنها منحت قلبها لتوها إلى الجندي الشاب والمقدام لورينزي (فاديك ستانزاك) الذي يحاول بدوره التفوق على خبرة كازانوفا الأسطورية مع الجنس اللطيف.

من النادر أن يلاقي كازانوفا إعراضاً أو مهانة من النساء التي وقع عليهن اختياره، وإن حدث وعارضت واحدة منهن غزله – مثلما فعلت ماركولينا – فنجده وقد التجأ إلى الحيلة. وفي الحيلة تحديداً تظهر قدراته الذاتية الحقيقية على التحدي والمراوغة. أما تلك الحيل الجميلة فهي ذخيرة خياله المتقد، ولا يمكن لها – بحال من الأحوال– أن تستنفد لأن حياته ببساطة تبدأ مع كل مغامرة جديدة...

لقد حقق ديلون نجاحاً ملموساً ولاقى كل ترحيب في تغيير الصورة النمطية "الرجولية" المتمثلة في دور الوغد واللص والقاتل المأجور أو مفتش الشرطة الصارم التي لازمت شخصيته لسنوات طويلة وذلك بأدائه الرائع لدور العاشق الأسطوري في "*عودة كازانوفا*" لاسيما بعد سلسلة من خيبات الأمل والمشاريع السينمائية الخجولة التي ظهر فيها في أواخر الثمانينيات. لذلك يمكن بسهولة اكتشاف أوجه التشابه بين ذبول شهرة العاشق الإيطالي الشهير كازانوفا، والنجم الفرنسي الكبير الذي ذاع صيته عالمياً على كل لسان خلال عقدي الستينيات والسبعينيات، ثم تقدّم

بـه السن ليرمـي بظلالـه القاتمـة علـى نجوميتـه الحافلـة بالأمجاد والشـهرة الواسـعة. لقد رأى العديد من النقاد أن أفضـل أيام آلان ديلون كانت قد ولت حين صوّر فيلم "*عودة كازانوفا*"، إلا أنـه تمكن من خـلال إدراكه لواقعه أن يقدّم أداءً جديراً بالثناء والتقدير، معبّراً بواسطته عن مأساة إنسان يفيق ببطء على حقيقة تجاوزه عهد العنفوان أمام منافسة جيل الشباب الجديد. لكن يبدو أن ديلون – شأنه كشأن كازانوفا – تحدّى هذه النظرة وكان – كشخصية كازانوفا في الفيلم – غير آبه بموضوع "تقدّم السن" واستطاعت صورته أن تهيمن على الفيلم بكل براعة وعفوية من خلال تجسيده لـ (كازانوفا) بتمكّن وحبّ للشخصية ذاتها. إن (كازانوفا) ليس شخصية سهلة يمكن تقليدها بسـهولة. ففيها تتجسّد كل الطموحات التي تنسجم مع إبداع يحققه رجال يمتلكون عبقرية فذة في الحصول على مبتغاهم لينالوا إعجاب الناس، إنْ بحدة مواهبهم أو ببراعة أسلوبهم.

نال "*عودة كازانوفا*" ترشيحاً لجائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان السينمائي (١٩٩٢) لأحسن مخرج (إدوارد نيرمان)، بالإضافة إلى ترشيح لجائزة سيزار الفرنسية (١٩٩٣) لأفضل ممثل مساعد (فابريس لوتشيني).

* * *

في عام ١٩٩٣ شارك آلان ديلون ببطولة وكتابة سيناريو فيلم "*جريمة*"، وهو فيلم بوليسي استعاد به المخرج (جاك ديراي) زخم السيناريو المتقن الذي ساد السينما الفرنسية قبل ظهور حركة "الموجة الجديدة". لذلك وبصرف النظر عن صورة الفيلم الملونة، فإن "*جريمة*" سجل عودة قوية إلى سينما الأربعينيات. تدور أحداث هذا الفيلم في ليلة واحدة فقط على امتداد ثماني ساعات من العاشرة مساءً إلى السادسة من صباح اليوم التالي حيث تدور تلك الأحداث في مكان واحد تقريباً داخل شقة رجل مليونير يعيش في مدينة ليون الفرنسية.

يرصد الفيلم قصة خلاف ينشب بين رجلين، تستأثر المواجهة بينهما باهتمام جمهور المشاهدين من بداية الفيلم إلى نهايته داخل هذا العالم المغلق في الشقة الفاخرة التي تعدّ جزءاً من اللعبة ذاتها والتي تتكشف تدريجياً من خلال إيراد أحداث ومشاهد معقدة وقعت في زمن سابق. يلعب آلان ديلون دور الرجل الأول في تلك المواجهة بشخصية المحامي الشهير شارل دوناند أمام موكله المليونير فريدريك شابلان تورفيل (مانويل بلانك) الذي يصغره بنحو عشرين سنة. يحاول المحامي دوناند طوال تلك الليلة كشف الملابسات حول مقتل والدي فريدريك: هل اقترفت يدا فريدريك تلك الجريمة المروعة؟ ... هل كان فريدريك رجلاً متشائماً وعنيفاً وفاقداً لحس المسؤولية الأخلاقية؟ ... أم إنه لم يرتكب هذه الجريمة بالأصل، لأنه ربما كان دمث الأخلاق ويعيش في عالم شاعري غريب؟ ... ثم يطرح الفيلم بطريقة غير مباشرة تساؤلاً حول هدف ودوافع المحامي دوناند نفسه: هل يبحث دوناند عن الحقيقة والعدالة فقط؟ وماهو السبب الذي جعله يشعر شيئاً فشيئاً بعاطفة أبوية نحو فريدريك؟ إشارات استفهام كثيرة وعديدة تتوالى خلال الساعات الثماني ... ومع بزوغ خيوط الفجر الأولى ينتهي الكابوس ويكتشف دوناند الحقيقة ... حقيقة غير متوقعة. لكن الأمر المثير للدهشة هو أن هذه الحقيقة تتحول إلى صلة متينة تربطه بفريدريك إلى الأبد...

بدأ ظهور آلان ديلون على الشاشة الكبيرة ينحسر تدريجياً خلال التسعينيات عندما ركّز اهتمامه على مشاريع الأعمال والتجارة ولم يقف مجدداً أمام الكاميرا إلا عام ١٩٩٤ في فيلم "*الدبّ الدمية*" لمخرجه المفضل (جاك ديراي)، وسجل هذا الفيلم التعاون الأخير بين ديلون والمخرج (ديراي) في سلسلة طويلة بلغت ثمانية أفلام ناجحة بكل المقاييس. فقد توقف تقريباً نشاط المخرج وكاتب السيناريو الفرنسي (جاك ديراي) – الذي كان يُلقب باسم "هيتشكوك

فرنسا" لما امتازت به أفلامه من التشويق والإثارة – توقف بعد معاناة طويلة من مرض خبيث، ثم توفي في التاسع من آب ٢٠٠٣ .

"*الدبّ الدمية*" فيلم من أفلام الإثارة والتشويق النفسانية منقول عن رواية للكاتب (جورج سيمنون)، لعب فيه آلان ديلون دور البطولة بدور طبيب ناجح متخصص بالأمراض النسائية والتوليد يدعى جان ريفيير. مع أن الدكتور جان ريفيير ذائع الصيت ومحترم ولديه عيادة تخصصية في بروكسل، إلا أنه رجل فاسق لا يتورع عن خيانة زوجته كلما سنحت له الفرصة. لكن عمله الناجح وانغماسه بالملذات وحياة الترف التي يعيشها تتبدل كلها فجأة عندما يتلقى تهديداً بالقتل من رجل مجهول عن طريق الهاتف يخبره بأنه "مذنب" ويهدده بالانتقام قتلاً، ثم يرسل له دمية بهيئة "دبّ" غامضة كمفتاح لحل اللغز فيحاول الطبيب معرفة التهمة الموجهة إليه ويكتشف بأنه مسؤول عن حادثتي وفاة ارتكبهما بنفسه من دون قصد. يتوقف جان ريفيير عن الجري وراء النساء وعن حياة الفسق والفجور ويعود أدراجه إلى زوجته وأسرته ثم ينتهي الفيلم بغير الطريقة الهوليوودية المألوفة.

عاد آلان ديلون للظهور ثانية في عام ١٩٩٥ ولكن كضيف شرف هذه المرة مع كوكبة من نجوم السينما في فيلم رائع بعنوان "*مئة ليلة وليلة*" (أو "*مئة ليلة وليلة مع سيمون سينما*") للمخرجة الفرنسية القديرة (أنييس فاردا) التي كتبت السيناريو أيضاً. لايُعدّ هذا الفيلم الفريد بنوعه عرفاناً وتقديراً لصناعة السينما بمفهومها العام بقدر ما هو "رسالة حب" موجهة من (فاردا) إلى السينما. وشارك آلان ديلون في الظهور بهذا الفيلم مع لفيف من كبار نجوم الشاشة الفضية العالميين كضيوف شرف، بمن فيهم (جان بول بلمندو) و(كاترين دونوف) و(جينا لولو بريجيدا) و(روبرت دونيرو) وغيرهم.

تركز قصة الفيلم على ذكريات ورؤى السينمائي العريق والمخضرم سيمون سينما (يؤدي الدور الممثل الفرنسي القدير ميشيل بيكولي الذي استخدم شعراً مستعاراً أشقر لزوم الشخصية التي يجسدها) حول صناعة الأفلام، مستعرضاً بذلك تاريخ وتراث السينما – كما يعرض الفيلم مقاطع مختارة من روائع وتحف السينما العالمية.

يعيش سيمون سينما الثري الذي بلغ عامه المئة في قصر فاخر يزخر بسجلات وقطع تذكارية عن كل ما يمت بصلة للفن السابع. ولكن عندما تبدأ ذاكرة سيمون تخونه في استرجاع ذكرياته ومعرفته حول السينما، يلجأ إلى استخدام طالبة تدرس فن السينما تدعى كاميل (جولي غاييت) لتعمل لديه كسكرتيرة تساعده على إنعاش ذاكرته فيما يتعلق بالتفاصيل المهمة في عالم السينما وذلك من خلال تدوين ملاحظاته وتسجيل مذكراته وتجاربه في صناعة الأفلام من جهة، وتسرد على مسامعه قصص كل الأفلام التي شاهدتها أو قرأت عنها من جهة أخرى. تتردد كاميل على منزل سيمون العجوز لأداء هذه المهمة كل يوم مرة واحدة ولفترة تمتد على "مئة ويوم واحد".

يمضي سيمون معظم أوقاته مع صديقه النجم الإيطالي الشهير (مارتشيللو ماستروياني). ثم يأتي لزيارة سيمون عدد كبير من أشهر الممثلات والممثلين العالميين (بشخصياتهم الحقيقية) وفاءً وإجلالاً لهذا السينمائي الأسطوري. وتضم لائحة الفنانين الزائرين أسماء عديدة، أمثال آلان ديلون و(جان بول بلمندو) و(كاترين دونوف) و(روبرت دونيرو) و(هاريسون فورد) و(جينا لولو بريجيدا) و(جين مورو) و(فاني آردان) وغيرهم.

كما يأتي لزيارة سيمون بعض طلاب السينما الناشئين الذين يأتون لامحبة أو تقديراً لسيمون سينما وإنما بقصد الحصول على جزء من ثروته لاستثمارها في إنجاز مشاريعهم السينمائية المطلوبة في مقرراتهم الدراسية، أو استغلالها في تحقيق أحلامهم المستقبلية. يظهر بين هؤلاء الناشئين شاب يدعى ميكا (ماثيو ديمي) الذي يعمل

كمساعد منتج ويطمح لأن يصبح مخرجاً سينمائياً معروفاً . و لا تمضي فترة طويلة حتى تنشأ علاقة غرامية بين ميكا وكاميل، التي تبدأ بإعداد مكيدة تستطيع بوساطتها الحصول على ثروة العجوز سيمون فتستدعي أحد أصدقائها ليدّعي بأنه من ورثة سيمون الشرعيين الذي كان غائباً عن البلاد لفترة طويلة ويأتي ليطالب بحقه من الثروة الكبيرة.

تنقسم حبكة "*مئة ليلة وليلة*" إلى قسمين: ذكريات سيمون سينما العجوز، وحياة الجيل الصاعد بحيث يتم سرد القصتين بالتوازي إلى أن تلتقيا في نقطة واحدة بنهاية الفيلم عندما يلعب العجوز سيمون دوراً في فيلم من إنتاج الطلبة الشباب. إن "*مئة ليلة وليلة*" فيلم رائع يشبه في قصته وأحداثه "حلماً" جميلاً أكثر من كونه فيلماً سينمائياً تقليدياً وكأنه حلم من أحلام عبقري السينما الإيطالية (فديريكو فيلليني)، وهذا ما يجعل "*مئة ليلة وليلة*" عملاً معقداً عسيراً على الفهم لغير عشاق السينما. إن فكرة الفيلم الفريدة ونجومه الكبار وأسلوب إخراجه المتقن جعله جديراً بنيل ترشيح لجائزة الدب الذهبي لأفضل إخراج (أنييس فاردا) من مهرجان برلين السينمائي الدولي عام ١٩٩٥.

* * *

بعد ثلاثين سنة تقريباً على المسرحية الثانية "*سحابة رملية*" (١٩٦٨) التي لعب فيها ديلون دور البطولة (المسرحية الأولى *للأسف إنها عاهرة*" ١٩٦١) صعد ديلون خشبة المسرح للمرة الثالثة عام ١٩٩٦ في بطولة مسرحية "*تغييرات مبهَمة*" لـ (إيريك إيمانويل شميدت) على مسرح "ماريني" بباريس، وشاركه في البطولة الممثل العريق (فرنسيس أوستير). وقد حضر افتتاح العرض الأول لهذه المسرحية في ٧ تشرين الأول حشد كبير من الفنانين وأصدقاء ديلون، بمن فيهم (إدويج فويلير) و(ميراي دارك) و(جان بول بلمندو) وغيرهم، بالإضافة إلى زوجته (روزالي فان بريمن).

وفي العرض السابع والثلاثين في ٨ تشرين الثاني، أعدّت (روزالي) الترتيبات اللازمة للاحتفال بعيد ميلاد ديلون الواحد والستين من دون علمه، وذلك بعد إسدال الستارة حيث بدأ الجمهور بترديد لحن "عيد ميلاد سعيد .." احتفاء بعيد ميلاد نجمهم المحبوب، ثم صعدت ابنته (أنوشكا) وابنه (آلان فابيان) خشبة المسرح وقدّما لوالدهما باقة من الزهور بهذه المناسبة، فلم يتمالك ديلون نفسه من ذرف دموع الفرحة والحب والحنان وضمّ طفليه إلى صدره لفترة طويلة وسط تصفيق وهتاف وغناء الحضور. وقال ديلون لاحقاً عن تلك الأمسية: "لقد كان هذا الاحتفال من أسعد اللحظات في حياتي كلها... وستبقى هذه الذكرى الجميلة معي ما دمت حياً ..!!.".

في تلك الفترة شاعت أقاويل كثيرة عن الخلاف القائم بين ديلون وابنه (أنتوني) من زوجته السابقة (ناتالي ديلون) حول قضية انتهاك (أنتوني) لعلامة "آلان ديلون" التجارية "آ.د" من دون إذن والده، حيث نقل البعض عن لسان ديلون أنه سيحرم (أنتوني) من الميراث وأن ثروته كلها ستكون من نصيب ولديه من (روزالي فان بريمن)، (آلان فابيان) و(أنوشكا). ولاشك بأن تهديداً كهذا كان له وقع كبير على نفس (أنتوني)، خصوصاً أن ثروة ديلون في تلك الفترة كانت تقدر بستة عشر مليون يورو (أي أكثر من عشرين مليون دولار تقريباً). لكن هذا الموقف تبدل لاحقاً عندما عادت المياه إلى مجاريها بين الأب وابنه.

قام آلان ديلون في ذلك العام (١٩٩٦) برحلة قصيرة إلى موسكو تلبية للدعوة الموجهة إليه من صديقه الجنرال والسياسي (الكسندر ليبيد) من أجل مؤازرته في حملته الانتخابية لمنصب رئيس الاتحاد الروسي، نظراً للشعبية الواسعة التي يتمتع بها ديلون بين جمهور السينما الروسي. ومعلوم أن ديلون الذي ينتمي إلى التيار "الديغولي" السياسي كان قد تعرّض لانتقاد شديد فيما سبق بسبب تأييده للسياسيين اليمينيين المتطرفين، أمثال السياسي الفرنسي

(جان ماري لو بن) والصداقة التي تربطه بالجنرال الروسي (الكسندر ليبيد)، وكانت النتيجة، وفقاً لاعتقاد ديلون، استبعاد عرض فيلمه *قصتنا*" في مهرجان كان السينمائي ١٩٨٤.

الجنرال (الكسندر ليبيد) الذي رشح نفسه للانتخابات الرئاسية في روسيا عام ١٩٩٦، وترأس مفاوضات بلاده حول الحرب الشيشانية (١٩٩٤-١٩٩٦) ولعب دوراً كبيراً في التسوية السلمية التي أنهت تلك الحرب، قضى نحبه في حادث تحطم طائرة مروحية تابعة للقوى الجوية الروسية في ٢٨ نيسان ٢٠٠٢.

خلال زيارة ديلون لموسكو، قدّم له الجنرال (ليبيد)، الذي كان يعرف مدى ولع ديلون بالكلاب، قدّم له كلبين من فصيلة "هاسكي" السيبيرية كهدية إعراباً عن امتنانه لحضور ديلون إلى روسيا من أجل تأييده في الانتخابات الرئاسية، وتعبيراً عن إعجابه الكبير بنجمه الفرنسي المفضل (آلان ديلون). بالطبع قبل ديلون الهدية بكل سرور واصطحب معه الكلبين في رحلة العودة إلى فرنسا ليضمهما إلى مجموعة كلابه المدللة.

من المعروف عن ديلون ولعه بالحيوانات الأليفة بشكل عام وعشقه للكلاب بشكل خاص. وفي إحدى المقابلات الصحفية، أشار ديلون إلى الخلاف الذي ثار مع زوجته (روزالي فان بريمن) ذات مرة حول الكلبين اللذين تلقاهما كهدية من صديقه الجنرال الروسي . فهذا النوع من الكلاب يتصف بمهارته في الصيد ولديه غريزة قوية نحو قنص الطرائد. لذلك كان هذان الكلبان يقنصان الأرانب الموجودة في مزرعة ديلون الفاخرة بـ "دوشي" ويقومان بإحضارها أمام ديلون. فثار حنق (روزالي) التي كانت عضواً في إحدى جمعيات الرفق بالحيوان واستاءت جداً من هذا التصرف الوحشي للكلبين. فاضطر ديلون لإخفاء الأمر عنها بأن صار يستيقظ في ساعات الفجر الأولى كل يوم "من دون أي تذمر" ليدفن الأرانب التي يصطادها الكلبان السيبيريان قبل استيقاظ (روزالي).

(١٤)

الاعتزال ... وعودة "كازانوفا" من جديد

إن "عودة ديلون" إلى شاشة السينما إنما تشبه "عودة كازانوفا" إلى حد بعيد. فديلون – كـ (كازانوفا) – تبدأ حياته ببساطة مع كل مغامرة جديدة ... وبما أن الفن يجري في عروقه، لم يتمالك نفسه وعاد بعد سنتين من ظهوره في فيلم المخرجة (أنييس فاردا) "*مئة ليلة وليلة مع سيمون سينما*"، عاد في عام ١٩٩٧ ليشارك في بطولة فيلم *في الليل والنهار*"، إخراج (برنارد هنري ليفي). لكن يبدو أن عودة ديلون إلى الشاشة في هذا الفيلم لم تساهم إلا في تدهور شعبية أفلامه بين عشاق السينما.

بعد فيلمه التسجيلي "*البوسنة*" الصادر في ١٩٩٤، أتيحت الفرصة للفيلسوف والكاتب الفرنسي (برنارد هنري ليفي) من أجل تحقيق حلمه في تصوير فيلم روائي طويل حمل عنوان *في الليل والنهار*"، وذلك بعد أن تمكن بصعوبة من الحصول على التمويل اللازم لتنفيذ مشروعه السينمائي وأسند أدوار البطولة في فيلمه لعدد من نجوم السينما البارزين بمن فيهم آلان ديلون. ولكن بالرغم من توافر هذه الشروط الملائمة لإنتاج عمل سينمائي قوي ومميز كانت النتيجة غير متوقعة حين فشل *في الليل والنهار*" فشلاً ذريعاً على شباك التذاكر، وكان من أسوأ ما عرضته الشاشة الكبيرة في فرنسا في التسعينيات. كما أن نوعية هذا الفيلم لم تؤد إلى نهاية سريعة لمهنة (برنارد هنري ليفي) في صناعة الأفلام التي بدأها لتوه في فيلم *في الليل والنهار*"، وإنما عجّلت أيضاً في خبو نجومية بطل الفيلم آلان ديلون. ففيلم *في الليل والنهار*" لم يسجل إخفاقاً تجارياً مروعاً فحسب، وإنما واجه انتقادات سلبية لم يسبق لها مثيل لدى عرضه الأولي في مهرجان كان السينمائي ١٩٩٧ حين اعتبره النقاد مثالاً نموذجياً حول كيفية "عدم" صنع الأفلام.

فالفيلم الذي اشترك في كتابة نصه السينمائي كل من (جان بول إنتوفن) و(غوادالوب لويزا) يتناول مقدرة "الحبّ" على معالجة موضوعات حساسة تتعلق بتقدم السن والتضحية بالذات وغياب العاطفة والإلهام. لعب ديلون دور البطولة بشخصية كاتب فرنسي مرموق يدعى الكسندر اعتزل مهنة التأليف وترك حياته الصاخبة في باريس وانتقل للعيش مع زوجته أريان (ماريان دنيكور) في مزرعة بإحدى بلدات المكسيك بحثاً عن هدوء النفس وراحة البال بعيداً عن صخب الحياة في العاصمة الفرنسية. لكن يبدو أن الكآبة لم تفارق الكسندر بالرغم من مرور عشر سنوات على هجرته إلى المكسيك، لاسيما أن علاقاته الاجتماعية في مكان إقامته الجديد تقتصر على تركيبة غريبة من المعارف والأصدقاء الفرنسيين المقيمين في المكسيك، ومن بينهم سيدة فرنسية غريبة الأطوار تدعى سونيا (لورين باكال). ثم تأتي لزيارته ممثلة الإغراء الشهيرة لور (آرييل دومباسل) مع منتجها فيليب (كارل زيرو) في محاولة للحصول على موافقة الكسندر من أجل اقتباس إحدى رواياته الشهيرة ونقلها إلى الشاشة في فيلم سينمائي تلعب فيه الممثلة لور دور البطولة.

في الوقت الذي يفكر فيه الكسندر بذلك العرض، لا تتردد لور في اللجوء إلى "سلاح إغرائها" للوصول إلى هدفها المنشود فتحاول استمالة الكسندر الذي يستجيب لتوددها. في تلك الأثناء أيضاً، تنغمس أريان زوجة الكسندر في علاقة حب جارفة مع باحث شاب متخصص في علوم الجيولوجيا والزلازل يدعى كارلو (خافيير بوفوا)، وهو مكسيكي من أصل فرنسي. تتشابك العلاقات بين تلك الشخصيات الفرنسية التي مضى على وجودها نحو عشر سنوات في المكسيك وتزداد تعقيداً مع توالي أحداث الفيلم، في حين يبدأ السكان المحليون بالاستعداد لإعلان انتفاضة مسلحة.

كان من المتوقع لفيلم المخرج (برنارد هنري ليفي) أن يظهر كعمل سينمائي فريد بنوعه، لكن الأمر المخيب للآمال أن الفيلم بدأ بطريقة جيدة وعرض مشاهد رائعة عن جمال الطبيعة الخلابة في المكسيك وأجوائها الهادئة. ولكن ما إن بدأت الأحداث حتى توقف تطورها بما لايشد انتباه أو اهتمام جمهور المشاهدين بحيث باتت الشخصيات سطحية ومتكلفة في عرض علاقاتها مع بعضها البعض. من ناحية ثانية، فإن تركيبة الفيلم لا تثير الاهتمام، بل وتبدو غير منطقية حيث تتنقل الأحداث بشكل متقطع بين الحبكة الرئيسية – المتعلقة بالكاتب ورفاقه – والحبكة الثانوية – المتعلقة بالانتفاضة الشعبية بين السكان المحليين.

ثم تتوجت سلسلة إخفاقات ديلون على شباك التذاكر عام ١٩٩٨ في الفشل المفاجئ وغير المتوقع لفيلمه "*فرصة ضئيلة*"، وأعلن ديلون بعد هذه النتيجة المخيبة للآمال عن نيته اعتزال التمثيل.

فيلم "*فرصة ضئيلة*" الصادر عام ١٩٩٨ للمخرج (باتريس لوكونت) – الذي نال ترشيحاً لجائزة الأوسكار عن فيلمه "*السخرية*" (١٩٩٦) – جمع بين آلان ديلون و(جان بول بلمندو) بعد ثلاثين سنة تقريباً من ظهورهما معاً في فيلم "*بورسالينو*" (١٩٧٠). "*فرصة ضئيلة*" فيلم بوليسي كوميدي من أفلام الإثارة والتشويق يتناول قصة فتاة تدعى أليس توماسو (فانيسا بارادي) دخلت السجن بتهمة سرقة السيارات ثم تم إطلاق سراحها بعد شهر من وفاة والدتها التي تركت لها شريطاً تسجيلياً تخبرها فيه بأنها كانت على علاقة غرامية برجلين (ديلون وبلمندو) منذ عشرين سنة لذلك لم تعرف بالضبط من منهما هو والد أليس الحقيقي.

بعد أن تستمع أليس إلى اعتراف أمها الموجود على شريط التسجيل، تبادر إلى سرقة سيارة وتنطلق بها إلى جنوب فرنسا في محاولة يائسة للعثور على "والديها" المحتملين: تاجر السيارات ليو براساك (جان بول بلمندو)، ورجل الأعمال الناجح جوليان فينال (آلان ديلون). مع أن ليو براساك وجوليان فينال خصمان لدودان، إلا أنهما يضطران إلى تضافر جهودهما والتعاون معاً من أجل إنقاذ أليس التي تصل إليهما وفي أثرها رجال العصابات الروسية لأن السيارة التي سرقتها تحتوي في صندوقها الخلفي على مبلغ ٥٠ مليون دولار يخصّ المافيا الروسية. لا تتوقف هذه العصابات عن مطاردة أليس بهدف استرداد المبلغ الموجود في السيارة، لكن المشكلة أن هذه السيارة تقع في يد المحقق كاريلا (إيريك ديفوس) الذي يتابع جميع تحركات أفراد المافيا الروسية. من حسن حظ أليس أن ليو براساك (بلمندو) كان في شبابه من أفراد القوات الفرنسية الخاصة، بينما كان جوليان فينال (ديلون) في يوم من الأيام لصاً محترفاً في سرقة المجوهرات، وبالتالي يتمتع الرجلان بكل ما يلزم من الخبرة والحيلة والدهاء من أجل درء خطر أشرار المافيا الروسية عن أليس وتبدأ سلسلة من المطاردات والمواجهات المسلحة والتفجير والعنف.

لقد خاب أمل الجمهور الذي كان فيما مضى تواقاً لاجتماع ألمع بطلين في الأفلام البوليسية بالظهور معاً على الشاشة، كما في تعاونهما السابق والناجح جداً في فيلم المخرج (جاك ديراي) "*بورسالينو*" (١٩٧٠). ولعل السبب هو أن مشاهد العنف والحركة (الأكشن) في فيلم "*فرصة ضئيلة*" لم تتناسب أبداً مع المرحلة العمرية التي وصل إليها

ديلون و(بلمندو) بما جعل أداءهما غير مقنع في نظر الجمهور من جهة، واستهلاك الجزء الأكبر من الفيلم في تصوير مشاهد (الأكشن) هذه بدلاً من التركيز على قصة الفيلم الرئيسية المرتبطة بالعلاقة بين الشخصيات الثلاث (الابنة والوالدان المحتملان) من جهة ثانية. فالجمهور كان يتوقع الاستمتاع بمشاهدة أداء تمثيلي استثنائي في روعته من هذا الثلاثي النجومي (ديلون – بلمندو – بارادي)، بدلاً من متابعة مشاهد العنف والتفجير العادية ورجال المافيا التقليديين ومطاردات السيارات العادية وتبادل إطلاق النار بالطرق العادية أيضاً وغيرها من المشاهد المبتذلة والمكررة في مئات الأفلام البوليسية المماثلة.

وبالفعل وبعد هذه النتيجة المخيبة للآمال، أعلن ديلون قراره اعتزال التمثيل، وجاء ذلك خلال مقابلة أجراها معه التلفزيون الألماني في ٤ آذار ١٩٩٨، ثم أعاد ديلون التأكيد على قرار اعتزال مهنة التمثيل السينمائي في مقابلة مماثلة مع التلفزيون الفرنسي بعد عدة أيام، وبالتحديد في ١٤ آذار ١٩٩٨. لكن الفن الذي يجري في عروقه منذ أربعة عقود جعله يستمر بالظهور ولو في أعمال متفرقة، حيث شارك في بطولة فيلم *الممثلون*" (٢٠٠٠) ولعب دور البطولة في المسلسل التلفزيوني *فابيو مونتال*" (٢٠٠٢) والفيلم التلفزيوني *الأسد*" (٢٠٠٣) ثم عاد للظهور مجدداً على الشاشة الكبيرة في فيلم *أستيريكس في الأولمبياد*" (٢٠٠٨).

ففي نيسان ٢٠٠٠ ظهر ديلون في فيلم للمخرج (برتراند بلاير) بعنوان *الممثلون*" الذي يتناول موضوع السينما والتمثيل في حين تركز قصة الفيلم على أبرز نجوم السينما الفرنسية الذين يلعبون أدوراً تجسد شخصياتهم الحقيقية، ما يجعل الفيلم بشكل عام مبهماً وغامضاً في متابعته لهؤلاء الممثلين بسلسلة من القصص التي تجعل من *الممثلون*" عملاً ممتعاً بكل المقاييس، لاسيما في اللحظات التي يلتقي فيها الممثلون ببعضهم البعض في الشارع عن طريق المصادفة ويتبادلون التواقيع والعبارات التذكارية وسط المشاحنات والمشكلات التي لاتنفك تثور بين أبناء هذا الوسط الفني وصدى الأقاويل والإشاعات التي تدور فيما بينهم أو التي تستهدفهم.

إن المخرج (برتراند بلاير) معروف في فرنسا بأفلامه التسجيلية والروائية التي تتناول الجانب السلبي للتحرر الجنسي وأثره على المجتمع. أما فيلمه *الممثلون*" فيُعدّ عملاً هجائياً يسلط من خلاله الضوء على صروف الزمان وسعود الحياة ونحوسها التي يمرّ بها الفنانون وذلك على لسان مجموعة من نجوم السينما الفرنسية الذين يجسدون شخصياتهم الحقيقية في الأدوار المسندة إليهم في الفيلم، بمن فيهم آلان ديلون و(أندريه دوسولبيه) و(جان بيير ماريل) و(كلود ريش).

الممثلون" لا يسرد قصة عن حياة الممثلين الذين تقدّمت بهم السن وانعكاس ذلك على مهنتهم وتضاؤل نجوميتهم مع الزمن فحسب، وإنما يُعدّ تكريماً وتقديراً للسينما الفرنسية عموماً وللممثلين الفرنسيين بصورة خاصة.

* * *

بعد ارتباط استمر أربع عشرة سنة وكان ثمرته إنجاب (أنوشكا) و(آلان فابيان)، انتهت العلاقة بين آلان ديلون و(روزالي فان بريمن) بإعلان الطلاق في صيف ٢٠٠١. لكن (روزالي) تابعت حياتها بشكل طبيعي وسارعت بالزواج من (آلان) آخر (آلان أفليلو)، وهو من أكبر تجار النظارات الطبية والشمسية. وفي مقابلة صحفية أجريت مع ديلون في فترة لاحقة علق فيها على طلاقه من (روزالي) وزواجها الفوري برجل آخر بقوله: "هذا شأنها الخاص ... أرفض التعليق على زواج المصلحة الذي تورطت فيه .. لقد أهديتها أثمن هدية يمكن أن يهديها رجل لامرأة: الانفصال ... لقد استعادت حريتها ... وهي حرّة في أن تمارسها كما تشاء".

مع أن علاقات ديلون اتسمت عموماً بعدم الاستقرار، إلا أنها تميزت بعلاقتين رئيسيتين. كانت العلاقة الأولى منهما مع النجمة الراحلة (رومي شنايدر) التي ارتبطت به بعلاقة مميزة على الصعيدين المهني والعاطفي، أما الثانية فقد توطدت مع الممثلة (ميراي دارك) واستمرت لفترة طويلة من ١٩٦٨ ولغاية ١٩٨٢ ولكن من دون ارتباط رسمي. على نقيض ذلك، فإن الزوجتين (ناتالي ديلون) و(روزالي فان بريمن) اللتين رُزق منهما بالأطفال لم تتمكنا من فهم وتلبية احتياجات شخصيته الصعبة التي يصعب إرضاؤها. ولكن بحسب اعتراف ديلون، فإن مهنته الفنية هي الحب الحقيقي بالنسبة له حيث احتلت السينما الأولوية في جميع شؤون حياته. وصرّح ذات مرة في مقابلة صحفية بأنه يعشق التمثيل لكنه لن يفرض مهنته على ابنه (آلان – فابيان)، أما إذا اختارها بنفسه فلن يتردد في مساعدته. وقال في تلك المقابلة إنه عندما كان صغيراً بعمر ابنه، كان يتمنى أن يصبح في كبره فرداً من أفراد الشرطة راكبي الدراجات النارية ... فقد اعتاد مشاهدة اثنين من شرطة الدراجات كل صباح ومساء يعبران الطريق أمام منزل ذويه بالتبني في "بورغ لارين". ومن هذا المنطلق، لا يحاول ديلون أبداً أن يحدد أو يرسم مستقبلاً خاصاً لأبنائه، لأنه لايؤمن بربط مهنته بحياتهم الخاصة بهم.

في مقابلة أجريت مع آلان ديلون عام ٢٠٠٢، تحدث النجم الفرنسي العريق عن نفسه قائلاً: "إن حياتي المهنية ناجحة جداً على عكس حياتي الشخصية .. كل إنسان له محاسن ومساوئ ... ولعل أفضل محاسني هي أنني أعرف ماهي مساوئي .. فأنا رجل معقد .. هناك عشرة آلان ديلون يتعايشون في داخلي ويتشاجرون دائماً فيما بينهم: الحنون والقاسي، اللطيف والفظ ... وهؤلاء هم مصدر الأحزان الدائمة التي تحاصرني وتفتك بي من الداخل!".

وتحدث ديلون عن أولاده: "(أنوشكا) و(فابيان) هما محور كل حياتي الآن... وكل ما أريده هو أن أبقى حياً حتى يكبرا، لأنني لا أريد أن يتسبب لهما موتي بصدمة فقدان الأب. أما (أنتوني) فشيء آخر لأنه أصبح راشداً وهو رجل رائع." أما عن حفيديه (ليف) و(لو)، أبناء (أنتوني)، فقد رفض ديلون كلمة "جد" مبتسماً لأنها تشعره بالكهولة وقال إنه يفضل مناداة أحفاده بكلمة "أولادي" ... "لقد أصبح أبناء (أنتوني) الآن بعمر عمهما وعمتهما .. يلعبون معاً ويخرجون معاً كأخوة في عائلة واحدة." ولا يحاول ديلون إخفاء حسرته لغياب سلطته الفعلية على أحفاده أو أولاده "لست متسلطاً، لكن الزمن تغير، والقانون أصبح يقف بين الأهل والأبناء.. القانون هو الذي دمر رباط العائلة الأوروبية الذي طالما كان مقدساً".

كما تحسّر ديلون على إلغاء الخدمة العسكرية الإلزامية التي كانت تجعل من الأولاد رجالاً، وعلق على ذلك بقوله: "لقد وجدت في الجيش أسرتي الحقيقية.. تعلمت من الحياة العسكرية النظام والاحترام والاعتماد على النفس... أدين للجيش بكل ما حققته في حياتي من نجاحات. لم تنعكس قسوة الجيش إلا ليونة ورومانسية على شخصيتي... رغم كل الوحشية التي كنت أظهر بها أحياناً على الشاشة...".

وعن خلافاته مع ابنه البكر (أنتوني) قال: "بدأت خلافاتي مع (أنتوني) مذ بلغ سن السابعة عشرة. فقد رفض متابعة الدراسة.. رفض الخدمة العسكرية، ورفض كل المشاريع التي طرحتها عليه. عندما كنت في تلك السن، كنت جندياً في الجيش، وهو كان شاباً مستهتراً. كان معقداً نتيجة انفصالنا أنا وأمه التي كان يعيش معها وكان يحاول أن يثبت لنفسه ولكل العالم أنه (أنتوني ديلون) وليس مجرد ابن (آلان ديلون). لكنه دفع الثمن غالياً، لأن الجميع استغلوا كونه (ابن) آلان ديلون".

وأشار ديلون إلى السعادة والحزن في حياته بقوله: "أخبرني أحد أصدقائي ذات مرة بأنني أمتلك كل المواهب إلا موهبة السعادة ... أعترف بمرارة أنه كان على حق. أعتقد أن جيناتي الوراثية ليست مبرمجة للسعادة والفرح .. أما الأمجاد والنجاحات التي أحرزتها طوال أربعين عاما من حياتي السينمائية فلا علاقة لها بالسعادة: النجاح هو طريقة ما في إعلان الحداد على السعادة." لكن رغم ذلك رفض ديلون النظر إلى نفسه كرجل تعيس "أعيش سعادتي الخاصة على طريقتي الخاصة، وهذا سر أسراري. لقد تعلمت واختبرت كل شيء وحصلت على كل شيء، لكن السعادة الحقيقية تكمن في العطاء".

أما عن النساء، فيقول: "أدين للنساء بكل ما أنا عليه. المرأة هي التي أدخلتني إلى المجتمع المدني بعد خروجي من الجيش. أنا رجل رومانسي بطبيعتي ولم أتوقف يوماً عن حبي للنساء. وكل الأمجاد التي صنعتها في حياتي كانت هدية لعيون المرأة التي كنت أحبها. سواء كانت هذه المرأة (روزالي) أو (ميراي) أو (ناتالي).. أو (رومي شنايدر) التي كانت أجمل نساء حياتي ... كنت أستميت لأظهر في أحسن حالاتي على الشاشة، أو على شاشة الحياة، من أجل أن أبدو قوياً وناجحاً في عيون المرأة التي أحب .. كان هدفي من النجاح أن أبهر حبيبتي .. وما أزال هكذا إلى الآن أيضاً".

* * *

بعد غياب استمر سنتين من ظهور آلان ديلون في فيلم *الممثلون*" (٢٠٠٠)، عاد ليلعب دور البطولة عام ٢٠٠٢ ولكن هذه المرة في مسلسل تلفزيوني بوليسي مشوق حافل بالمغامرات و(الأكشن) مؤلف من ثلاث حلقات بعنوان *فابيو مونتال*". قام بإخراج الحلقات الثلاث (خوسيه بنييرو) لصالح التلفزيون الفرنسي (TF1) نقلاً عن الثلاثية الروائية للكاتب (جان كلود إيسو) "ثلاثية مرسيليا". كان ديلون متألقاً ومقنعاً جداً في تجسيد شخصية البطل (فابيو مونتال) – الذي حمل عنوان المسلسل اسمه – وهو من سكان مرسيليا إلا أن أصله يعود إلى عائلة إيطالية مهاجرة. يستعرض المسلسل جهود مفتش الشرطة فابيو مونتال لمكافحة الفساد والعنصرية والجرائم المتفشية كالوباء في مرسيليا، المدينة التي يعشقها فابيو مونتال بالرغم من هذه السلبيات التي ترمي بظلالها القاتمة على حياته وحياة سكان المدينة.

وفي ٢٠٠٣ تعاون ديلون مرة ثانية مع المخرج (خوسيه بنييرو) في فيلم تلفزيوني جديد مثير وحافل بالمغامرات بعنوان *الأسد*". اشترك مع ديلون في بطولة هذا الفيلم التلفزيوني (أنوشكا ديلون) – ابنة آلان ديلون في أول دور لها أمام والدها – و(أورنيلا موتي). تدور أحداث الفيلم في إفريقيا في خمسينيات القرن العشرين خلال حرب قبائل "الماوماو" ليرصد قصة الصداقة التي تنمو بين باتريشيا بوليت الصغيرة (أنوشكا ديلون)، ابنة جون بوليت (آلان ديلون)، و"أسد" قامت باتريشيا بتربيته مذ كان شبلاً صغيراً. ومن المعروف أن ديلون صوّر هذا الفيلم إرضاءً لابنته الصغيرة (أنوشكا) التي كانت في ربيعها الثالث عشر، كما فعل سابقاً في تصوير فيلم *زورو*" إرضاءً لابنه (أنتوني).

يبدو أن ديلون في تلك الفترة وجد جمهوره في المسرح والشاشة الصغيرة لا في الشاشة الكبيرة التي اقترن بها لأكثر من أربعة عقود من الزمن. فقد عاد للظهور في مسلسل تلفزيوني بوليسي مشوق جديد بعنوان *فرانك ريفا*" للمخرج (باتريك جامان)، ولكن هذه المرة بالتعاون مع (ميراي دارك) التي غابت عن الشاشة لفترة طويلة إثر تعرضها لحادث سيارة خطير أدى إلى إصابتها إصابات بليغة فاعتزلت التمثيل ثم عادت للظهور مرات قليلة في التسعينيات، ثم ظهرت أخيراً أمام ديلون في هذا المسلسل التلفزيوني الذي شارك ديلون في إنتاجه وبطولته بالحلقات المعروضة بين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤ على القناة الثانية في التلفزيون الفرنسي بشخصية فرانك ريفا – الذي

اتخذه المسلسل كعنوان له، كما في المسلسل السابق *فابيو مونتال*". يرصد مسلسل *فرانك ريفا*" قصة الشرطي السري فرانك ريفا (ديلون) الذي يعود إلى باريس بعد مرور ٢٥ سنة على وجوده في المنفى. يتواجه فرانك ريفا في باريس مع رئيس إحدى العصابات الخطيرة المعروف باسم نوربرت لوجيا وابنه مكسيم اللذين يرصدان مكافأة لقتل فرانك ريفا.

وفي ٢٠٠٣ عرض مسرح "والتر ريد" في الجمعية السينمائية التابعة لمركز "لينكولن" في نيويورك تظاهرة أفلام آلان ديلون تحت عنوان "رجل في الظل: أفلام آلان ديلون"، وذلك بالتعاون مع المحطة الخامسة في التلفزيون الفرنسي والمكتب السينمائي في وزارة الخارجية الفرنسية. لقد كانت هذه التظاهرة السينمائية تكريماً خاصاً للنجم الكبير والعريق آلان ديلون وتعبيراً عن تقدير السينما الأمريكية لعطاءات ديلون الفنية وأثره الكبير على السينما الفرنسية بصورة خاصة والسينما الأوروبية عموماً.

عاد ديلون للتعاون مع حبيبته السابقة وزميلته في التمثيل (ميراي دارك) في أيلول ٢٠٠٦ وإنما هذه المرة في عمل مسرحي بعنوان "على *طريق ماديسون*" اقتباساً عن رواية للكاتب الأمريكي (روبرت جيمس والر) واستمرت التمرينات على هذه المسرحية التي قامت بإخراجها (آن بورجوا) إلى أن جرى عرضها أخيراً في شهر كانون الثاني ٢٠٠٧ على مسرح "ماريني" في باريس. وقد شكلت تلك المسرحية فرصة لديلون كي يعرض خلالها وبكل رقة جانباً من معاناته الشخصية التي طالما تجنب تناولها على الشاشة الكبيرة. ولابد من الإشارة إلى أن هذه الرواية قد جرى نقلها إلى الشاشة الكبيرة عام ١٩٩٥ في فيلم سينمائي ناجح جداً من إخراج (كلينت إيستوود) وبطولته أيضاً، بينما لعبت (ميريل ستريب) دور البطلة أمام (إيستوود) في الفيلم الذي حمل عنوان "*جسور مقاطعة ماديسون*". يتمحور موضوع هذه المسرحية حول قصة حب مستحيلة في غفلة من الزمن، بين ربّة بيت ومصور عابر تقوده خطاه إلى طريقها.

لكن مسرحية "على *طريق ماديسون*" لم تشكل آخر عمل مسرحي من أداء ديلون. فقد لعب قبلها في تشرين الأول ٢٠٠٤ دور البطولة في مسرحية المؤلف (إيريك أسترو) "*جبال روسية*" بالاشتراك مع الممثلة (أستريد فيلون) وقد سجلت هذه المسرحية ١٠٠ عرض على مسرح "ماريني" في باريس قبل عرضها في جنيف بسويسرا في آذار ٢٠٠٥ وفي بلجيكا ثم في موسكو في شهر نيسان من العام ذاته على مسرح "مايكوفسكي".

وعن ظهوره في تلك الأعمال المسرحية قال ديلون: "أنا لست ممثلاً مسرحياً وإنما ممثل سينمائي، لذلك فإن العمل المسرحي يشكل تحدياً كبيراً بالنسبة لي. فالممثل المسرحي يتطلب منه الأمر الدراسة، أما الممثل السينمائي فلا حاجة له لدراسة كهذه. وإذا كان هناك بالفعل معهد لتعليم التمثيل السينمائي فإن الحياة هي ذلك المعهد ... فـ (جان غابان) أو (بيرت لانكستر) أو أنا .. لم نتعلم التمثيل أمام الكاميرا."

ولابد من الإشارة في هذا السياق إلى أن فيلم السيرة الذاتية "*عدو الشعب رقم واحد*" (٢٠٠٨) إخراج (جان فرنسوا ريشيه) وبطولة (فنسنت كاسيل) الذي جسّد شخصية السفاح الفرنسي الشهير (جاك ميسرين)، كان بالأصل مشروعاً خطط لتصويره (جان لوك غودارد) مع آلان ديلون و(جان بول بلمندو) في نهاية السبعينيات. وقد قام (باتريك موديانو) و(ميشيل أوديارد) و(فيليب لابرو) بكتابة سيناريو مشروع الفيلم الذي لم يرَ الضوء.

* * *

في خطوة مفاجئة قرر آلان ديلون في تشرين الأول ٢٠٠٧ أن يبيع جانباً من مجموعته الضخمة من الأعمال الفنية في إحدى صالات المزاد العلني بباريس. وأوضح الممثل الذي كان الأوسم في تاريخ السينما الأُوروبية أنه يفضل أن يحصر ثروته وهو على قيد الحياة من أن يتنازع عليها الورثة بعد رحيله.

وعُرضت في المزاد ٤٠ لوحة من الرسم التجريدي، محفوظة بشكل جيد، وتعود إلى فترة الخمسينيات من القرن العشرين. ونظراً لشهرة مالك اللوحات، فقد تجاوزت حصيلة المزاد ١٢ مليون دولار أمريكي. وألهبت لوحات كان ديلون قد اقتناها على مرّ السنين، الأسعار في المزاد. فلوحة (بيير سولاج) غير المسماة والتي يعود تاريخها إلى ١٩٥٠، بيعت بأكثر من مليون دولار، بينما تم بيع لوحة "العائلة" لـ (كاريل آبل) بمبلغ ٩٣٦ ألف دولار. أما القطعة الأغلى سعراً في المزاد فكانت لوحة كبيرة يعود تاريخها إلى عام ١٩٥٤ للرسام (جان بول ريوبيل) بعنوان "وادي العصافير" وتم بيعها بمليون دولار وربع المليون. وقد أفاد مدير المزاد (أرنو كورنيت دو سانت سير) أن المزاد حقق نجاحاً كبيراً، وأن اللوحات كانت نادرة وجميلة وتم بيعها إلى شراة في الصين وفنزويلا والولايات المتحدة وأوروبا بالإضافة إلى بعض المتاحف في شمال أوروبا.

وقال ديلون، الذي بلغ الثانية والسبعين لدى بيع تلك اللوحات، إنه يفضل تسوية حصر ثروته بينما هو على قيد الحياة لأنه يحتقر عمليات البيع المعتادة بعد الوفاة خلال تصفية الإرث. وقد جاء إلى صالة المزاد وبصحبته ابنته (أنوشكا)، ١٧ سنة، لإلقاء نظرة أخيرة على لوحاته قبل بيعها. لكن تلك اللوحات لم تشكل سوى جزء بسيط من مجموعة ضخمة من اللوحات التي تزين جدران منزليه الفاخرين في فرنسا وسويسرا، والتي دأب على اقتنائها منذ أن اشترى في ستينيات القرن الماضي تخطيطاً للفنان (ميكو سبادارو) من صالة "سوذبيز" اللندنية للمزاد. كما تضم مجموعة ديلون أعمالاً لـ (فان كوخ) و(ديلاكروا) و(بوغاتي) وغيرهم.

* * *

في ندوة صحفية عقدها ديلون على هامش الدورة الثالثة لمهرجان مراكش السينمائي الدولي في تشرين الأول ٢٠٠٣ أعلن عن إمكانية عودته إلى السينما بعد اعتزاله منذ عام ٢٠٠٠. واشترط لهذه العودة توفير سيناريو يحظى بمواصفات استثنائية، ومخرج سينمائي يناسب كفاءاته وتجربته المتراكمة. وأوضح ديلون أنه إذا تلقى عرضاً مهماً للمشاركة في تصوير فيلم سينمائي، فسيمعن التفكير أكثر من مرة قبل أن يتخذ قراراً حول إمكانية القبول أو الرفض، سواء تعلق الأمر بالسيناريو أو بالمخرج الذي سينجز الفيلم. وصرح ديلون بأنه غير نادم على اعتزاله السينما، مشيراً إلى أن ما تقدمه السينما الفرنسية في الوقت الراهن لا يناسب ذوقه ومؤهلاته، إلا أنها في الوقت ذاته تشهد حالياً انتعاشاً ملحوظاً. وأضاف أنه حين أعلن اعتزاله السينما لم يصدق أحد أن باستطاعته الالتزام بذلك، كما أكد في السياق ذاته أنه لم يعلن أبداً عن رغبته في اعتزال العمل الفني في مجالي التلفزيون والمسرح.

وبالفعل وبعد خمس سنوات تقريباً من تصريح ديلون في مهرجان مراكش السينمائي الدولي الثالث حول إمكانية ظهوره مجدداً في عمل سينمائي، سجل آلان ديلون حضوراً جديداً على الشاشة الفضية في عام ٢٠٠٨ بشخصية يوليوس قيصر في فيلم بعنوان *أستيريكس في الأولمبياد*"، إخراج (فريدريك فوريستيير) و(توماس لانغمان).

تشترك الشخصيتان الكرتونيتان الشهيرتان عالمياً أستيريكس وأوبيليكس في عالم الرياضة في هذا الفيلم الكوميدي الحيّ المليء بالمغامرات الذي تبدأ أحداثه في السنة ٥٠ قبل الميلاد حين ينطلق أستيريكس القصير الماكر (كلوفيس كورنيلاك) ومساعده المخلص صاحب الجثة الضخمة أوبيليكس (جيرار ديبارديو) في رحلة إلى روما حيث

يأملان بالمنافسة في الألعاب الأولمبية. يعتقد أوبيليكس أن فوزه بميدالية رفع الأثقال أمر محقق لكن يتناهى إلى علمه أن أكسير القوة الخاص الذي يستعمله عادة غير مسموح في الأولمبياد، في حين يتشتت انتباه أستيريكس بسبب الحيل والخدع التي تجري وراء الكواليس. ثم نشاهد الأميرة الجميلة إيرينا (فانيسا هيسلر) من العائلة الملكية اليونانية وكيف يتودد إليها شاب حسن النية يدعى لافسكس (ستيفان روسو) الذي يستعمل بعض القصائد الشعرية المسروقة من أوبيليكس من أجل الفوز بقلب الأميرة الجميلة. أما بروتوس (بينوا بولفوورد)، ابن الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر (آلان ديلون)، فيتوق إلى الاستيلاء على العرش من والده فيحاول باستمرار قتل القيصر كي يتمكن من اعتلاء العرش بسرعة. يظهر في فيلم *أستيريكس في الأولمبياد*" عدد من نجوم الرياضة الأوروبيين كضيوف شرف، بمن فيهم (زين الدين زيدان) و(مايكل شوماخر) و(توني باركر).

أما آخر مشاريع ديلون السينمائية فهو فيلم قيد الإنتاج يحمل عنوان *"الدائرة الحمراء*". وهذا الفيلم المزمع تصويره في هونغ كونغ في صيف العام الحالي ٢٠٠٩، إنما هو إعادة صنع للفيلم البوليسي الفرنسي الكلاسيكي ذاته الذي أخرجه وكتب نصه السينمائي (جان بيير ميلفيل) عام ١٩٧٠ بينما لعب فيه ديلون دور البطولة بالاشتراك مع (إيف مونتان) و(بورفيل) و(جيان ماريا فولونتيه). أما النسخة الجديدة من الفيلم فيتولى إخراجها صانع الأفلام الهونغ كونغي (جوني تو) بسيناريو من تأليف (برايان ليف).

ومن المقرر أن يشارك في بطولة النسخة المُعادة من فيلم *"الدائرة الحمراء*" آلان ديلون – الممثل الوحيد المكرر من النسخة السابقة – والممثل الإيرلندي (ليام نيسون) و(أورلاندو بلووم) و(يَن فات شو). ومن المرجح أن يلعب (أورلاندو بلووم) دور اللص الأرستقراطي الهادئ (كوري)، وهي الشخصية التي جسدها ديلون في النسخة الأصلية من الفيلم عام ١٩٧٠. ولعل أشهر مشهد في ذلك الفيلم هو عملية السرقة التي استغرق عرضها على الشاشة نحو ثلاثين دقيقة. أما عنوان الفيلم فيشير إلى عبارة مقتبسة عن بوذا الذي رسم دائرة بوساطة طبشور أحمر وقال "عندما يتحتم على الإنسان الالتقاء بأخيه الإنسان في يوم من الأيام، لابدّ أن يجتمعا معاً وسط هذه الدائرة الحمراء مهما اختلفت الدروب التي سلكها كل منهما ومهما أصابه من صروف الزمان".

* * *

لقد عاش ديلون أكثر من ثمانين شخصية مختلفة في أدوار البطولة لأكثر من خمسة وثمانين فيلماً سينمائياً. ولعل هذا ما أغنى شخصيته الحقيقية، وأفناها في آن واحد ... وبحيث يُقال عنه الآن إنه الرجل الذي شاخ وهرم قبل الأوان. لكن موضوع التقدم في السن ليس بمشكلة لديلون. فهو يرى أن لكل عمر مذاقه. وأشار النجم الكبير ديلون إلى أنه توقف عن ممارسة التمارين الرياضية منذ سن الخمسين، فهو يأكل ما يريد ولا يخاف هواجس السمنة ولا السكري ولا الكولسترول، وهو صحيح معافى ولايعاني من أية مشكلات صحية.

حصد آلان ديلون جوائز عديدة خلال مهنته السينمائية العريقة. ففي ١٩٧٢، حصل على جائزة ديفيد الخاصة من جوائز "ديفيد دي دوناتيللو" الإيطالية، وجائزة سيزار الفرنسية كأفضل ممثل (١٩٨٥)، ثم قلدته فرنسا عام ١٩٩٠ وسام الشرف من الدرجة الأولى تكريماً له وعرفاناً بمساهمته الكبيرة والاستثنائية للثقافة الفرنسية بشكل عام والسينما الفرنسية بشكل خاص. وفي ١٩٩٥ نال جائزة الدب الذهبي الفخرية من مهرجان برلين السينمائي الدولي، ثم قامت

ألمانيا عام ١٩٩٧ بتكريمه عرفاناً وتقديراً لإنجازاته السينمائية فقدمت له جائزة الكاميرا الذهبية. وفي ١٩٩٩ نال "جائزة المهنة" من جوائز "فلايانو الإيطالية الدولية".

وفي ٢٠٠٣ كرّمه مهرجان مراكش السينمائي الدولي الثالث بمنحه جائزة النجمة الذهبية في حفل الافتتاح عرفاناً بعطائه الفني. وتسلم النجم الكبير آلان ديلون هذه الجائزة من زميلته الإيطالية (كلوديا كاردينالي) وسط تصفيق الحضور الذين وقفوا لتحيته. وقال ديلون لدى تسلمه الجائزة: "هذا التكريم يمس شغاف قلبي ... فالشيئان اللذان أفخر بهما في حياتي هما أبنائي أولاً وفني ثانياً." ثم اعتذر ديلون عن مشاهدة فيلم "*حوض السباحة*" الذي عُرض في إطار تكريمه قائلاً: "اعذروني لأنني لا أستطيع البقاء ومشاهدة أشخاص كانوا أعزاء جداً على قلبي، مثل (رومي شنايدر) ... و(موريس رونيه) صديقي و(جاك ديراي) مخرجي المفضل ... هذا شيء لا يمكنني تحمله." وتجدر الإشارة إلى أن المهرجان كرّم أيضاً عميد السينما البرتغالية (مانويل دي أوليفييرا) –٩٤ سنة – والفنانة المصرية يسرا والمخرج الأميركي (أوليفر ستون) والبريطاني (ريدلي سكوت).

وفي مهرجان كان السينمائي الستين (٢٠٠٧)، قدّم ديلون جائزة أحسن ممثلة لنجمة كوريا الجنوبية (جون دويون) عن دورها في فيلم المخرج (لي شانغ) "*الشمس السرية*" وكانت بذلك أول ممثلة من كوريا الجنوبية تفوز بجائزة مهرجان كان. وفي حفل توزيع جوائز سيزار في ٢٢ شباط ٢٠٠٨، قدّم ديلون جائزة سيزار أحسن ممثلة لـ (ماريون كوتيارد) التي نالت أيضاً جائزة الأوسكار لأفضل ممثلة بعد يومين من ذلك التاريخ عن دورها في فيلم "*الحياة الوردية*"، وكانت ثاني ممثلة فرنسية بعد (سيمون سينوريه) تفوز بأوسكار أحسن ممثلة.

* * *

لقد هيمن آلان ديلون – أو "الملاك الشرير" كما وصفه البعض – على السينما الفرنسية والأوروبية خلال الستينيات والسبعينيات بجاذب لايُقاوم وشخصية نرجسية غامضة وكاريزما قوية. فقد سجل ديلون خلال مهنته الفنية الطويلة الممتدة على العقود الخمسة الماضية حضوراً قوياً على الشاشة لم يحققه سوى قلائل من الممثلين إلى يومنا هذا. بل إنه عمّر أكثر من العديد من النجوم الذين اشتركوا معه في بطولة أفلامه، بدءاً من مشاهير هوليوود أمثال (بيرت لانكستر) – في فيلم "*الفهد*" – و(ريتشارد بيرتون) – في فيلم "*اغتيال تروتسكي*" – و(أنتوني كوين) – في فيلم "*الفرقة المفقودة*" – و(تشارلز برونسون) – في فيلم "*وداعاً يا صديقي*"، وصولاً إلى نجوم الشاشة الفرنسية (جان غابان) في فيلم "*رجلان في المدينة*" و(لينو فنتورا) في فيلم "*عصابة الصقليين*" و(موريس رونيه) في فيلم "*حوض السباحة*" و"*شمس ساطعة*".

لقد أصبحت صورة آلان ديلون خالدة في الأذهان من خلال أعماله الفنية التي تجاوزت المئة. فقد أدى أدوار البطولة في ٨٥ فيلماً سينمائياً في فرنسا وخارجها، بالإضافة إلى أربعة أعمال تلفزيونية من أفلام ومسلسلات وخمس مسرحيات. كما زينت صورته عدداً من أشهر ألبومات موسيقى الروك.

على عكس منافسه وصديقه "اللدود" (جان بول بلمندو) الذي أصيب بنوبة سببت له شللاً جزئياً لبضع سنين غاب خلالها كلياً عن عيون الجمهور، استمر ديلون بفرض حضوره على الساحة وتمكن من إحراز نجاح ملموس في المسرح عبر السنوات القليلة الماضية. كما سجل حضوراً رائعاً بعودته إلى التلفزيون ونال شعبية واسعة جداً بين جيل المشاهدين الشباب في مسلسلين رائعين "*فابيو مونتال*" و"*فرانك ريفا*" حيث جسّد فيهما الشخصية البوليسية المشوقة التي أكسبته الشهرة والنجاح في مهنته السينمائية.

لقد قدّم ديلون أداءً رائعاً في بعض الأدوار الملهمة التي ستبقى خالدة في ذاكرة السينما مع أن إمكاناته الفنية والتمثيلية غالباً ما تعرضت للانتقاص من بعض النقاد الذين أعلنوا أن اعتماده المطلق في الأفلام التي صوّرها في عصره الذهبي إنما كان على وسامته فقط. من المؤكد أن ديلون هو من أوسم الوجوه التي زينت الشاشة الفضية، ولكن يبدو أن نظرة هؤلاء النقاد توقفت فقط عند كاريزما ديلون وجاذبيته الساحرة، لأنهم عجزوا عن رؤية قسمات وجهه المعبّرة جداً ولم يستوعبوا فن أدائه التمثيلي الصامت. فديلون من أكثر الممثلين الموهوبين في عالم السينما، إذ يستطيع التعبير بعينيه في دقائق قليلة أكثر مما ينطق به معظم الممثلين في ساعتين من الحوار.

(١٥)

فيلموغرافيا آلان ديلون

(١) "عندما تتدخل المرأة"
(أو "**غودو**" /"**أرسل المرأة حين يفشل الشيطان**"/ "**عندما ترتبك المرأة**")
روائي – بوليسي (ملون)
إخراج: إيف أليغريه
إنتاج: تشينو ديل دوتشا – أريس نيسوتي
سيناريو :جان ميكريه
مدة العرض: ٩٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٧

(٢) "**شقراء للمخاطر**" (أو "**مجرد وجه جميل آخر**")
روائي – كوميدي (أبيض وأسود)
إخراج وسيناريو: مارك أليغريه
إنتاج: ريمون إيغير
سيناريو: غبرييل أرو
مدة العرض: ١١٠ دقائق
تاريخ الإنتاج: ٧ أيار ١٩٥٨

(٣) "**كريستين**"
روائي – رومانسي – تاريخي (ملون)
إخراج وسيناريو: بيير غاسبار ويت
حوار: جورج نوفو
مدة العرض: ١٠٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩ كانون الأول ١٩٥٨

(٤) "**نساء ضعيفات**" (أو "**القاتلات الثلاث**")
روائي (ملون)
إخراج وسيناريو: ميشيل بواسرون
إنتاج: بول غراتس
مدة العرض: ٧٥ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١١ شباط ١٩٥٩

(٥) "**طريق الشباب**"
روائي (أبيض وأسود)
إخراج وسيناريو: ميشيل بواسرون
رواية: مارسيل إيميه
سيناريو: جان أورينش
مدة العرض: ٩٠ دقيقة (أبيض وأسود)
تاريخ الإنتاج: ٣١ كانون الأول ١٩٥٩

(٦) "**شمس ساطعة**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق (ملون)
إخراج وسيناريو: رينيه كليمان
رواية: باتريشيا هايسميث
إنتاج: ريمون حكيم – روبرت حكيم
مدة العرض: ١١٢ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٠ آذار ١٩٦٠

(٧) "**روكو وأخوته**"
روائي – بوليسي (أبيض وأسود)
إخراج وسيناريو: لوتشينو فيسكونتي
إنتاج: غوفريدو لومباردو
مدة العرض: ١٧٧ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ٢٦ حزيران ١٩٦٠

(٨) "**متعة الحياة**"
روائي – كوميدي (أبيض وأسود)
إخراج وسيناريو: رينيه كليمان
سيناريو: ليوناردو بنفنتوني – بيير بوست
مدة العرض: ١٣٢ دقيقة (أبيض وأسود)
تاريخ الإنتاج: ١٩٦١

(٩) "**قصص حب مشهورة**"
روائي – رومانسي – تاريخي (ملون)
إخراج: ميشيل بواسرون
سيناريو: مارسيل أشارد
إنتاج: أرمان بيكو
مدة العرض: ١٣٠ دقيقة (ملون)
تاريخ الإنتاج: ٣ تشرين الثاني ١٩٦١

(١٠) "**الكلب**"
مسلسل تلفزيوني – حربي – (أبيض وأسود)
إخراج: فرنسوا شاليه
تاريخ الإنتاج: آذار ١٩٦٢
(١١) "**الكسوف**"
روائي – نفساني (أبيض وأسود)
إخراج وسيناريو: مايكل أنجلو أنتنيوني
إنتاج: ريمون حكيم – روبرت حكيم
سيناريو: إليو بارتوليني – تونينو غويرا
مدة العرض: ١٢٣ دقيقة
عام الإنتاج: ١٩٦٢

(١٢) "**الشيطان والوصايا العشر**"
روائي (أبيض وأسود)
إخراج: جوليان دوفيفييه
رواية: ديفيد الكسندر
سيناريو: ميشيل أوديارد
إنتاج: روبرت أمون – ألمو ميزو
مدة العرض: ١٤٣ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٦٣

(١٣) "**حب في البحر**"
روائي (أبيض وأسود)
إخراج وسيناريو: غاي جيل
إنتاج: فيلماكس
مدة العرض: ٧٣ دقيقة

تاريخ الإنتاج: أيار ١٩٦٣

(١٤) "**الضربة الرابحة**"
روائي – بوليسي – رومانسي (أبيض وأسود)
إخراج: هنري فيرنويل
سيناريو: ميشيل أوديارد
رواية: زكيال ماركو
إنتاج: جاك بار – جاك جورنافيل
مدة العرض: ١١٨ دقيقة
تاريخ الإنتاج: آذار ١٩٦٣

(١٥) "**الفهد**"
روائي – تاريخي (ملون)
إخراج وسيناريو: لوتشينو فيسكونتي
إنتاج: غوفريدو لومباردو
سيناريو: باسكاله فيستا كامبانيله - سوزو سيشي داميكو
مدة العرض: ١٨٧ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٦٣

(١٦) "**ضربة موفقة**"
روائي – بوليسي – كوميدي (أبيض وأسود)
إخراج: مارسيل بلوال
سيناريو: بيير تشيرنيا – ميشيل أوديارد
مدة العرض: ٨٨ دقيقة
تاريخ الإنتاج: أيار ١٩٦٣

(١٧) "**التوليب الأسود**"
روائي – مغامرات – كوميدي (ملون)
إخراج: كريستيان جاك
سيناريو: الكسندر دوما – مارتشيللو سيورسيوليني
إنتاج: جورج شيكو
مدة العرض: ١١٥ دقيقة
تاريخ الإنتاج: شباط ١٩٦٤

(١٨) "**قفص الحب**"

*[أو "**منزل المتعة**" لدى إصدار الفيلم في بريطانيا]*
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق (أبيض وأسود)
إخراج وسيناريو: رينيه كليمان
سيناريو وحوار: باسكال جاردان
رواية: داي كين
إنتاج: جاك بار
مدة العرض: ٩٧ دقيقة
تاريخ الإنتاج: تشرين الثاني ١٩٦٤

(١٩) "**الرجل الذي لا يُقهر**"
روائي (أبيض وأسود)
إخراج وسيناريو: آلان كافالييه
سيناريو: جان كاو
إنتاج: جاك بار – آلان ديلون
مدة العرض: ١١٥ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٦٤

(٢٠) "**الرولز رويس الصفراء**"
روائي – رومانسي – كوميدي (ملون)
إخراج: أنتوني أسكويث
سيناريو: تيرنس راتيغان
إنتاج: أناتولي دي غرونفالد
مدة العرض: ١٢٢ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٦٤

(٢١) "**لص سابق**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق (أبيض وأسود)
إخراج وإنتاج: رالف نيلسون
رواية وسيناريو: زكيال ماركو
إنتاج: فريد إنجل – جاك بار
مدة العرض: ١٠٦ دقائق
تاريخ الإنتاج: أيلول ١٩٦٥

(٢٢) "**الفرقة المفقودة**"
روائي – حربي (ملون)

إخراج وإنتاج: مارك روبنسون
رواية: جين لارتغي
سيناريو: نيلسون غيدينغ
مدة العرض: ١٢٩ دقيقة
تاريخ الإنتاج: أيار ١٩٦٦

(٢٣) "**هل تحترق باريس؟**"
روائي – حربي – (ملون/أبيض وأسود)
إخراج وإنتاج: رينيه كليمان
سيناريو: فرنسيس فورد كوبولا – غور فيدال
رواية: لاري كولينز – دومينيك لابيير
إنتاج: بول غريتس
مدة العرض: ١٧٤ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٦٦

(٢٤) "**تكساس عبر النهر**"
روائي – كاوبوي (رعاة بقر) – كوميدي (ملون)
إخراج: مايكل غوردون
سيناريو: ويلز رووت – هارولد غرين
إنتاج: هاري كيلر
مدة العرض: ١٠١ دقيقة
تاريخ الإنتاج: تشرين الأول ١٩٦٦

(٢٥) "**المغامرون**" (أو "**المغامرة الأخيرة**")
روائي – مغامرات (ملون)
إخراج وسيناريو: روبرتو إنريكو
سيناريو: خوسيه جيوفاني
إنتاج: جيرارد بيتو – رينيه بينيير
مدة العرض: ١١٢ دقيقة
تاريخ الإنتاج: نيسان ١٩٦٧

(٢٦) "**الرجل الساموراي**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق (ملون)
إخراج وسيناريو: جان بيير ميلفيل
سيناريو: جورج بيلغرين

إنتاج: ريمون بورديري – يوجين ليبيسييه
مدة العرض: ١٠٥ دقائق
تاريخ الإنتاج: تشرين الأول ١٩٦٧

(٢٧) "**المخلص الشيطاني**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق (ملون)
إخراج: جوليان دوفيفييه
سيناريو: رولاند جيرارد
رواية: لويس سي. توماس
إنتاج: ريمون دانون
مدة العرض: ٩٣ دقيقة
تاريخ الإنتاج: كانون الأول ١٩٦٧

(٢٨) "**قصص غير عادية**"
روائي – رعب – غموض (ملون)
إخراج وسيناريو: فيدريكو فلليني– رورجر فاديم – لوي مال
رواية: إدغار آلان بو
إنتاج: ريمون إيغير – ألبرتو غريمالدي
مدة العرض: ١٢١ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٦٨

(٢٩) "**فتاة الدراجة النارية**"
روائي – رومانسي – (ملون)
إخراج وسيناريو وتصوير: جاك كارديف
سيناريو: رونالد دنكان
إنتاج: ويليام ساسون
مدة العرض: ٩١ دقيقة
تاريخ الإنتاج: حزيران ١٩٦٨

(٣٠) "**وداعاً يا صديقي**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – مغامرات (ملون)
إخراج وسيناريو: جان هيرمان
سيناريو: سباستيان جابريسو
إنتاج: سيرج سيلبرمان
مدة العرض: ١١٥ دقيقة

تاريخ الإنتاج: آب ١٩٦٨

(٣١) "**هُوْ**" (أو "**وجه إجرامي**")
روائي – بوليسي – (ملون)
إخراج وسيناريو: روبرت إنريكو
رواية: خوسيه جيوفاني
سيناريو: لوسيان امون – بيير بيليغري
إنتاج: سيرج سيلبرمان
مدة العرض: ١٠٣ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٦٨

(٣٢) "**حوض السباحة**"
روائي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: جاك ديراي
سيناريو: جان كلود كاريير
إنتاج: جيرار بيتو
مدة العرض: ١٢٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٦٩

(٣٣) "**جيف**"
روائي – إجرامي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: جان هيرمان
سيناريو: أندريه جي. برونيلان – جان كاو
إنتاج: جيرار بيتو
مدة العرض: ٩٣ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٦٩

(٣٤) "**عصابة الصقليين**"
روائي – إجرامي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج وسيناريو: هنري فيرنويل
سيناريو وحوار: خوسيه جيوفاني
مدة العرض: ١٢٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: كانون الأول ١٩٦٩

(٣٥) "**بورسالينو**"

روائي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج وسيناريو: جاك ديراي
سيناريو: جان كلود كاريير – جان كاو – كلود سوتيه
رواية: يوجين ساكومانو
إنتاج: آلان ديلون – بيير كارو
مدة العرض: ١٢٥ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٠

(٣٦) "**الدائرة الحمراء**"
روائي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج وسيناريو ومونتاج: جان بيير ميلفيل
سيناريو: جان كلود كاريير – جان كاو – كلود سوتيه
رواية: يوجين ساكومانو
إنتاج: روبرت دورفمان
مدة العرض: ١٤٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٠

(٣٧) "**مادلي**" (أو "**شركاء الحب**")
روائي – رومانسي – (ملون)
إخراج وسيناريو: روجر كاهان
سيناريو: ميراي إيغرو – باسكال جاردان
إنتاج: آلان ديلون
مدة العرض: ٨٥ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٠

(٣٨) "**فنتازيا البسطاء**"
روائي – كوميدي – (ملون)
إخراج: جيرار بيريه
سيناريو: جورج بيلير – كلود ميلر
مدة العرض: ١٠٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧١
(٣٩) "**شرطي سابق**"
روائي – بوليسي – كوميدي – (ملون)
إخراج وسيناريو: جورج لوتنير

رواية: ريتشارد كانون
سيناريو: فرنسيس فيبير
إنتاج: آلان بواريه
مدة العرض: ٨٥ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧١

(٤٠) "**على رسلك**"
روائي – كوميدي – (ملون)
إخراج وسيناريو: جاك ديراي
رواية: ريتشارد كانون
سيناريو: باسكال جاردان
إنتاج: آديل برودكشنز (آلان ديلون)
مدة العرض: ٩٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧١

(٤١) "**الشمس الحمراء**"
روائي – رعاة بقر (كاوبوي) – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: تيرنس يونغ
سيناريو: ليرد كونينغ – ويليام روبرتس – لورنس رومان
إنتاج: تيد ريتشموند
مدة العرض: ١١٢ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧١

(٤٢) "**الأرملة كوديرك**"
روائي – رومانسي – مغامرات – (ملون)
إخراج: بيير غرانييه ديفير
سيناريو: جورج سيمينون
إنتاج: ريمون دانون – موريس جاكان
مدة العرض: ٩٢ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧١

(٤٣) "**البروفسور**" (أو "**أول ليلة هادئة**" /"**صيف هندي**")
روائي – ميلودرامي – (ملون)
إخراج وسيناريو: فاليريو زورليني
سيناريو: إنريكو مديولي
مدة العرض: ١٠٥ دقائق

تاريخ الإنتاج: ١٩٧٢

(٤٤) "**اغتيال تروتسكي**"
روائي – سيرة ذاتية – سياسي – (ملون)
إخراج وسيناريو: جوزيف لوسي
سيناريو: جورج سيمينون
إنتاج: نورمان بريغن
مدة العرض: ١٠٣ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٢

(٤٥) "**الشرطي**" (أو "**المال الحرام**")
روائي – بوليسي – (ملون)
إخراج وسيناريو: جان بيير ميلفيل
إنتاج: روبرت دورفمان
مدة العرض: ٩٨ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٢

(٤٦) "**علاج بالصدمة**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج وسيناريو وموسيقى: آلان جيسوا
إنتاج: روبرت دورفمان – ريمون دانون
مدة العرض: ٩١ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٣

(٤٧) "**العقرب**"
روائي – مغامرات – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج ومونتاج: مايكل وينر
سيناريو: ديفيد رينتلز جيرالد ويلسون
إنتاج: والتر ميريش
مدة العرض: ١١٤ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٣

(٤٨) "**الحظائر المشتعلة**" (أو "**المحقق**")
روائي – بوليسي – (ملون)
إخراج وسيناريو: جان شابو

إنتاج: رالف بوم – ريمون دانون
مدة العرض: ٩٥ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٣

(٤٩) "**مسدسات كبيرة**" (أو "**توني أرزنتا**")
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: دونشيو تيساري
سيناريو: روبرتو غاندوس – فرانكو فيرونتشي
إنتاج: لونشيانو مارتينو – "آديل بروكشنز" (آلان ديلون)
مدة العرض: ١٠٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٣

(٥٠) "**رجلان في المدينة**" (أو "**خارجان على القانون**")
روائي – بوليسي – نفساني – (ملون)
إخراج وسيناريو: خوسيه جيوفاني
إنتاج: آلان ديلون – بيير كارو
مدة العرض: ٩٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٣

(٥١) "**فرقة النخبة**" (أو "**سباق الأعيان**")
روائي – سياسي – (ملون)
إخراج وسيناريو: بيير غرانييه ديفير
سيناريو: باسكال جاردان
رواية: فيليسيان ماركو
إنتاج: أندريه جينوفيه
مدة العرض: ٩٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٤

(٥٢) "**دم بارد**"
روائي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج وسيناريو: جورج لوتنير
رواية: ريتشارد ماثيسون
إنتاج: آلان ديلون – ريمون دانون
مدة العرض: ١٠٥ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٤

(٥٣) "**بورسالينو وشركاه**"
روائي – بوليسي – مغامرات – (ملون)
إخراج وسيناريو: جاك ديراي
رواية: يوجين ساكومانو
سيناريو: باسكال جاردان
إنتاج: آلان ديلون
مدة العرض: ١١٠ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٤

(٥٤) "**زورو**"
روائي – مغامرات – رعاة بقر (كاوبوي) – (ملون)
إخراج: دوتشيو تيساري
سيناريو: جورجيو أرلوريو
مدة العرض: ١٢٤ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٥

(٥٥) "**قصة شرطي**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج وسيناريو: جاك ديراي
سيناريو: ألفونس بودار
إنتاج: آلان ديلون
مدة العرض: ١٠٧ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٥

(٥٦) "**الغجري**"
روائي – مغامرات – إجرامي – (ملون)
إخراج وسيناريو: خوسيه جيوفاني
إنتاج: آلان ديلون – ريمون دانون
مدة العرض: ١٠٢ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٥

(٥٧) "**السيد كلين**"
روائي – بوليسي – (ملون)
إخراج: جوزيف لوسي
سيناريو: كوستا كافراس – فرناندو موراندي – فرانكو سوليناس

إنتاج: آلان ديلون – روبرت كوبربيرغ
مدة العرض: ١٢٣ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٦

(٥٨) "**البومرينغ**"
روائي – بوليسي – (ملون)
إخراج وسيناريو: خوسيه جيوفاني
سيناريو: آلان ديلون
مدة العرض: ١٠٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٦
(٥٩) "**العصابة**"
روائي – بوليسي – (ملون)
إخراج وسيناريو: جاك ديراي
سيناريو: جان كلود كاريير – ألفونس بودار
مدة العرض: ١٠٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٧

(٦٠) "**أرمغدون**"
روائي – (ملون)
إخراج وسيناريو: آلان جيسوا
رواية: ديفيد ليبينكوت
مدة العرض: ٩١ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٧

(٦١) "**الرجل المستعجل**"
روائي – نفساني – (ملون)
إخراج: إدوارد مولينارو
سيناريو: كريستوفر فرانك
رواية: بول موران
إنتاج: آلان ديلون – رالف بوم – ريمون دانون
مدة العرض: ٩١ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٧

(٦٢) "**موت رجل فاسد**"
روائي – سياسي – إثارة وتشويق – (ملون)

إخراج: جورج لوتنير
سيناريو: ميشيل أوديارد – آلان ديلون
رواية: راف فاليه
إنتاج: آلان ديلون
مدة العرض: ١٢٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٧

(٦٣) "**احذروا .. فالأطفال يراقبون**"
روائي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج وسيناريو: سيرج ليروي
سيناريو: كريستوفر فرانك
رواية: بيتر إل. ديكسون
إنتاج: نوربرت سعدا
مدة العرض: ١٠٣ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٨

(٦٤) "**كونكورد .. مطار ٧٩**"
روائي – مغامرات – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: ديفيد لويل ريتش
رواية: آرثر هايلي
إنتاج: جيننغز لانغ
مدة العرض: ١٢٣ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٩

(٦٥) "**الطبيب**"
روائي – حربي – (ملون)
إخراج وسيناريو: بيير غرانييه ديفير
رواية: جان فريستي
إنتاج: آلان ديلون
مدة العرض: ٩٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٧٩

(٦٦) "**ثلاثة رجال للقتل**"
روائي – إثارة وتشويق – مغامرات – (ملون)
إخراج وسيناريو: جاك ديراي

سيناريو: آلان ديلون – كريستوفر فرانك
رواية: جان باتريك مانشيت
إنتاج: آلان ديلون
مدة العرض: ٩٣ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٨٠

(٦٧) "**طهران – ٤٣**"
روائي – حربي – إثارة وتشويق – مغامرات – (ملون)
إخراج وسيناريو: الكسندر ألوف – فلاديمير ناوموف
إنتاج: جورج شيكو – جان فيليب ميران
مدة العرض: ١٩٢ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٨١

(٦٨) "**مخبأ الشرطي**" (أو "**الدوّامة**")
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – رومانسي – (ملون)
إخراج وسيناريو: آلان ديلون
سيناريو: كريستوفر فرانك
رواية: جان باتريك مانشيت
مدة العرض: ١٠٥ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٨١

(٦٩) "**الصدمة**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج وسيناريو: روبن ديفيس – آلان ديلون
سيناريو: آلان ديلون
رواية: جان باتريك مانشيت
إنتاج: آلان سارد
مدة العرض: ١٠٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٨٢

(٧٠) "**المحارب**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج وسيناريو: آلان ديلون
سيناريو: كريستوفر فرانك
إنتاج: آلان ديلون

مدة العرض: ١٢١ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٨٣

(٧١) "**قصة حب سوان**"
روائي – رومانسي – تاريخي – (ملون)
إخراج: فولكر شلوندورف
سيناريو: بيتر بروك – جان كلود كاريير
رواية: مارسيل براوست
إنتاج: إبرهارد جنكرسدورف
مدة العرض: ١١٠ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٨٤

(٧٢) "**قصتنا**"
روائي – رومانسي – نفساني – (ملون)
إخراج وسيناريو: برتراند بلاير
إنتاج: آلان سارد
مدة العرض: ١١٠ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٨٤

(٧٣) "**شرف شرطي**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: خوسيه بنييرو
سيناريو: آلان ديلون – فريدريك فاجاردي
إنتاج: آلان ديلون – جاك بار
مدة العرض: ٩٨ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٨٥

(٧٤) " **المَعبَر**"
روائي – مغامرات – خيالي – (ملون)
إخراج وسيناريو: رينيه منزور
سيناريو: آلان ديلون – فريدريك فاجاردي
إنتاج: آلان ديلون – دانييل شمبانيون – فرنسيس لالان
مدة العرض: ١٠٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٨٦

(٧٥) "**لاتوقظ شرطياً نائماً**"

روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: خوسيه بنييرو
سيناريو: آلان ديلون – فريدريك فاجاردي
إنتاج: آلان ديلون – دانييل شمبانيون
مدة العرض: ٩٧ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٨٦

(٧٦) " **سينما**"
مسلسل تلفزيوني (ملون)
إخراج وسيناريو: فيليب ليفيبفر
سيناريو: جان بيير بترولاتشي
تاريخ الإنتاج: ١٩٨٨

(٧٧) "**الموجة الجديدة**"
روائي – (ملون)
إخراج وسيناريو ومونتاج: جان لوك غودارد
إنتاج: آلان سارد
مدة العرض: ٩٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٩٠

(٧٨) "**آلة الرقص**"
روائي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: جيل بيات
سيناريو: مارك سيرونه – آلان ديلون
إنتاج: آلان ديلون – جاك بار
مدة العرض: ١٠٧ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٩٠

(٧٩) "**عودة كازانوفا**"
روائي – رومانسي – كوميدي – (ملون)
إخراج: إدوارد نيرمان
سيناريو: جان كلود كاريير
رواية: آرثر شنيتزلر
إنتاج: آلان ديلون – كريستين غوزلان
مدة العرض: ٩٣ دقيقة

تاريخ الإنتاج: ١٩٩٢

(٨٠) "**جريمة**"
روائي – بوليسي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: جاك ديراي
سيناريو: آلان ديلون – جان كورتيلان
إنتاج: آلان سارد
تنفيذ الإنتاج: آلان ديلون
مدة العرض: ٩٠ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٩٣

(٨١) "**الدبّ الدمية**"
روائي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: جاك ديراي
سيناريو: فيليبو أسيونه – جان كورتيلان
تاريخ الإنتاج: ١٩٩٤

(٨٢) "**مئة ليلة وليلة**" (أو "**مئة ليلة وليلة مع سيمون سينما**")
روائي – كوميدي – (ملون)
إخراج وسيناريو: أنييس فاردا
إنتاج: دومينيك فيجنيه
مدة العرض: ١٠١ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ١٩٩٥

(٨٣) "**في الليل والنهار**"
روائي – (ملون)
إخراج: برنارد هنري ليفي
سيناريو: جان بول إنتوفن – غوادالوب لويزا
إنتاج: جاك دو كليرك – إيريك دوسار
مدة العرض: ١٠٨ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٩٧

(٨٤) "**فرصة ضئيلة**"
روائي – مغامرات – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: باتريس لوكونت

سيناريو: باتريك ديوولف – سيرج فريدمان
إنتاج: كريستيان فيشنر
مدة العرض: ١١٠ دقائق
تاريخ الإنتاج: ١٩٩٨
(٨٥) "**الممثلون**"
روائي – كوميدي – (ملون)
إخراج وسيناريو: برتراند بلاير
إنتاج: آلان سارد
مدة العرض: ١٠٣ دقائق
تاريخ الإنتاج: ٢٠٠٠

(٨٦) "**فابيو مونتال**"
مسلسل تلفزيوني – (ملون)
إخراج: خوسيه بنييرو
رواية: جان كلود إيسو
تاريخ الإنتاج: ٢٠٠٢

(٨٧) "**الأسد**"
روائي – تلفزيوني – مغامرات – (ملون)
إخراج وسيناريو: خوسيه بنييرو
تاريخ الإنتاج: ٢٠٠٣

(٨٨) "**فرانك ريفا**"
مسلسل تلفزيوني – بوليسي – (ملون)
إخراج: باتريك جامان
سيناريو: فيليب سيتبون
شريك إنتاج: آلان ديلون
تاريخ الإنتاج: ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤
(٨٩) "**أستيريكس في الأولمبياد**"
روائي – كوميدي – خيالي – (ملون)
إخراج: فريدريك فوريستيير – توماس لانغمان
قصص مصورة بقلم: رينيه غوسيني – ألبرت أوديرزو
سيناريو: توماس لانغمان
إنتاج: توماس لانغمان

مدة العرض: ١١٦ دقيقة
تاريخ الإنتاج: ٢٠٠٨

(٩٠) "**الدائرة الحمراء**"
روائي – إثارة وتشويق – (ملون)
إخراج: جوني تو
سيناريو: برايان ليف
تاريخ الإنتاج: (قيد الإنتاج)